أوراق بحثيـــــــــــــــة

The Asfari Institute for Civil Society and Citizenship
معهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة
www.activearabvoices.org

Picture Source: **Flickr.com**

المواطنة وتحدياتها

ثاناسيس كامبانيس، د. منى فوّاز، لينا عطاالله،
د. إليزابيث ف. طومسون، د. جوزيف ضاهر

المـــــواطنـــة وتحديـــــاتهـــا

ثاناسيس كامبانيس،
د. منى فوّاز، لينا عطاالله،
د. إليزابيث ف. طومسون،
د. جوزيف ضاهر

2

حـــــول معهـــــد الأصفـــــري فـــــي الجامعـة الأميركية فـــــي بيـــــــروت

يسـعى معهـد الأصفـري للمجتمـع المدنـي والمواطنـة، وهـو مركـز أبحـاث للعلـوم الاجتماعيـة عـن المنطقـة العربيـة، إلـى تمتيـن الجسـور بيـن الأكاديمييـن والنشـطاء وصانعـي السياسـات وعمـوم المهتميـن لاستكشـاف كافـة الأشـكال التقليديـة أو المبتكـرة لدعـم عمليـات الديمقراطيـة التشـاركية، ومسـاءلة عمليـات صنـع السياسـات المحليـة، لتحفيـز جهـود المجتمـع المدنـي وتكريـس مبـادئ المواطنـة الفعّالـة فـي العالـم العربـي.

فـي هـذا الإطـار، يركّـز المعهـد علـى تنظيـم ورش وبرامـج عمـل تدريبيـة للشـباب والصحفييـن والنشـطاء إلـى جانـب قيامـه بمهـام البحـث الأكاديمـي وإنتـاج المعرفـة داخـل وخـارج الجامعـة الأميركيـة فـي بيـروت. كمـا يقـوم المعهـد بتنظيـم فـرق بحثيـة جماعيـة فـي مجـالات متعلّقـة بالمشـاركة السياسـية والمسـاءلة والحوكمـة الرشـيدة؛ إضافـة الـى إصـدار توصيـات لدعـم مشـاركة المواطنيـن والمواطنـات، وتعزيـز دور المجتمـع المدنـي فـي الوسـاطة والمـداولات والتنظيـم الذاتـي.

يعمـل المعهـد علـى دعـم الوعـي العـام بـدور المجتمـع المدنـي لرصـد وتحليـل أشـكال المبـادرات المدنيـة المختلفـة فـي مجـالات القانـون والحوكمـة والثقافـة وإدارة الصراعات في المنطقـة، ويحـاول نشـر أنماطًـا جديـدة لتثميـن هـذه المبـادرات عبـر عقـد الاجتماعـات الشـهرية والنـدوات والمحاضـرات وورش العمـل والمؤتمرات والنـدوات، فضـلًا عـن المدوّنـة الخاصـة بالمعهـد، بالإضافـة إلـى مطبوعـات المركـز.

ويُعـدّ معهـد الأصفـري شـريكًا فاعـلًا بالجامعـة الأميركيـة فـي بيـروت، يشـارك فـي إثـراء التـزام الجامعـة بخدمـة وتثقيـف والتفاعـل مـع المجتمـع اللبنانـي. ويقـوم المعهـد حاليًـا بتطويـر اختصـاص ثانـوي عـن المجتمـع المدنـي والفعـل الجماعـي علـى مسـتوى التعليـم العالـي. وأخيـراً وليـس آخـراً، يقـوم المعهـد بتنميـة برامجـه البحثيـة الثـلاث: المجتمـع المدنـي والقانـون والحوكمـة؛ الثقافـة كمقاومـة؛ المجتمـع المدنـي فـي سـياقات النـزاع ومـا بعـد النـزاع.

P.O. Box 11-0236 Riad El Solh,
Beirut 1107 2020, Lebanon
www.aub.edu.lb/asfari

+961-1-350 000-1 ext 4469
asfariinst@aub.edu.lb
ActiveArabVoices.org
AsfariInstitute

Bridging Academia and Activism

تقديم

د. دينا الخواجة
مديرة معهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة
في الجامعة الأمريكية في بيروت

يسعد معهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة في الجامعة الأميركية في بيروت أن يطرح هذا الإصدار بالتعاون مع مؤسسة القرن لمناقشة مشاكل وتحديات المواطنة في المنطقة العربية والتوقف على أسباب تعذّر إستقرار المفهوم وممارساته سواء من قبل الأفراد أو النظم السياسية الحاكمة في المنطقة. وقد تم الإتفاق بين المعهد والمؤسسة على ترجمة أربع أوراق بحثية نشرتها مؤسسة القرن العام الماضي، وقام معهد الأصفري بترجمتها للّغة العربية سعياً لتنشيط الجدل بين المتحدثين باللغة العربية حول معنى المواطنة وإرتباطها بمدخل الحقوق الكونية وما تستلزمه من إعتراف بالتعددية واحترام الإختلافات الدينية والإثنية والاجتماعية وتجاوز الثنائيات الصفرية في ما يتعلق بالحقوق المترتبة علي هذا المبدأ الكوني. ويأتي هذا التعاون لإثراء عمل المعهد في مشروع بحثي عن البعد المعولم في الحركات الإجتماعية في المنطقة العربي، بدعم من مؤسسة كارنيجي في نيويورك، سواء في مرجعياتها أو في تفاعلها مع حركات شبيهة في الغرب أو الجنوب المعولم، وكذلك لرصد البعد السياساتي للحراكات والجدل حول المواطنة في المنطقة العربية. وقد وجدنا في الأوراق المقدَّمة في هذا التقرير ما يغني الجدل حول عمليات الإستبعاد أو الإضطهاد فيما يتعلق بالمواطنة كمرجعية كونية تتجاوز ثنائيات الغرب المتقدم والقاهر والجنوب المتعثر والمقهور تاريخياً, وذلك بشكل أكثر خصوصية في الورقتين اللتين إهتمتا بدراسة نماذج للعمل السياسي سعياً لتطوير مفهوم المواطنة وجعله أكثر إدماجية لأصوات ومطالب الأفراد والمجموعات العاملة على توسيع المجال العام وإحترام الحريات وتفعيل المشاركة المجتمعية.

وقد تم بناء هذا التعاون على مدخل بحثي مشترك وهو الإنطلاق من عثرات جدل المواطنة والحراكات التي تحاول إعادة صياغتها سعياً إلى دعم الحقوق الكونية لمختلف الأفراد والجماعات والمجموعات دون إقصاء أو تخوين. و يعدّ هذا

المدخل جديداً في الأدبيات العربية التي غالباً ما تتعامل مع مفهوم المواطنة كمفهوم قانوني معياري يعكس تطور أو إنتقال المجتمعات التقليدية من القبلية والأواصر العضوية إلى أشكال من التكامل الطوعي المرتبط بالتحديث السياسي والإجتماعي. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الأدبيات العربية تتبنى أحياناً هذا المدخل كدليل على إكتمال عمليات بناء الدول الوطنية بالمنطقة وإستيفاءها الشروط الدولية اللازمة للإعتراف الدولي من إصدار للدساتير وإقرار للقوانين وبناء للمؤسسات، دون إعتناق حقيقي للحقوق الكونية للأفراد المنتمين إليها في ممارساتها. كما يعد رصد المواطنة كعملية تاريخية انطوت واقعياً على العديد من ظواهر الإقصاء والإختصام للأقليات الدينية والإثنية أو المجموعات الأيديولوجية أو الحقوقية الناشطة بمثابة حجر زاوية لإعادة النظر في آليات نحت ماهية المواطنة خصوصاً في سياقات ما بعد الإستعمار وتشكل الدول الوطنية المرتبطة بعصر الإستقلال الوطني.

ويأمل معهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة أن يظهر قصص النجاح - على ندرتها - في نقد ومراجعة مفهوم المواطنة وتفعيلها عبر حراكات أو مبادرات مؤسسية لتوسيع حق المشاركة السياسية والمساءلة المؤسسية، لما يترتب على ذلك من البدء في إعادة كتابة سرديات ماهية المواطنة انطلاقاً من المواطنين ومبادراتهم ومظلومياتهم وليس إستناداً للنصوص الدستورية أو القانونية، وذلك بالتالي لكسرهيمنة التأريخ للمواطنة من وجهة نظر الحاكمين دون المحكومين. كما يسعى المعهد لإبراز المساعي المستمرة لخلق فضاءات أوسع وأكثر تعددية وإنفتاحاً لمقارنة حراكات المواطنين في سياق معولم بضيق هامش حركة المواطنين العرب في سلك نفس الدرب المدافع عن الحقوق الكونية لسكان منطقتنا العربية من الأقليات الناشطة أو المنتمية إلى نسق ثقافية فرعية تحاول النظم الحاكمة إما تطويقها وإما تخوينها في سياق ما بعد الربيع العربي.

قائمة المحتويات

2 **حول معهد الأصفري في الجامعة الأميركية في بيروت**

4 **تقديم**

8 **النضال من أجل حقوق عالمية**
الجدل حول المواطنة في جميع أنحاء العالم وفي منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

12 **بيـــروت مدينتـــي وآفاق المواطنة الحضرية:**
المدينة كمنصة للفعل السياسي الفعال
النقد المرتحل

37 **إعلام عربي خلاق وملامح جديدة للمواطنة:**
رؤية تكاملية لبناء صحافة أقوى في المنطقة

62 **الشقاق الليبرالي-الإسلامي في العالم العربي يتم عامه المئوي:**
إرث استعماري يساعد الطغاة على الحكم اليوم

91 **التعددية المفقودة في الانتفاضة السورية:**
كيف انحرفت المعارضة عن جذورها الجامعة؟

النضال من أجل حقوق عالمية
الجدل حول المواطنة في جميع أنحاء العالم وفي منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

ثاناسيس كامبانيس - مؤلف، وصحافي، وزميل أبحاث في «مؤسسة القرن»

بعد مرور ما يقرب من عقد من الزمان على انتفاضات الربيع العربي، تبقى أسئلة جوهرية دون إجابة خصوصاً حول معنى المواطنة. فلم يحل الشرق الأوسط بعد معضلة منح يمنح حقوق متساوية لأشخاص ذوي هويات مختلفة أو متعددة. تعتبر أزمة المنطقة جزءاً من ظاهرة عالمية، فهي تتوازى مع صراع أوروبا والولايات المتحدة الحالي بسبب عودة ظهور مجموعات سيادة العرق الأبيض وغيرها من المجموعات الأصلانية،[1] ووجود ردود فعل عنيفة ضد الأجانب والمهاجرين، رغم تاريخ أوروبا الطويل في الأممية واستيعاب الآخر.

إلا أن للأزمة في الشرق الأوسط خصائصها الإقليمية المميِّزة. فلقد استشرى القمع العنيف خلال الانتكاسة الاستبدادية التي تلت انتفاضات الربيع العربي. وتندلع اليوم صراعات عديدة بامتداد خطوط الصدع القائمة على الهوية، بما في ذلك الدين والطائفة والعرق. فيما لا يتشارك سماسرة القوى في المنطقة سوى التزامهم العميق بسياسات الهوية المثيرة للانقسام. وأسهمت العديد من الشخصيات الدينية والسياسيين والمسؤولين الأمنيين والرعاة غير الرسميين في الوصول إلى الوضع الراهن الذي يحبط أي مناقشة حول الحقوق العالمية. بدلاً من ذلك، تشجع النخبة - وهي المستفيد الأكبر من الوضع الراهن والمدفوعة عادة باستراتيجية فرق تسد - الناس على النظر إلى الحقوق والامتيازات باعتبارها سلع طائفية محدودة، توزع - وفق أسس صفرية- على الأفراد بناء فقط على عضويتهم في مجتمعات قائمة على الهوية.

أخمد المستبدون في المنطقة الدعوات لحقوق إنسان عالمية عن طريق زرع الخوف من أن أي توسع في تقديم الحقوق سيعني سحب هذه الحقوق من آخرين. ويفضل حكام الوضع الراهن مناقشة حقوق مجموعة أو طائفة بعينها - مثل حقوق العلمانيين، أو أفراد مجتمع الميم، أو النساء، أو الفلسطينيين، أو اللاجئين، أو الجماعات الدينية وما إلى ذلك - بدلاً من المطالبة بحقوق عالمية غير قابلة للتجزئة، ذلك أن استرضاء قادة المجموعات -المعنيين ذاتياً- من خلال تقديم تنازلات بسيطة هو أمر أيسر على الحكام عن معالجة غياب شرعيتهم الناجم عن حكمهم لمواطنين يفتقرون إلى الحقوق الكاملة.

الخبر السار هنا هو أن قوى اللحظة الراهنة في المنطقة لم تنجح في مسعاها بشكل كلي. إذ يجري نقاش حيوي وأصيل الآن حول استعادة الحقوق وإعادة القيمة للمواطنة، فمن الممكن المطالبة بمواطنة فعلية دون التضحية بالهوية أو الثقافة الفردية؛ والمطالبة بحقوق مدنية عالمية دون التخلي عن الإيمان؛ وهكذا!

[1] اختيار المترجمة لترجمة nativist groups بدلاً من الترجمة الشائعة "مجموعات أهلانية"

أزمة عالمية

تعتبر أزمة الشرق الأوسط جزء من ظاهرة عالمية. فعلى الرغم من تاريخها الطويل من الأممية واستيعاب الآخر، فقد عانت أوروبا والولايات المتحدة من عودة ظهور جماعات سيادة العرق الأبيض وغيرها من الجماعات الأصلانية، ومن ردود فعل عنيفة ضد الأجانب والمهاجرين. تخلق هذه الأزمة فرصة لإعادة التفكير وبث الحياة مرة أخرى في مفاهيم طالما اعتُبرت من المسلمات، بما في ذلك المواطنة والانتماء والحق في المطالبة بالحقوق. ففي مواجهة أنظمة حاكمة تتسم صراحة بالعنصرية والذكورية والتمييز، وكذلك بالعنف والقمع المتكررين، يؤكد الناس على حقوقهم في نوع مختلف من المواطنة. لقد أسس المدافعون عن الحقوق لقضيتهم في العديد من المساحات الجديدة، من الأكاديميا إلى الصحافة، ومن السياسة إلى الناشطية، ومن القاعدية إلى النخبوية. فهم يقدمون حججاً دامغة، ثورية في سياقاتها: مفادها أن استبعاد أو التمييز ضد أي مواطن يقوض حقوق جميع المواطنين؛ ويطرحون أنه يمكن تأسيس المواطنة من خلال الممارسة، وليس فقط عن طريق القانون؛ ويجادلون أن أي حكم قائم على أسس الهوية العرقية أو الطائفية هو حكم سيخيب حتماً آمال مواطنيه؛ وأن المطالبات بالحقوق التي تسعى فقط لحقوق بعض المجموعات من أصحاب الامتيازات لا يمكن النظر إليها على أنها مطالبات بالحقوق من الأساس.

تعرضت مفاهيم الحقوق والإدماج والتعددية ذاتها لهجوم مستمر في الشرق الأوسط على مدار أجيال عديدة. يعد هذا الهجوم أيديولوجياً بقدر ما هو سياسي. لقد اتبعت معاناة الشرق الأوسط مع القوى الإقصائية مساراً تاريخياً محدداً، مرتبطاً بمسار المنطقة من الاستعمار إلى الاستقلال. هذه القوى الاستبعادية الإقصائية ليست أمراً يخص الشرق الأوسط وحده. فتآكل المفاهيم المفتاحية اللازمة لرؤية ليبرالية للمجتمع هي أزمة عالمية. فالحقوق العالمية، واحترام التنوع (بدلاً من التسامح المتميع)، والحريات والخيارات الفردية في سياق من الحماية الاجتماعية - هذه ليست مشاريع ليبرالية بحتة، ولكنها مُثُل عليا ضرورية للغاية تتعرض اليوم للهجوم داخل العديد من الأوساط.

المواطنة ومصاعبها

تحاول الأبحاث والمقابلات الموجودة في «المواطنة ومصاعبها: النضال من أجل الحقوق والتعددية والإدماج في الشرق الأوسط» أن تكون بداية لنقاش أوسع. تقدم المفاهيم ودراسات الحالة التي تم تناولها في هذا المشروع نظرة متعمقة للمواطنين والمراقبين والمحللين وصانعي السياسات والناشطين - وأي شخص لديه مصلحة في سؤال ما هي أفضل الطرق لإدارة مجتمعات تعددية تحمي الحقوق العالمية وتفسح المجال للهوية الفردية. تشكلت هذه التساؤلات من خلال مناقشات حيوية بين مجموعة تضمنت محللي سياسات وأكاديميين وناشطين وصحفيين وباحثين وكتاب من مختلف المجالات والتخصصات. أيد البعض تجارب مرنة تتبنى منظوراً قاعدياً (من أسفل إلى أعلى)، بينما استكشف آخرون المشكلات التي تواجه مجتمعات أو مناطق

فرعية بعينها. إلا أن الجميع كانوا مهتمين بخلق مساحة أوسع للحقوق والتمثيل. وجميعهم اعتبروا أنفسهم داعمين للحقوق ولسيادة القانون، لكنهم وانطلاقاً من تلك المبادئ الأساسية اتبعوا دروباً مختلفة حول كيفية تعزيز الحقوق المتشاركة على نطاق أوسع وكيفية تعزيز حكم أفضل، ومفهوم عن المواطنة أكثر إرضاءً للمواطن الفرد ولنظام الحكم الأوسع في الوقت ذاته.

بات من الواضح الآن أن الشرق الأوسط يختبر فشلاً مرحلياً عميقاً في الحكم. فمعظم دول المنطقة ضعيفة، بينما تميل دول المنطقة غير الضعيفة إلى استخدام قوتها بشكل سرطاني. فيما تظل الأنظمة القائمة عاجزة عن تقديم الخدمات الأساسية، في الوقت الذي أصبحت فيه أسس شرعيتها ممزقة. ومع ذلك، فقد قدمت الأزمة الحالية فائدة واحدة محتملة: وهي تجاوز الثنائية المزيفة المقيدة للحركة والتي تنظر إلى خيارات الشرق الأوسط باعتبارها بين العلمانية والدين.

والسؤال إذن هو كيف يمكن للمواطنين في الشرق الأوسط أن يأمنوا لأنفسهم حكماً أفضل ومزيداً من الحقوق؟ تستدعي، الفترة التي أعقبت الثورات الشعبية في 2010-2011 - والتي تضمنت صعود السلطوية غير الليبرالية وسياسات الهوية الأصولية في جميع أنحاء العالم العربي- أكثر من أي وقت مضى منذ إنهاء الاستعمار الأوروبي، تستدعي الانتباه إلى مسألة الحقوق - وعلى وجه التحديد، الحقوق العالمية. يمكن للمجتمعات منح حقوق للمواطنين بناء على خصائص غير الدين (وغيرها من الهويات الأصولية أو الطائفية). وتقبل العديد من دول الشرق الأوسط، نظرياً، فكرة العالمية. فقد وقعت هذه الدول على معاهدات دولية مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان , واتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها , واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.[2] أما في الممارسة العملية، فمثل غيرها من البلدان في جميع أنحاء العالم - بما في ذلك الولايات المتحدة على وجه الخصوص - رفضوا الانضمام إلى جوانب من العالمية أو القانون الدولي وجدوا أنها غير ملائمة، ورفضوا تطبيق القواعد المتفق عليها عالمياً التي تتعارض مع الممارسات المحلية. ومع ذلك , فإن هذا الواقع الفوضوي لا يمنع إجراء نقاش مفتوح وحيوي عن الحاجة إلى الحقوق العالمية، والفشل في الوصول إلى ذلك، وحول الحاجة للحصول على طرق أكثر دمجاً لتقاسم فوائد الحكم العادل بين المجموعات الهوياتية المختلفة. هذا الجدل السياسي داخل الشرق الأوسط هو جدل انتظرناه طويلاً ليناقش الأفكار التي

[2] صوتت مصر وإيران والعراق ولبنان وسوريا وتركيا لصالح الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام 1948. انظر "8. اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة , نيويورك , 18 ديسمبر 1979 , "الأمم المتحدة , 18 ديسمبر 1979 (مع تحديثات لاحقة) ,
https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CEDAW.aspx
"الإعلان العالمي لحقوق الإنسان"، مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان للمفوض السامي ,
https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html

تسمح للمجموعات المحرومة/ المستضعفة تاريخياً بالمطالبة بالحقوق السياسية والمدنية المشتركة بشكل لا يستند على أسس طائفية أو قبلية أو بطريقة تدفعهم إلى التخلي عن هويتهم أو طمسها.[3]

عندما تأسست الأمم المتحدة في عام 1948، سرعان ما تشكل إجماع عالمي حول الحقوق العالمية والقانون الدولي: ووجوب تطبيقهم في كل مكان، على الأقل كمُثُل عليا، إن لم يكن من الممكن ترجمتهم إلى واقع معاش على الفور. اعترض البعض لاحقاً على المركزية الأوروبية لمفهوم حقوق الإنسان في أوروبا والذي كان بمثابة أداة للهيمنة الغربية.[4] ورغم أن لهذا النقد وجاهته، لكنه أيضاً تم استغلاله، حيث اعتبره البعض دعوة إلى الأصوليين ومؤيدي النسبية الثقافية لأن يردوا الهجوم. وقد استُخدِم هذا الهجوم المضاد لاحقاً في تبرير التطرف، والطائفية، وغيرها من الأساليب التي عززت التشرذم وسياسات الهوية دائما على حساب الحقوق والتعددية والإدماج. تتمثل إحدى إسهامات «المواطنة ومصاعبها» في إظهار سراب رفض السعي وراء الحقوق العالمية. فالنضال من أجل الحقوق لا يحتاج ولا ينبغي أن يرتبط بأي قوة مهيمنة واحدة. وهنا يكمن جمال العالمية والحقوق: هناك مساعٍ مختلفة لمد مظلة الحقوق والانتماء، تتيح في الوقت نفسه المساحة لهويات مختلفة ومعقدة وشديدة التشابك.[5]

يجدر بأي اقتراح جاد يسعى للتصدي بشكل حاسم لفشل الحكم الجيلي في الشرق الأوسط بأن يأخذ في الاعتبار الهويات الغنية والمعقدة الموجودة على الساحة، والتهديدات المخيفة الموجهة ضد بعض هذه الهويات.

> يجب أن يبدأ الإصلاح الحقيقي والاستقرار في الشرق الأوسط باعتناق المساواة والحقوق العالمية المشتركة.

[3] Michael Gasper, "Sectarianism, Minorities, and the Secular State in the Middle East," International Journal of Middle East Studies 48, no. 4 (2016): 767–78.
[4] Samuel Moyn, Human Rights and the Uses of History (London: Verso Books, 2014).
[5] Benedict Anderson, Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism (London: Verso Books, 2006).

بيـــروت مدينتـــي
وآفاق المواطنة الحضرية:
المدينة كمنصة للفعل السياسي الفعال

د. منى فواز - استاذة التخطيط المدني في الجامعة الأميركية في بيروت

ملخص

أظهرت بيروت مدينتي، وهي حملة انتخابية خاضت غمار الانتخابات البلدية في بيروت في عام 2016، إمكانية تحدي حكم النخبة الطائفية في لبنان. تحاول مؤلفة هذا الفصل، والتي كانت ناشطًة في الحملة منذ مراحلها الأولى، وساهمت في تطويرها لاحقاً لتصبح منظمة سياسية، إظهار إمكانية البرامج القائمة على مفهوم المدينة على الإسهام في سياسات التغيير- كأساس لتطوير بديل سياسي في لبنان على المدى البعيد. يعتمد الفصل على النقاشات الحالية حول أهمية «ما هو مديني» في التغيير السياسي. وعلى الرغم من أن بعض المحللين تجاهلوا «بيروت مدينتي» باعتبارها «عملاً استعراضياً» على وسائل التواصل الاجتماعي أو اعترضوا على تركيزها على هموم الحياة اليومية، فلقد فتح النجاح النسبي للحركة مسارات مهمة للتفكير حول التغيير السياسي. وينطبق هذا بشكل خاص على سياقات مثل السياق اللبناني، حيث تقيد السياسة الطائفية الراسخة من إمكانيات التنظيم الاجتماعي الواسع وتحدد وتوجه مسارات الوصول إلى الرفاهة العامة.

يبقى هناك الكثير من الجدل بشأن الإمكانية الحقيقية للتغيير القادرة عليه الحركات «المحلية» التي ازداد عددها حول العالم خلال العقد الماضي. إذ قامت حركة إنديجنادوز» في إسبانيا، وحملات بلدية وارسو، واحتجاجات متنزه جيزي (تقسيم) في إسطنبول، وتنظيم ميدان التحرير، وحركة احتلوا، والعديد من الحركات الأخرى، ببناء روابط قوية مع « ما هو مديني»[1]. وأضحت ساحات المدن هي المواقع الاستراتيجية للاحتجاج، بينما أثارت دعوات الحشد القائمة على «الحق في المدينة «خيال الأكاديميين ووكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية والصحفيين على حد سواء. تتباين هذه الحركات في نطاق أهدافها - فلبعضها مطالب ثورية خاصة بالتحول الوطني الراديكالي، وللبعض الآخر مطالب متواضعة بحياة يومية كريمة. ولكن ما يتشاركون فيه هو ارتباط قوي بالمدن والميادين العامة وغيرها من العناصر المدينية. هذه الخواص المشتركة تربط بينهم معا في خيال متعولم ذي نزعة مضادة لليبرالية.

[1] On the Indignados, see Sophie Gonick, “Indignation and Inclusion: Activism, Difference, and Emergent Urban Politics in Postcrash Madrid,” Environment and Planning D: Society and Space 34, no. 2 (2016): 209–26. On Warsaw’s Municipal Campaigns, see Anna Domaradzka, “Changing the Rules of the Game: Impact of the Urban Movement on Public Administration Practices,” in Civil Society and Innovative Public Administration, ed. Matthias Freise, Friedrich Paulsen, and Andrea Walter (Baden-Baden: Nomos Verlagsgesellschaft, 2015), 188–217. On Istanbul’s Gezi Park, see Sinan Erensü and Ozan Karaman, “The Work of a Few Trees: Gezi, Politics and Space,” International Journal of Urban and Regional Research 41, no. 1 (2017): 19–36. On Tahrir, see Mustafa Dikeç and Erik Swyngedouw, “Theorizing the Politicizing City,” International Journal of Urban and Regional Research 41, no. 1 (2017): 1–18. On Occupy, see Margit Mayer, “The ‘Right to the City’ in Urban Social Movements,” in Cities for People, Not for Profit, ed. Neil Brenner, Peter Marcuse, and Margit Mayer (New York: Routledge, 2012): 75–97

تفسر الخصائص المتأصلة في المساحات الحضرية - بالنسبة للبعض- هذا التوجه: إذ تعتبر المدن مواقع طبيعية للاختراع والابتكار ذلك أنها منفتحة على التأثيرات والتفاعلات الخارجية, لذا من الطبيعي أن تنشأ مثل هذه الحركات داخل المدن[2]. بالنسبة للبعض الآخر, تقدم المدينة الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في ممارسة المطالب الخاصة بالمواطنة ليس فقط من خلال استعادة امتلاك المساحات العامة ولكن أيضًا عن طريق احتلال الأراضي للحصول على مكان للعيش فيه, وبالتالي تفعيل مطالب الإدماج الجوهري[3]. لا تقدم هذه التفسيرات, على الرغم من فائدتها, أدلة كافية حول إمكانيات التغيير السياسي التي تحققها الحركات الاجتماعية الحضرية[4]. فالعديد من الأسئلة يبقى دون إجابة, بما في ذلك كيف تختلف الحركات المدينية/ الحضرية عما سبقها من حراكات اجتماعية؟ هناك حاجة إلى البحث لمعرفة ما هي الأصوات الجديدة الناشئة؟ وكيف تصيغ هذه الأصوات المطالب التي استندت تاريخيا على المسألة الطبقية بناء على أسس الجنس, والنوع, والعرق. هناك أشكال جديدة للفعل علينا تحديدها. ما هي آفاق «النماذج البديلة» مثل المشاعات, أو المساحات المشتركة التي تحاول تجاوز الدولة ككيان واقتراح تحولات جذرية؟ وما مدى قابليتها للتطبيق في سياقات مثل السياق اللبناني, الذي يعرّف الكثيرون فيه الولاء السياسي بناء على الشبكات الطائفية التي تعيد توزيع الخدمات العامة؟

وما يستحق مزيد من العناية أيضاً هو وجود عدد من التغييرات المحتملة والمثيرة للاهتمام في نماذج الحكم المحلي وكذلك دخول فاعلين جدد في المجالس المحلية والإقليمية. والأهم من ذلك أنه يجدر بالأكاديميين والنشطاء أن يفكروا في تأثيرهم على المجال السياسي - مشروع التغيير - عندما يركزون على قضايا مثل مناهضة الإخلاء القسري وحماية الأماكن العامة. هل يمثل هذا شكلاً جديداً من أشكال السياسة؟ أم أنه أمر يختزل العمل السياسي إلى مجرد مطالب لعناصر العيش اليومي, مثل الحق في السكن والغذاء؟

لم يكتب هذا الفصل للإجابة على جميع هذه الأسئلة. لكنه نابع من مشاركتي المباشرة كواحد من الفاعلين الرئيسيين لبيروت مدينتي

[2] Ash Amin and Nigel Thrift, Cities: Reimagining the Urban (Cambridge, UK: Polity Press, 2002); and Jenny Robinson, "Inventions and Interventions: Transforming Cities—an Introduction," Urban Studies 43, no. 2 (2006): 251–58. Specifically in relation to Beirut, see Stephen Deets, "Consociationalism, Clientelism, and Local Politics in Beirut: Between Civic and Sectarian Identities," Nationalism and Ethnic Politics 24, no. 2 (2018): 133–57

[3] See Faranak Miraftab and Shana Wills, "Insurgency and Spaces of Active Citizenship: The Story of Western Cape Anti-Eviction Campaign in South Africa," Journal of Planning Education and Research 25, no. 2 (2005): 200–217; Engin Fahri Isin, "Introduction: Cities and Citizenship in a Global Age," Citizenship Studies 3, no. 2 (1999): 165–71; Arjun Appadurai and James Holston, "Cities and Citizenship," Public Culture 8, no. 2 (1996): 187–204; and Dikeç and Swyngedouw, "Theorizing the Politicizing City."

[4] Margit Mayer, "First World Urban Activism: Beyond Austerity Urbanism and Creative City Politics," City 17, no. 1 (2013): 5–19.

, الحملة الانتخابية التي أطلقت خلال الانتخابات البلدية في لبنان في عام 2016[5]. اعتمدت في كتابة هذا الفصل، على تجربتي بصفتي عضوة نشطة حاليًا في الحركة السياسية المدينية التي تحمل الآن اسم الحملة. سوف يناقش هذا الفصل في إمكانات كسب التأييد المرتكزة على المدينة كنقطة انطلاق لتحدي السياسة الطائفية الراسخة في لبنان، دافعاً بطرح مفاده أن المدينة - كمسرح/ منصة ومادة فعلية للحراك السياسي- تقدم مسارات مهمة في لبنان وخارجها للعمل التنظيمي مثل الناشطية، وحركات الإصلاح وتعبئة الناخبين. بشكل أكثر تحديداً، يقدم هذا الفصل حجتين للناشطين وغيرهم من المهتمين بالتغيير السياسي تظهران لماذا يشكل التنظيم المتمحور حول المدينة طرازاً جوهريًا وقابلاً للتطبيق في الحراك الهادف للتغيير السياسي طويل الأجل. الحجة الأولى، إن مركزية المدينة في السياق الاقتصادي والسياسي الحالي يجعلها موضوعًا مثاليًا للتنظيم الذي يمس هموم الحياة اليومية المباشرة (وبالتالي يجذب سكان المدن) بينما يواجه - في الوقت ذاته- قلب التحديات السياسية العالمية الحالية. ثانياً، يسمح اقتراب المطالب المدينية من الناس بوجود شكل من أشكال السياسة الأدائية التي يمكن الانتساب لها والفعالة والقادرة على زحزحة بعض المجازات الطائفية. ومع ذلك، لا تزال هناك تحديات كبيرة في لبنان، البلد الذي تعكس فيه أنماط التصويت علاقات زبائنية قوية بدلاً من طموحات الجموع.

يبدأ الفصل بعرض موجز للسياق الذي ظهرت فيه بيروت مدينتي. ثم ينتقل بعدها لتوضيح الحجج الدافعة بأهمية الحركة، وذلك قبل الانتهاء بالتعقيب على بعض ردود الفعل التي أثارتها الحملة، وأوجه قصور الحركة.

نشأة بيروت مدينتي

شهدت بيروت، في صيف 2015، أكبر احتجاجات لها منذ عقد. فلعدة أسابيع، تراكمت النفايات في جميع أنحاء المدينة بسبب امتلاء المكب الرئيسي، هذا وقد فشلت الحكومة، رغم سنوات من التحذيرات، في العثور على موقع جديد. ردت الحكومة- في ذلك الوقت - على الاحتجاجات المتصاعدة بالعنف. بينما بلغ الحراك ذروته في 28 أغسطس/ آب، عندما تدفق عشرات الآلاف من سكان المدينة إلى الشوارع مطالبين

[5] Earlier studies on Beirut Madinati include Mona Khneisser, "The Marketing of Protest and Antinomies of Collective Organization in Lebanon," Critical Sociology, 2018, 0896920518792069; Thanassis Cambanis, "People Power and Its Limits: Lessons from Lebanon's Anti- Sectarian Reform Movement," The Century Foundation, March 29, 2017, https://tcf.org/content/report/people-power-limits; Deets, "Consociationalism, Clientelism, and Local Politics in Beirut"; Mona Harb, "New Forms of Youth Activism in Contested Cities: The Case of Beirut," The International Spectator 53, no. 2 (2018): 74–93; and Deen Sharp, "Beirut Madinati: Another Future is Possible," Middle East Institute, September 2016, https://www.mei.edu/publications/beirut-madinati-another-future-possible.

باستقالة وزيري البيئة والداخلية. وكان في قيادة الاحتجاجات ائتلاف مؤقت مكون من مجموعات صغيرة، تعد «طلعت ريحتكم» الأشهر بينهم. ضم الائتلاف أيضًا سكاناً منظمين من الأحياء المتضررة، ومجموعات طلبة، وغيرهم[6]. قد تكون أكوام القمامة المبعثرة في كل ركن من أركان المدينة هي السبب وراء انطلاق المظاهرات، إلا أن الحركة سرعان ما ربطت بين استراتيجية المدينة الفاشلة لإدارة النفايات الصلبة وبين اختلاس أموال دافعي الضرائب، متحدية بذلك -بشكل عام- لثقافات الفساد والطائفية التي هيمنت على السياسة اللبنانية. منذ انتهاء الحرب الأهلية في عام 1990.[7] ونددد شعار كلون يعني كلون («جميعكم تعني جميعكم») بالطبقة السياسية برمتها، متحدًيا الانقسامات التي موضعت - بطريقة شكلية- الحياة السياسية في لبنان ومواطنيه على طول خطوط طائفية لولاءات إقليمية متعارضة.[8]

نجحت احتجاجات أغسطس/ آب 2015 في الجمع بين أفراد وجماعات، كانوا حتى ذلك الوقت يعملون بشكل متفرق. عندما لم تتم الاستجابة لمطالب المتظاهرين، بدأ النشطاء في مناقشة الخطوات القادمة، حيث اقترح البعض المشاركة في الانتخابات المحلية. إذا اقتفينا أثر الموضوع بشكل رجعي، سنجد أنه كان هناك القليل من الإجماع بين النشطاء حول اختيار الانتخابات البلدية كساحة جديرة بجهود التنظيم. حضرت شخصياً، في أعقاب الاحتجاجات، العديد من الاجتماعات التي ناقشت خيارات «الخطوات التالية». وفي ذلك الوقت، لم تحظ فكرة الترشح للانتخابات البلدية في العاصمة بتأييد كبير. إذ رفض البعض الهدف باعتباره غير طموح، بينما اعتقد آخرون أننا بحاجة إلى وضع الأساس لبرنامج وطني قادر على بناء إجماع متجاوز التحديات السياسية المثيرة للانقسام على الصعيد الوطني (مثل القضايا الجيوسياسية). في نهاية المطاف، قرر عدد قليل منا أن تكون خطوتنا التالية هي بناء تنظيم حول الانتخابات البلدية المقبلة. فيما انتظر معظم النشطاء الآخرين عدة أشهر قبل أن ينضموا ويصبحوا جزءاً من الحملة، التي تطورت فيما بعد لتصبح بيروت مدينتي. بينما ظل الشك سائداً -حتى بين

[6] Konstantin Kastrissianakis, “Exploring Ethnocracy and the Possibilities of Coexistence in Beirut,” Cosmopolitan Civil Societies: An Interdisciplinary Journal 8, no. 3 (2016): 59; Sharp, “Beirut Madinati.

[7] See Jeffrey G. Karam, “Beyond Sectarianism: Understanding Lebanese Politics through a Cross-Sectarian Lens,” Brandeis University Middle East Brief no. 107, April 2017, https://www.brandeis.edu/crown/publications/meb/MEB107.pdf; Bassel Salloukh et al., The Politics of Sectarianism in Postwar Lebanon (Cambridge, UK: Pluto Press, 2015).

[8] انقسمت الطبقة السياسية اللبنانية - منذ عام -2005 إلى تحالفين: 8 آذار (وهم داعمو التحالف الإقليمي بين سوريا وإيران) و 14 آذار (في إشارة إلى المناهضين لسوريا , الذين ينظر إليهم عادة على أنهم حلفاء المملكة العربية السعودية. والدول الغربية). يشمل تحالف 8 آذار الأحزاب السياسية الشيعية , أما الأحزاب السياسية السنية فهي في 14 آذار , بينما تتوزع الأحزاب المسيحية والدرزية بين التحالفين. هذه التحالفات بعيدة كل البعد عن أن تكون مستقرة/ عن الاستقرار، كما ظهر مؤخرًا في الانتخابات الوطنية حيث ترشحوا على قوائم انتخابية مماثلة في العديد من الدوائر الانتخابية. ومع ذلك , فإن توازن هذه الكتل أمر حاسم لاستمرار الوضع السياسي الحالي , الذي يمكن فيه تأجيل جميع القرارات حتى تتمكن المساومات فيما بينهم من تأمين مستوى ما من المساواة المتخيلة - كما جرى حديثاً من تأخير تشكيل الحكومة لمدة تسعة أشهر.

المنظمين الرئيسيين لبيروت مدينتي - سواء خلال الحملة أو بعدها حول قدرة حركة مدينية على أن تصبح محرضاً فعالاً للتغيير. أتذكر بوضوح إصرار بعض المنظمين الرئيسيين مرارًا وتكرارًا، في الأشهر التي سبقت انتخابات مايو/ أيار 2016، على أن بيروت مدينتي هي مجرد حملة، وأنه لن يكون لها وجود بعد الانتخابات. سمح هذا المنظور لهؤلاء المنظمين بأن ينحوا جانباً ما اعتبروه تباينات حادة في الآراء حول التحديات الوطنية الكبرى (ما قد يسميه البعض «السياسة الحقيقية») لبضعة أشهر، وخلال ذلك الوقت امتلكنا رفاهية التركيز على قضايا مدينية مشتركة. وسواء كانت هذه الانقسامات حقيقية أم لا، فإن «مفهوم المدينة» وفر قضية واضحة يمكن الحشد عليها وباستطاعتها التشبيك والتجسير بين معسكرات وطبقات وطوائف متعددة. وهنا برزت رؤية موحدة وقائمة مطالب متماسكة، كانت رسالتها الأساسية هي استراتيجية لتحسين التجربة المدينية من خلال تأمين خدمات وسبل عيش أفضل - وبالتالي، حياة أكثر كرامة للأغلبية الحضرية. ومع ذلك، فإن تنحية الأسئلة الوطنية المثيرة للانقسام جانباً ظل ممكناً فقط طوال المدة التي كانت الحركة فيها صغيرة، يُنظر إليها على أنها غير مهددة، وبالتالي غير جاذبة للحلفاء المحتملين الآخرين. بحلول الوقت الذي اكتسبت فيه حملة «بيروت مدينتي» زخماً أكبر، تم التقرب منا بغرض تشكيل تحالفات - معلنة أو خفية- سواء مع مجموعات معارضة أخرى تتطلع إلى تقديم مرشحين أو مع شخصيات بارزة في الأحياء يمكن أن يكونوا جزءًا من قائمة مرشحي بيروت مدينتي. عبر عدة مخاتير (ممثلين محليين) ممن خاضوا معنا نفس الانتخابات عن اهتمامهم بتشكيل تحالفات مشتركة. سرعان ما أصبحت هذه الفرص أكبر تهديد للتماسك الداخلي للحملة، نظراً لاختلاف قراءات الأعضاء الرئيسيين لتداعيات أي انحياز قد يفسره مؤيدو الحملة على أنه تقارب مع أي من المعسكرات السياسية التقليدية. في النهاية، اختارت الحملة عدم الانحياز لأي من المجموعات الخارجية. لا يزال البعض يعتقد أن هذا القرار أنقذ نزاهة الحملة، في حين يرى البعض الآخر أن هذا الأمر أفقدنا بضعة مقاعد في مجلس البلدية الحالي.

من خلال النظر للأمر الآن من الواضح أنه بدلاً من بناء إجماع سياسي جديد، اعتمدت حملة بيروت مدينتي على الحملات السابقة التي نظمت في المدينة منذ نهاية الحرب الأهلية. جانب رئيسي من هذه الحملات كان المطالبات المتصلة بما هو مديني والتي مثلت قلب التعبئة الجوهرية منذ عام 1991. وأبرزها شمل مجموعات مقاومة مخططات شركة القطاع الخاص سوليدير لإعادة إعمار القلب التاريخي لمدينة بيروت بعد الحرب، إلى جانب حملات الحفاظ على التراث، والحركات المقاومة للطرق السريعة، وحملات الفضاء العام والتحكم في الإيجار. وكان من بين المنظمين

الأوائل نشطاء كانوا منخرطين في قضايا علمانية، بما في ذلك مجموعات طلابية. إلا أنه، باكتساب الحملة مكانة أبرز، جذبت أعضاء من المجتمع المدني الحيوي، ممن يدعمون الحياة الثقافية وحقوق النساء وحقوق مجتمع الميم (المثليين والمثليات وثنائيي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية وأحرار الجنس الكويريين)، وحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، وغيرهم. كما استقطبت الحملة العديد من النشطاء التواقين إلى استعادة النظام الانتخابي الديمقراطي في حقبة ما بعد الحرب، بما في ذلك بعض الحركات التي تطالب بإعادة الانتخابات المحلية وتلك التي تعمل من أجل شفافية الانتخابات.[9]

غير أن بيروت مدينتي قدمت بعدًا مختلفًا لهذه الحركات التعبوية. فهي نقلت موضع القائمين على الحشد في هذه المجموعات من نشطاء إلى فاعلين إلى سياسيين يتحدون بشكل حاسم النخبة الحاكمة من خلال المشاركة المباشرة كمتنافسين في الانتخابات. قامت الحركات الاحتجاجية السابقة إما بصياغة التحديات الجماعية على أنها مطالب أو ضغوط يمنحها السياسيون، أو وضعوا أنفسهم «كمراقبين موضوعيين» لمراقبة الإجراءات القانونية الواجب اتباعها. لكن بيروت مدينتي كانت الحاضنة لبديل سياسي حيوي قوامه مجموعة متماسكة لما كان يوصف مراراً بأنهم مرشحين «أكفاء» و «ونزهاء». وحتى ذلك الحين، كانت تحديات الانحيازات السياسية تتم فقط من خلال عمل بعض الأفراد المؤثرين، لكن ليس أبداً من خلال برنامج سياسي.

في هذا السياق، ليس من المستغرب أنه بمجرد انتهاء الانتخابات، كان من الصعب على بيروت مدينتي أن تظل متماسكة، ذلك على الرغم من أن رسالتها حصدت أكثر من ثلث أصوات المدينة. فمن ناحية، مارست التوقعات الشعبوية لسكان المدينة من الحركة ضغطا على النشطاء للعب دور لم يكونوا قادرين عليه مؤسسياً وغير معدين للقيام به شخصياً. بينما علق الكثيرون منا حيواتهم المهنية والشخصية وتطوعوا كمنظمين متفرغين طوال فترة الحملة، فقد اضطررنا إلى العودة إلى ما يشبه حياتنا الطبيعية بعد الانتخابات. ومع ذلك فإن ما كان يصور غالبًا على أنه خلافات فردية، أو بسخاء أكثر، إنهاك الناشطين، كان قناعاً لتوترات أكثر عمقًا ظهرت أثناء الحملة - سواء حول أساليب التنظيم أو تبعات حراك بيروت مدينتي على المشهد السياسي. هل كان تحدي المجلس البلدي في بيروت بذرة لتطوير دولة علمانية مستقلة ذات برنامج سياسي جديد؟ أم أنه كان مجرد زعزعة استقرار

[9] On these campaigns, see Harb, "New Forms of Youth Activism in Contested Cities"; Saree Makdisi, "Laying Claim to Beirut: Urban Narrative and Spatial Identity in the Age of Solidere," Critical Inquiry 23, no. 3 (1997): 661–705; Sharp, "Beirut Madinati"; Abir Saksouk-Sasso, "Making Spaces for Communal Sovereignty: The Story of Beirut's Dalieh," Arab Studies Journal 23, no. 1 (2015): 296; and Nadine Bekdache, "Evicting Sovereignty: Lebanon's Housing Tenants from Citizens to Obstacles," Arab Studies Journal 23, no. 1 (2015): 320.

للتوازن الهش للنخبة السياسية، ربما لصالح حزب الله الذي يتمتع بقوة أكبر من خلال إضعاف منافسه البيروتي، تيار المستقبل؟

مع اقتراب الانتخابات النيابية، أصبح سؤال إلى أي حملة وطنية سننحاز وكيف ستواجه - هذه الحملة- التحديات الوطنية (مثل الحرب في سوريا أو تسليح حزب الله) أكثر إثارة للانقسام من ذي قبل. المثير للاهتمام، أن الانقسام لم يكن حول كيفية الاستجابة لهذه التحديات، وهي نقطة خلافية اتفق عليها معظم الأعضاء إجمالاً، ولكن حول ما إذا كان من الممكن خوض الانتخابات دون أن نجعل هذه التحديات عناصر أساسية لحملتنا. بمعنى آخر، لم يكن واضحًا ما إذا كان خطاب بيروت مدينتي -المرتكز على المدينة- يمكن أن يشكل مادة كافية للسياسة الوطنية. وفضل العديد من نشطاء بيروت مدينتي فصل القضايا المدينية عن البرامج الوطنية، وبدأ العديد منهم حملات خارج النواة التنظيمية للحركة. كان لهذا التشكك بعض الصدى داخل المدينة، حيث اختلف مؤيدو الحركة أحيانًا حول ما إذا كان الترشح للانتخابات الوطنية قرارًا جيدًا، بالنظر إلى اللغة المدينية التي وسمت بيروت مدينتي. ومع ذلك، بدا أن هناك دعمًا غامراً لبيروت مدينتي لتقديم المرشحين.

يجعل هذا التشكك القائم حول إمكانات حركة قائمة على أساس مديني في تشكيل قاعدة هوية سياسية جمعية من الضرورة بمكان التفكير في إمكانات وأوجه قصور هذا الشكل من التنظيم، نظراً لأننا نبحث عن بدائل للأطر المهيمنة على التفكير في الهويات الجماعية والحراك. يقدم القسم التالي إطارًا للتفكير حول إمكانات الحركات القائمة على أساس مديني، قبل الانتقال إلى تحليل لمدينة بيروت.

المواطنة المدينية كإطار

إن الافتراض القائل بأن الانتماء والتنظيم الجماعيين يمكن أن يرتكزا على الإقامة التشاركية بدلاً من الهوية الوطنية، غالباً يسبق أي شكل آخر من أشكال التنظيم السياسي المرتبط بالمكان. الصياغات المبكرة للمواطنة الحضرية - أو» المواطنة المدينية» - التي عادة ما يرد تاريخها إلى المدينة- الدولة الإغريقية - مبنية على نموذج الديمقراطية الإغريقية (بقدر عدم اكتمال ذلك النموذج)، والذي يجتمع فيه أصحاب الأملاك من الذكور -كذوات سياسية- ليقرروا بشكل جماعي طريقة إدارة أراضيهم.[10] يفترض هذا النموذج -وفقاً لطرح هانا أرندت- أنه بدلاً من العيش معًا ببساطة بدافع الملاءمة أو الضرورة، فإن

[10] Rainer Baubock, “Reinventing Urban Citizenship,” Citizenship Studies 7, no. 2 (2003): 139–60; and Monica W. Varsanyi, “Interrogating ‘Urban Citizenship’ Vis-à-Vis Undocumented Migration,” Citizenship Studies 10, no. 2 (2006): 229–49. Many others have used the term “city-zenship.” See, for example, Michael Keith, “City-zenship in Contemporary China: Shanghai, Capital of the Twenty-First Century?,” in The New Blackwell Companion to the City, ed. Gary Bridge and Sophie Watson (Hoboken, NJ: Blackwell, 2012): 398–406.

الناس تجتمع أيضًا للتحدث والقيام بأفعال سوياً، بعبارة أخرى، التصرف كذوات سياسية[11]. وسيطرت فكرة مساواة المدينة بالمجتمع المنظم على عمل العديد من المفكرين الاجتماعيين الذين اعتبروا المستوطنات الحضرية مرآة للحياة الاجتماعية، واستمر ذلك حتى ظهور نموذج الدولة كشكل عالمي للمواطنة في القرن العشرين.[12]

في أعقاب تهميشها على مدار القرن الماضي بسبب سيطرة النطاق الوطني، أعيد إحياء فكرة المواطنة المدينية في العقود الأخيرة من خلال اتجاهين على الأقل. الأول، نموذج «تقهقر الدولة» والذي حاز شعبية من خلال الحلول التنموية للمنظمات الدولية في الثمانينيات، ثم تبعتها في التسعينيات تعويذة اللامركزية، والتي ركزت على دور السلطات المحلية في إدارة المناطق وسكانها.[13] أعادت المناقشات المهيمنة في مجالات السياسة والتخطيط والجغرافيا، بالإضافة إلى توصيات أوراق السياسات التي أصدرتها الوكالات العالمية، أعادت تعزيز مكانة المدن كنطاق للحكم، وأبرزت مكانة القائمين على السلطة المحلية كمديرين ديمقراطيين للفضاءات المدينية، وكذلك كرواد أعمال يعملون على جذب الاستثمارات العالمية إلى مدنهم (بدلاً من دولهم ككل). أنتجت الموازنات التشاركية وجلسات الاستماع العلنية تأييداً قوياً لفكرة الإدماج، لاسيما في المدن التي تتميز بقدر كبير من الحركية، والتي انخرطت في جدالات حول من يحق له التصويت وكيف. أما في الشرق الأوسط، حيث تتسع المسافة بين صانعي القرار والمواطنين بشكل فج، فقد اكتسبت السلطات المحلية اهتمامًا خاصًا لدى الأكاديميين والنشطاء. كان هذا هو الحال على وجه الخصوص بعد أن أبرزت انتفاضات الربيع العربي ضرورة وجود حكومة أكثر ديمقراطية (على مستوى المطالب على الأقل، إن لم يكن على مستوى الممارسة).

بالإضافة إلى ذلك، اكتسبت المدن أهمية كمساحات للحراك الشعبي بسبب مركزيتها بالنسبة للمشروع النيوليبرالي الحالي. وبوصفها مواقع بارزة لاستيعاب الاستثمارات الأجنبية والمحلية، كانت الأراضي الحضرية في قلب عملية زيادة حجم القطاع المالي في الاقتصاد العالمي.[14] وغالبًا ما كان الارتفاع في قيمة للأراضي الحضرية يحدث على حساب الأدوار الاجتماعية (الحاسمة) التي تلعبها الأرض كمكون أساسي للمأوى ومساحة العمل

[11] Hannah Arendt, The Human Condition (Chicago: University of Chicago Press, 2013). See also Engin Fahri Isin, Being Political: Genealogies of Citizenship (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2002).

[12] Richard Sennett, Classic Essays on the Culture of Cities (Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 1969).

[13] يرتبط تعبير «تقهقر الدولة» غالبًا بعصر تاتشر - ريغان، ويشير إلى الضغوط التي تمارسها المنظمات الدولية والشركات عبر القومية لتقليص حجم الحكومات، كشرط مسبق لتقديم المساعدات في كثير من الأحيان

See, for example, Jonathan Pugh and Robert B. Potter, "Rolling Back the State and Physical Development Planning: The Case of Barbados," *Singapore Journal of Tropical Geography* 21, no. 2 (2000): 183–99

[14] David Harvey, "Neoliberalism and the City," Studies in Social Justice 1, no. 1 (2007): 2–13.

واللعب - وبالتالي تقويض إمكانيات توفير سبل عيش كريمة لمعظم سكان المدن. شهدت العديد من مدن العالم الجنوبي، بما في ذلك مدن الشرق الأوسط مثل بيروت وعمان واسطنبول والقاهرة، تحول اقتصادياتها إلى الإنشاءات والاستثمار العقاري، إذ تصبح المدينة الموقع الأمثل لانتزاع القيمة وتراكم رأس المال. بشكل أعم وكما عبر الباحثان مايكل هارت وأنتونيو نيغري ببلاغة، أضحت المدينة بالنسبة إلى الجموع ما كأنه المصنع بالنسبة للطبقة العاملة الصناعية».[15]

في هذا السياق، كانت هناك عودة إلى المواطنة المدينية، تميزت هذه العودة بإعادة إحياء شعار «الحق في المدينة» الشهير لهنري لوفيفر - وهو الشعار الذي قدمه الفيلسوف الفرنسي في عام 1968 والذي سيطر على خيال الأكاديميين والناشطين والمنظمات الدولية في العقود الأخيرة. منح لوفيفر مفهومه الأساسي إمكانات انقطاعية/ مزعزعة تنطوي على التحرر من كل من قواعد السوق والدولة. لكن في الاستخدامات الحديثة لهذا الشعار، نجد أنه تم تجريده من هذه المضامين. إلا أنه مع ذلك ما زال يحتفظ بمعنى مرتبط بنطاق معين من التنظيم السياسي المتمحور حول الإقامة في مساحات تتميز بالكثافة العالية والتنوع والحركية كأساس لفكرة «التواجد معاً» وصياغة مطالب جماعية بغض النظر عن المواطنة المتعلقة بالدولة أو وضع الإقامة القانوني. تستخدم المواطنة الحضرية غالبًا لاستدعاء حالة من العضوية -سواء كانت هذه العضوية رسمية أو غير رسمية - في نظام سياسي محدد جغرافياً. ويشمل هذا النظام عادة عدة مطالب جوهرية. هذه المطالب تتعلق بأشياء، مثل الحق في السكن، وهي المطالب المهددة حاليًا من قبل نماذج التوسع الحضري الحصرية الناجمة عن الاتجاهات السائدة في الاقتصاد العالمي، مثل الارتقاء المديني وسيطرة القطاع المالي على الأراضي.

أحد أكثر الأبعاد شيوعًا للصياغات المتعددة الحالية للمواطنة الحضرية هو التركيز على العملية ذاتها أكثر من الوضع فيما يخص التطوير المفاهيمي للمصطلح[16]. ومن هنا، جاءت فكرة الجغرافي السياسي أورين يفتشيل بأن «المواطنة المدينية» تدل على «صراع متقاطع مع ماديات وهويات وسياسات الحياة الحضرية، وليس في المجالات القانونية والبيروقراطية لمؤسسات الدولة»[17]. المواطنة الحضرية هي إذن ليست حقاً يمرر بالولادة أو يتم التحصل عليه من خلال خطوات قانونية محددة بوضوح. لكنها مطلب يتم طرحه من خلال الأفعال التي

[15] Michael Hardt and Antonio Negri, Commonwealth, First Harvard University Press paperback ed. (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2011).
[16] Michael Hardt and Antonio Negri, Commonwealth, First Harvard University Press paperback ed. (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2011).
[17] Oren Yiftachel, "Epilogue—From 'Gray Space' to Equal 'Metrozenship'? Reflections on Urban Citizenship," International Journal of Urban and Regional Research 39, no. 4 (2015): 726–37.

يقوم بها الأفراد والجماعات لاستغلال الفرص السانحة أمامهم في المدينة تدريجياً، أو لتشكيل فرص جديدة من خلال ما وصفه عالم الاجتماع إنجين فهري إيسين ب «أفعال المواطنة».[18] احتلال قطعة من الأرض لبناء منزل، على سبيل المثال، أو مقاومة العزل السكني والمطالبة بالوصول إلى الخدمات، جميعها أفعال تمثل السعي لاستعادة الحق في الوصول إلى الأماكن والفضاءات المختلفة. وبالتالي، فهي ممارسات مكوِّنة للمدينة آو كما يصفها عالم الأنثروبولوجيا جيمس هولستون «مواطنة متمردة»[19]. وبالمثل، فإن «السباكين والكهربائيين يجاهدون» في مدينة ديربان، جنوب أفريقيا، لتوصيل الزبائن غير القادرين على دفع الفواتير بالشبكة الرئيسية للمدينة، مؤكدين بذلك حقوقهم كمواطنين للمدينة بدلاً من كونهم زبائن.[20] في أماكن أخرى، في مدن الشمال، يطرح آخرون فكرة أن المشاركة في الاحتجاجات العامة أمر يسترد به الفرد حقه في العيش دون تجريم محولاً حالته كلاجئ أو مهاجر غير قانوني إلى شكل من أشكال استعادة الانتماء أو المواطنة الحضرية.[21]

من المرجح أن إسين هو الكاتب الأغزر إنتاجاً فيما يخص المواطنة الحضرية! وعلى الرغم من أنه يطرح بأنه لا ينبغي تفسير المواطنة الحضرية على أنها بديل أو معكوس الانتماء الوطني، إلا أنه يؤكد أن هذا النوع من المواطنة يستدعي مخزوناً بديلاً من الأفعال التي تضع احتلال الأراضي والمظاهرات محل القنوات الرسمية المشروعة. «في حين أن ممارسات المواطنة مثل التصويت أو دفع الضرائب أو تعلم اللغات تبدو سلبية وأحادية الجانب في الديمقراطيات الجماهيرية، فإن أفعال المواطنة تحيد عن تكرار نفس الشيء وبالتالي فهي تتوقع ردود فعل من خصوم خياليين ولكن ليسوا وهميين.»[22]

حتى مع هذا المنظور النظري، ليس من الواضح بالضرورة أن التصويت هو فعل مواطنة معتاد وفعال في كل مكان، أو أنه لا يمكن تفسيره على أنه عمل مقاومة. يتطلب إصدار مثل هذا الحكم تقييم «فرص» التصويت وتحديد الحركات التي تجسد وجهات نظر الفرد. من خلال تجربة مدينتي بيروت، آمل من خلال الأدبيات الخاصة بالمواطنة الحضرية أن أوضح أهمية «التجارب اليومية» والحراك الأدائي في تكوين الذوات والجماعات السياسية.

[18] Engin Fahri Isin and Greg Marc Nielsen, eds., Acts of Citizenship (London and New York: Zed Books, 2008).
[19] James Holston, "Insurgent Citizenship in an Era of Global Urban Peripheries," City & Society 21, no. 2 (2009): 245–67.
[20] Miraftab and Wills, "Insurgency and Active Citizenship."
[21] Varsanyi, "Interrogating 'Urban Citizenship'"; and Thomas Swerts, "Creating Space for Citizenship: The Liminal Politics of Undocumented Activism," International Journal of Urban and Regional Research 41, no. 3 (2017): 379–95.
[22] Isin and Nielsen, Acts of Citizenship, 2.

المطالب الحضرية باعتبارها مطالب جوهرية

في لبنان، حيث ترتبط السياسة بالفساد ويتم السخرية منها عادة بوصفها «بالوسخة/القذرة» (بما في ذلك الحركات والنقابات العمالية المخترقة بقوة من قبل السياسات الطائفية)، كان التحدي الهائل أمام بيروت مدينتي هو إقناع الناخبين بإمكانية التغيير من خلال صندوق الاقتراع.[23] كان النجاح محدوداً على هذا الصعيد، إذ أدلى أقل من 20 في المئة من الناخبين بأصواتهم في انتخابات عام 2016. ولكن ربما كان الإنجاز الرئيسي للحركة هو إعادة تركيز النقاش السياسي خلال الانتخابات البلدية (وإلى حد ما، منذ ذلك الحين) على ما عرفته بيروت مدينتي بأنها السياسات المرتكزة على الشعب: والتي تتخذ من سبل العيش اليومية في إطار جماعي منتج حول المدينة أساساً لتنظيمها. من خلال الترويج لإمكانية العيش معًا في إطار من الحياة اليومية المحسنة (عن طريق النصوص والصور)، حاولت بيروت مدينتي إقناع المواطنين بإمكانية الانخراط في العملية السياسية من خلال تجاوز «إعلان ما هو خاطئ».[24] بعبارة أخرى، تجاوزت الحملة إدانة الطائفية أو سياسات الهوية أو الفساد للتركيز على الأبعاد الجوهرية للمواطنة المدينية وحقوق سكان المدينة في العيش بكرامة. تجسد ذلك في خارطة طريق برنامج بيروت مدينتي المكون من عشر نقاط، والذي كان جوهر خطاب الحملة. أشعلت الحركة الأمل من خلال مساعدة سكان المدينة على تخيل إمكانية وجود بديل للسياق الحالي، محفزة جمهورها عن طريق استخدام صور ومقاطع فيديو تصور مدينتهم بشكل أكثر إشراقاً. وجدت هذه الرسالة صدى مهما عند لسكان بيروت الذين شاهدوا بأعينه جودة حياتهم اليومية تتدهور بشكل حاد على مدار العقد الماضي، والذين ربطوا هذا التدهور بفساد نوابهم المنتخبين. ومن هنا، جاء الكثير من مؤيدي حملة بيروت مدينتي الأوائل من الطبقات المتوسطة الميسورة نسبيًا، إذ كان بإمكانهم أن يتماهوا على الفور مع تدهور الأوضاع الحضرية كمشكلة رئيسية- ربما أكثر من الطبقة العاملة، الذين ربما كانوا أكثر اهتمامًا بتوفير العيش.

يمكن النظر إلى البرنامج الموضوعي للحركة باعتباره نقداً للنظام الاقتصادي؛ فكما ناقشنا أعلاه، تقع المدينة في قلب المشروع النيوليبرالي.[25] كثفت فترة ما بعد الحرب. في لبنان، ممارسات المضاربة في إدارة الأراضي، وخصخصة المساحات المشتركة والعامة، وحصر الممتلكات في أيدي عدد قليل، وتحويلها

[23] See Domaradzka, "Changing the Rules of the Game"; and Deets, "Consociationalism, Clientelism, and Local Politics in Beirut."
[24] Jacques Rancière, Disagreement: Politics and Philosophy (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999).
[25] Harvey, "Neoliberalism and the City."

إلى القطاع المالي بعد أزمة 2008.[26] لقد تم تهجير العديد من ناخبي المدينة إلى الضواحي بسبب تكلفة السكن التي لا يمكن تحملها، بينما كافح آخرون للحفاظ على تجاراتهم على الرغم من الإيجارات الضخمة. ومثلت حقيقة أن المدينة تقع في جوهر منطق الرأسمالية النيوليبرالية، أن تجييش الحراك داخل أنحاء المدينة يعني أيضًا حراكاً ضد منطق السياق النيوليبرالي. كان النشطاء ومؤيدوهم يقومون باستعادة القيمة الاجتماعية للأرض والشعور العام بأن المدينة هي مكان لصنع الحياة: مكان عمل ومكان لبناء حياة الفرد.[27]

بصرف النظر عن محتوى البرنامج، سمحت لغة الحملة بالاشتباك مع السياسة وحاولت أن تحوز على قبول واسع، وتخلت عن االمجازات الطائفية التقليدية والمفردات المستغلقة للصحفيين والسياسيين. تحدثت مدينتي بيروت عن الاحتياجات اليومية (مثل الاختناقات المرورية وأزمة الإسكان) أو المخاوف الصحية (مثل تلوث المياه والهواء) وشجّعت سكان المدينة على الانضمام إلى المطالبة بالحقوق الأساسية التي ينبغي لهم الحصول عليها على أساس إقامتهم في المدينة أو الانتماء إليها. وبذلك جعلت الحركة «ما هو سياسي» ممكناً. إذ لا يحتاج المرء إلى معرفة مسبقة بتاريخ الشخصيات العامة المعقد آو خلفياتهم، أو لأن يكون ملماً برطانة حديث تقاسم السلطة الطائفي، ليعبر عن دعمه لحركة تتحدث بلغة شابة وجديدة وسهلة وتدعو سكان المدينة للمشاركة في مواجهة التحديات المستمدة من تجاربهم اليومية.

عرضت بيروت مدينتي صورة مغرية على وسائل التواصل الاجتماعي لـ «حركة شابة». وارتدى مرشحو الحملة ملابس غير رسمية بدلاً من البدلات، واعتمدوا على العامية العربية وشعارات الشارع.. كانوا يصدرون باستمرار صورة تعزز المساواة بين الجنسين، وألمحوا أحيانًا إلى دعم حقوق مجتمع الميم. ودعوا مرارًا مؤيدي الحملة للمشاركة في محادثاتهم من خلال العديد من الوسائل- مشاركة منشور، والتقاط صورة، وتصوير فيديو. استحضر كان هذا النهج جاذباً بشكل خاص للجموع الشابة، الذين سرعان ما توافدوا أفواجاً إلى المقر الرئيسي لبيروت مدينتي لتقديم الدعم. كانت الاستجابات الفردية، على وسائل التواصل الاجتماعي، وفيرة بالقدر ذاته، مع خلال العديد من الصور المرئية والرسائل ومقاطع الفيديو والرسوم المتحركة والتي

[26] On the privatization of shared spaces, see Ussama Makdisi, "The Modernity of Sectarianism in Lebanon," Middle East Report 26 (1996): 23–26; and Najib B. Hourani and Ahmed Kanna, "Neoliberal Urbanism and the Arab Uprisings: A View from Amman," Journal of Urban Affairs 36, sup. 2 (2014): 650–62. On the consolidation of property ownership, see Mona Fawaz, Marieke Krijnen, and Daria El Samad, "A Property Framework for Understanding Gentrification: Ownership Patterns and the Transformations of Mar Mikhael, Beirut," City 22, no. 3 (2018): 358–74. On the financialization of property, see Krijnen, "The Urban Transformation of Beirut: An Investigation into the Movement of Capital" (PhD diss., Ghent University, 2016); and Bruno Marot, "Growth Politics from the Top Down: The Social Construction of the Property Market in Post-War Beirut," City 22, no. 3 (2018): 324–40.

[27] Harvey, "Neoliberalism and the City."

يتم نشرها يوميًا من قبل الأشخاص الذين يتوقون إلى إظهار الدعم، حتى وإن كانوا يعيشون في الخارج. كان هذا جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية الاتصالات الخاصة بالحملة فيما يخص تسويقها وتصميمها. والتي ثمنت التعاون: الاحتفاظ بشعار قوي مع السماح بالإنتاج اللامركزي ومجموعة متنوعة من طرق المشاركة، بما في ذلك مناظرات الأحياء.[28]

على الرغم من الاعتراف بأن الظروف المعيشية السيئة كانت مستمدة من هيمنة القطاع المالي واعتماد الطبقة السياسية على المصالح الطائفية للحفاظ على سيطرتها، ركزت رسائل الحملة الانتخابية في الغالب على استراتيجيات للتطوير المكاني والاجتماعي للمدينة، وعلى إيمانها بخبرات الأربعين خبيراً الذين كتبوا برنامج بيروت مدينتي، وعلى قدرة مرشحيها على تنفيذه. الاستجابة الإيجابية لهذه الاستراتيجية تمثلت أوضح ما يكون في حقيقة أنه، ولأول مرة في زمن ما بعد الحرب، أصدرت اللائحة المدعومة من المؤسسة الرسمية «برنامجاً انتخابياً» قبل أسبوعين من الانتخابات، يعدد التدخلات التي سينفذونها في المدينة، مثل المساحات الخضراء والتنقل الأفضل. تم استعارة العديد من هذه التدخلات مباشرة من برنامج بيروت مدينتي، مما أدى على الفور إلى حملة ناقدة بهاشتاج «#copy_paste» «قص ولصق» نجحت نجاحاً كبيراً على وسائل التواصل الاجتماعي.

باختصار، قدمت المدينة المادة التي أتاحت تصميم حملة حولها بلغة جامعة وسهلة. في نهاية المطاف كان ينظر إلى مطلب بـ «الحق في حياة كريمة في المدينة» كجزء من «أداء» ما هو سياسي، وهو الأداء الذي ركز على الأبعاد الجوهرية للمواطنة المدينية بدلاً من حالة المواطنة التي يتم منحها الشخص بالوراثة والمتشابكة مع انقسامات السلطة المحلية. أنتقل الآن إلى هذا الجانب الأدائي.

المواطنة المدينية باعتبارها احتجاجاً انقطاعياً

كانت بيروت مدينتي حملة انتخابية رسمية. في بدايتها، كانت أنشطتها تقع ضمن المنظومة التقليدية لأنشطة المواطنين، مثل الحملات الانتخابية أو التصويت. لكن في الوقت نفسه استعارت كلا من الحملة والحركة التي حملت اسمها لاحقاً استراتيجيات من الاحتجاجات والأفعال الانقطاعية لتفعيل الأبعاد الأدائية للمواطنة. يمكن تصنيف هذه الأبعاد الأدائية في فئتين.الأولى، اعتماد الحركة على «أفعال مسرحية» تستحضر من خلالها إمكانية وجود ديمقراطية. كان هذا الأمر - جزئياً- ضرورة، فالتنظيم المجتمعي كان صعبًا بالنظر إلى ضآلة الموارد وإمكانية الوصول المحدودة إلى

[28] Ian Akerman, "Beirut Madinati and the Politics of Design," Campaign Middle East, May 27, 2016, https://campaignme.com/2016/05/27/110419/beirut-madinati-and-the-politics-of-design/.

بعض أحياء المدينة، الواقعة تحت سيطرة الساسة الأقوياء الذين عارضوا وجودنا وحتى حملتنا الانتخابية من الأساس. وهكذا، استثمرت بيروت مدينتي في صورة حركة ديموقراطية طُرِحت أولاً من خلال منصات التواصل الاجتماعي، ولاحقاً -مع تزايد الاهتمام بأنشطتها- عبر منافذ الأخبار الرئيسية في البلاد. كانت قائمة مرشحي الحملة عبارة عن طيف ملون واسع من المعماريين ومخططي المدن والمهندسين والأطباء والفنانين والمحامين وصياد سمك، الجدير بالذكر، إن كفاءات هؤلاء المرشحين أشاعت أملا في التغيير، ففي الوقت الذي اعتاد فيه سكان المدينة على التفكير في كل مرشح باعتباره «ممثلاً» لحزب سياسي معين ومجموعة طائفية معينة، كانت قائمة مرشحي بيروت مدينتي متماسكة ومهنية. استندت هويات أعضائها على مساراتهم الشخصية واشتباكهم مع المجال العام، وتم جمع هذه العناصر في برنامج متآلف يسعى للتغيير الحضري. بالإضافة إلى ذلك، كان نصف المرشحين من النساء، مما يعزز المساواة في مجتمع أبوي التمثيل النسائي فيه بائس. وأضفى تنوع خلفيات المرشحين المهنية هالة من الدمج غير المعتادة في لبنان. ضمت قائمة المرشحين الممثلة المشهورة نادين لبكي، والموسيقي ذائع الصيت أحمد قعبور. ورئيس تعاونية الصيادين في أحد أحياء بيروت، نجيب الديك؛ وأمل الشريف، وهي مدافعة مخضرمة عن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة وتتحرك من خلال كرسي متحرك. كانت هناك أيضا مناظرات عامة تذهب فيها المجموعة إلى الشوارع لملاقاة سكان الحي ومناقشتهم في تحديات الحياة اليومية داخل أحيائهم. رافق هذه الزيارات ممثل شاب موهوب، تمكن من تحويلها إلى عروض عامة بارزة جذبت اهتمام وسائل الإعلام على الرغم من تفاوت مستويات مشاركة السكان من حدث إلى آخر. مكنت هذه الزيارات المجموعة من تطوير أجندتها الخاصة بالحراك على مستوى الشارع، وهو الأمر الذي نال استحسانا واسع النطاق ومنح الحملة هالة من الحراك الشعبي الفعال.

الفئة الثانية، هي تحدى بيروت مدينتي لقواعد اللعبة الانتخابية، وخاصة التصنيفات الطائفية والمناطقية التي يجب من خلالها عادةً على المواطنين اللبنانيين توجيه تصويتهم. فالقاعدة في لبنان، أنه على المواطنين عمومًا التصويت في منطقة أصول عائلاتهم، سواء في الانتخابات المحلية أو الوطنية. وعلى الرغم آنه الممكن من الناحية القانونية الشخص أن ينقل تسجيله، إلا أن العوائق الإدارية الجمة تجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيق مثل هذه الشيء.[29] ونتيجة لذلك، فإن الانتخابات المحلية في لبنان لا تمثل السكان الفعليين للمدينة، خاصة في المدن الكبرى مثل بيروت، حيث

[29] Mona Harb and Sami Atallah, Local Governments and Public Goods: Assessing Decentralization in the Arab World (Ras Beirut: The Lebanese Center for Policy Studies, 2015); and Abu-Rish, “Municipal Politics in Lebanon.”

ترتفع معدلات تنقل السكان. فمعظم سكان المدينة ليسوا مؤهلين للتصويت في الانتخابات المحلية. ومما يضاعف المشكلة، إن تكاليف الأراضي الباهظة في العاصمة دفعت العديد ممن كانوا سيصبحون ناخبين مؤهلين إلى خارج الحدود الإدارية للعاصمة. وبالتالي، تُعيد الانتخابات المحلية إنتاج التوازن الطائفي المحدد وفقاً للتقسيمات المناطقية التاريخية، عن طريق الحفاظ على مجموعة مستقرة نسبيًا من الناخبين في كل منطقة.

صنعت بيروت مدينتي صدعاً في هذا الواقع من خلال عمل عروض عامة للتحريض السياسي ضمت سكان المدينة الذين لا يمكنهم لا التصويت ولا الترشح في الانتخابات البلدية في بيروت. كان هذا تحديًا لقواعد السياسة الانتخابية المحلية في لبنان، نجحنا من خلاله في تسليط الضوء على عبثية الحدود الطائفية للتمثيل السياسي. لإعطاء أمثلة قليلة على ذلك: لم يكن أي من الناشطين الأول في الحملة ينتمون إلى «عائلات المدينة» التقليدية - هؤلاء البيارتة «الأصليين» الذين يتتبعون نسبهم الحضري إلى العصور الاستعمارية أو ما قبلها. والأكثر من ذلك، أن معظم هؤلاء النشطاء لم يصوتوا حتى في بيروت. وشمل ذلك منسق الحملة ومحامي الحملة ومنسقي البرامج والاتصال. فجميعنا ولدنا وترعرعنا في بيروت ونعتبرها مدينتنا، لكن لا يحق لأي منا الترشح أو التصويت في مسقط رأسنا. علاوة على ذلك، خلال الإطلاق الشعبي الأول للحركة، لم يكن أربعة متحدثين من الخمسة ممن يحق لهم للمشاركة في انتخابات بيروت. كان يمكن لهذا الوضع أن يؤدي إلى إحجامنا عن الانخراط المباشر في السياسة المحلية - وبالفعل، ولسنوات عديدة كان معظم الناس مترددين حيال الأمر. ولكن بدلاً من ذلك، سعى أعضاء الحملة إلى إظهار المفارقة الناجمة عن أوضاعهم، ملوحين برسالة مفادها أن إعادة امتلاك مدينة صالحة للعيش من خلال حملة انتخابية هو أمر يتعدى أكثر من مجرد حصد الأصوات. وبشكل عام، لم يكن لأكثر من نصف منظمي الحملة ومؤيديها الحق في المشاركة المباشرة في انتخابات بيروت. ومع ذلك، فإنهم بمشاركتهم في التفكير وصياغة الرسالة وتسجيل الناخبين وجمع التبرعات والجوانب الأخرى للحملة تحدوا القيود المفروضة على من يستطيع التحدث عن وإلى المدينة ومن يمكنه المشاركة في السياسة المحلية.

إن العرض المرئي لهذه المشاركة خارج فعل التصويت يشير إلى أفعال السياسة الأدائية الأخرى حيث يستند مغزى المشاركة السياسية على تحويل التحدي إلى «فعل». يسمح هذا بمناقشة المشاركة السياسية من خلال التركيز على «الأفعال» الحقيقية التي يكون كل فرد على استعداد للقيام بها، ويتخطى تصوير المجتمع في ثنائية المواطن وغير المواطن.[30] على سبيل المثال ، وصفت

[30] Isin and Nielsen, Acts of Citizenship.

عالمة السياسة مونيكا فرساني مظاهرات المهاجرين غير الموثقين في الولايات المتحدة على أنها عملية يصبح من خلالها هؤلاء الأفراد مرئيين , ويستردون الساحات العامة , ويطالبون بحقوقهم في أن يكون لهم مطالب كمواطنين.[31] وبالمثل , وصف عالم الاجتماع توماس سوارتس احتجاجات المهاجرين غير الشرعيين في كندا بأنها المرحلة المسرحية والأدائية للمواطنة التي يثبت فيها المهاجرون غير الشرعيين للعالم أنهم «مواطنون في الممارسة». , هؤلاء المهاجرون غير الشرعيين يقومون بأعمال المواطنة , وهي أفعال يخلقون من خلالها «نصوص» جديدة لما يعنيه أن يكون المرء مواطناً. هذه الأفعال قد تحل محل التعريفات التقليدية للجنسية. في حملة بيروت مدينتي، تعترض تعبيرات «الأداء» عن المواطنة الحضرية على توزيع الحقوق والامتيازات والأماكن التي يحكم من خلالها السكان الإقليميون (اقرأ: الطائفية). وبدلاً من ذلك، تم طرح تكوينات جديدة للعضوية السياسية التي تقع في مكان الإقامة. من الواضح أن هذه التكوينات لم تكن مكتملة، حيث لم تتمكن من منح حقوق موضوعية لأهالي المدينة، كما لم تتمكن من تمكين العاملين في بيروت مدينتي الذين كانوا غير مؤهلين قانونيًا للترشح أو التصويت في الحملة. ومع ذلك، شكّلوا «ارتباطاً بالمواطنة» أو بمدن المدينة التي تحدت هياكل التمثيل. هذه، على حد تعبير الباحثين ماريا كايكا ولازاروس كاروليتاس، «طرق بديلة للتخيل والقيام والقول».

يستدعي هذا الاستعراض المرئي للمشاركة خارج عملية التصويت إلى الذهن أفعال السياسة الأدائية الأخرى إذ تكمن أهمية الاشتباك السياسي في الأداء المرئي للتحدي. يتيح ذلك لنا مناقشة الاشتباك السياسي مع التركيز على «الأفعال» الفعلية/ الحقيقية المستعد للقيام بها كل فرد، ويسمح لنا بتجاوز تصوير المجتمع من خلال ثنائية للمواطن وغير المواطن. على سبيل المثال، وصفت عالمة السياسة مونيكا فرساني احتجاجات المهاجرين غير الموثقين في الولايات المتحدة على أنها عملية يصبح من خلالها هؤلاء الأفراد مرئيين، ويستردون الميادين العامة، ويطالبون بحقوقهم في تقديم المظالم كمواطنين. وبالمثل، وصف عالم الاجتماع توماس سوارتس مظاهرات المهاجرين غير الموثقين في كندا بأنها مسرحة استعراضية وأدائية للمواطنة يثبت من خلالها هؤلاء المهاجرون للعالم أنهم «مواطنون بالممارسة».[32] وعلى الرغم إنهم قد يكونون غير ساعين إلى الانتساب لهذه الدولة، إلا أن هؤلاء المهاجرين غير القانونيين يقومون بأفعال المواطنة، وهي أفعال يخلقون من خلالها «سيناريوهات» جديدة لما يعنيه أن يكون المرء مواطناً.[33]

[31] Varsanyi, "Interrogating 'Urban Citizenship.'"
[32] Swerts, "Creating Space for Citizenship."
[33] Ibid

هـذه الأفعـال قـد تنسـخ تعريفـات المواطنـة التقليديـة. فـي حملـة بيـروت مدينتـي، تحـدت هـذه التعبيـرات «الأدائيـة» للمواطنـة الحضريـة توزيـع الحقـوق والامتيـازات والأماكـن التـي يُحكـم مـن خلالهـا السـكان مناطقيـاً وإقليميـاً (أي: طائفيـاً).[34] وبـدلًا مـن ذلـك، تـم طـرح بنـى جديـدة للانتمـاء السياسـي مبنيـة علـى أسـاس مـكان الإقامـة. مـن الجلـي أن هـذه البنـى لـم تكـن مكتملـة، فهـي لـم تتمكـن مـن ضمـان حقـوق جوهريـة لأهالـي المدينـة، كمـا لـم تنجـح فـي تمكيـن أولئـك الذيـن انخرطـوا فـي حملـة بيـروت مدينتـي وكانـوا غيـر مؤهليـن قانونيًـا للترشـح أو التصويـت فـي الانتخابـات المحليـة. لكـن شـكلت هـذه البنـى «اشـتباكاً مـع المواطنـة» أو المواطنـة المدينيـة تحـدى بنيـة التمثيـل القائمـة. وتعـد هـذه البنـى، علـى حـد تعبيـر الباحثيـن ماريـا كايـكا ولازاروس كاروليـاتـاس، «طـرق بديلـة لتخيـل وقـول وعمـل الأشـياء فـي المشـاع»[35].

وبالمثـل، يمكننـا القـول إن برنامـج بيـروت مدينتـي تجـاوز الحـدود الإداريـة المقيـدة للمدينـة مـن خـلال طـرح رؤيتـه لعاصمـة لبنـان، المسـاحة المركزيـة لإعـادة إنتـاج القـوى التـي تنظـم المجتمـع. تشـكل هـذه الحـدود الإداريـة أهميـة خاصـة بالنسـبة للطائفيـة، التـي تشـكل وتعيـد تشـكيل جـزء كبيـر مـن عمليـات التطويـر العمرانـي فـي بيـروت والتـي تتجسـد مكانيـاً مـن خـلال تقسـيم الدوائـر الإداريـة والتصويتيـة التـي تعـزز وتعيـد إنتـاج نظـام الزبائنيـة الرأسـي. تعـد الحـدود الإداريـة لبيروت خريطـة انتخابية سياسـية منظمـة ومدروسـة بعنايـة وهـي تؤمـن، إلـى حد كبيـر، النتائـج الانتخابيـة لأولئـك الذيـن يقـررون مـا هـي هـذه الحـدود.[36] يفسـر تشـريح المدينـة بهذا الشـكل إلـى وحـدات طائفيـة مناطقيـة , كمـا أوضـح برنامـج بيـروت مدينتـي، سـوء الخدمـات فـي المدينـة: فهـذه المسـاحة المتكاملـة والتـي يتدفـق مـن خلالهـا السـكان بسلاسـة نسـبية تحكمهـا مجموعـات سياسـية طائفيـة متناحـرة مصلحتهـا هـي التحكـم فـي السـكان، عوضـاً عـن تقديـم خدمـات للمدينـة.[37] ونتيجـة لذلـك , فـإن البرنامـج الانتخابـي الـذي يحـدد فـي ديباجتـه اسـتحالة خدمـة المدينـة ومعالجـة بنيتهـا التحتيـة المتهالكـة دون تنسـيق ذلـك علـى مسـتوى إقليمـي يمثـل تحديًـا ضمنيًـا للطائفيـة المناطقيـة - دون مهاجمـة هـذا الأمـر بشـكل مباشـر. كيـف يمكـن، علـى سـبيل المثـال، أن تقـوم بلديـة تحكـم بيـروت- داخـل حدودهـا الإداريـة الحاليـة- بتسـهيل حركـة المـرور، إذا كانـت 70% مـن السـيارات التـي تجـوب المدينـة

[34] Ibid.
[35] Maria Kaika and Lazaros Karaliotas, “The Spatialization of Democratic Politics: Insights from Indignant Squares,” European Urban and Regional Studies 23, no. 4 (October 2016): 556–70.
[36] Harb and Atallah, Local Government and Public Goods; Hiba Bou Akar, For the War Yet to Come: Planning Beirut’s Frontiers (Stanford, CA: Stanford University Press, 2018); and Mohamad Hafeda, Negotiating Conflict in Lebanon (forthcoming).
[37] See Mona Fawaz, “Urban Policy: A Missing Government Framework,” Lebanese Center for Policy Studies, May 2017, https://www.lcps-lebanon.org/featuredArticle.php?id=116.

تأتي من خارج حدود هذه المدينة؟ كيف يمكنها إدارة شبكة الصرف الصحي عندما تكون محطات المعالجة خارج حدودها؟ ما لم يتم ربط المناطق ببعضها، مع الاعتراف بالطابع التكاملي لبنيتها التحتية، ستظل المدينة غير قابلة للحكم. طرح برنامج بيروت مدينتي ومرشحوه أنه قبل تحسين الخدمات الحضرية، هناك حاجة إلى شكل مختلف من السياسة المرتكزة على الإقامة المشتركة في حيز العاصمة الكبرى، بدلاً من المناطقية الطائفية الحالية.

ردود الأفعال والتحديات

يمكن تقييم نجاح «بيروت مدينتي» في محاولة تغيير اتجاه الانتخابات البلدية لأن تصبح صراعاً حول من سيسترد المدينة من خلال رد فعل النخبة السياسية. فعلى الرغم من البيئة السياسية شديدة الاستقطاب، إلا أن ائتلافاً يضم الطيف الكامل للنخبة السياسية تجمَّع في قائمة موحدة ضد بيروت مدينتي. روجت هذه القائمة -المدعومة من قبل المؤسسة- لنفسها بأنهم «البيارتة» (الأشخاص المنتمين إلى بيروت). قد تبدو هذه التسمية بريئة ظاهرياً للأعين الخارجية، لكن في سياق بيروت، حيث تستدعي مزاعم الأصالة العرقية تداعيات سياسية محددة، كانت هذه التسمية عبارة عن كود سري- وقفة «دفاعية» عن المواطنة الحضرية[38]. حتى أنها استدعت إلى الذاكرة الحركات المعادية للمهاجرين التي تثار فيها المخاوف العنصرية ضد «القادمين الجدد» حتى عندما يكون هؤلاء المهاجرون مقيمين في المدينة منذ عقود.

قام وزير الداخلية آنذاك، نهاد مشنوق - والذي ينحدر من عائلة سنية قوية في بيروت - بهندسة الحملة الانتخابية مباشرة، مذكرا الناخبين المجتمعين في كل مناسبة بضرورة «الدفاع» عن المدينة ضد «الغرباء». وقال مشنوق في أحد أيام الآحاد وخلال اجتماع غداء مبكر مع الناخبين «إن التصويت لصالح قائمة تيار المستقبل سيحمي العاصمة من قوائم الخصوم الذين يرغبون في كسر المدينة وقرارها».[39] وألمح أن بيروت مدينتي ومؤيديها لا ينتمون إلى المدينة، وليس لديهم الحق في الحديث باسمها. لكنهم هنا، بالأحرى، «لكسر» المدينة. وأضاف «هذه هي المرة الأولى التي نقول فيها إن التصويت هو دفاع عن المدينة» قال المشنوق في نهاية خطابه، «وهو أمر لم نذكره مطلقًا في أي انتخابات سابقة».

سيصبح هذا النوع من الخطاب شائعاً خلال الأسابيع التالية، التي عانى خلالها سياسيو المؤسسة لإعادة إحكام قبضتهم على

[38] Yiftachel, "Epilogue."

[39] خطاب ألقي خلال غداء مبكر في أحد أيام الأحد مع «عائلات بيروت» في 18 فبراير/ شباط 2016
To Participate Heavily in Beirut's Elections in Defense of Its Fate," National News Agency, February 18, 2018, http://nna-leb.gov.lb/en/show-news/88365/nna-leb.gov.lb/en.

مؤسسة التمثيل المحلية الطائفية المثيرة للانقسام. في هذا الإطار، كان التحدي الذي طرحته بيروت مدينتي بمثابة إهانة مباشرة للقيادة السنية التي عهد إليها بالسيطرة على المدينة، ولا سيما رئيس الوزراء سعد الحريري وريث المرحوم رفيق الحريري وزعيم لبنان السني.[40] وجاءت ذروة رد فعل المؤسسة من خلال مهرجان شعبي أقيم في ملعب كرة سلة وحضره الحريري، الذي عاد من فرنسا إلى بيروت بعد شهور من النفي الاختياري الطارئ للدفاع عن سيطرة ائتلافه على المدينة. خلال المهرجان، قامت الشخصية النمطية أم خالد، وهي «تمثل المرأة البيروتية السنية المعتادة» وتؤديها الممثلة اللبنانية جوانا كركي» ، قامت بالترحيب بزعيم المجتمع الطائفي وأكدت من جديد- من خلال كلمة قوية وحيوية، سيطرته المطلقة على المدينة.[41] أثار هذا الخطاب، بدوره، جدلًا قوياً حول من له الحق في هذه المدينة. فمن ناحية، عبرت أحد الفرق عن غضبهم لما اعتبروه تمييزًا عرقيًا وطائفيًا ضد غالبية سكان المدينة الذين لا يمكنهم الادعاء أنهم ينتمون إلى العائلات السنية الكبيرة في بيروت ونبذوا ما وصفوه بأنه أقلمة للعاصمة.

على الناحية الأخرى رفض خصومهم بصراحة مطالبة الأفراد بحقهم السياسي في المدينة لمجرد الإقامة فيها. في النهاية، قالوا ، لن يصوت أي ناخب «البيروتي» في هذه الدوائر الانتخابية المختلفة.[42] لم تقتصر هذه المعارضة على المجتمع السني فقط، فلم يتردد حراس نظام تقاسم السلطة الطائفي في لبنان، بما في ذلك المذيعة التلفزيونية البارزة مارسيل غانم، في مهاجمة الحراك باعتباره تهديدًا «للتعايش الوطني» - في إشارة إلى خطر أن بيروت مدينتي قد تربك أي من الاتفاقات غير الرسمية بشأن التكوين الطائفي للائحة الانتخابية. وبالمثل، عبر الحريري مرارًا وتكرارًا عن قلقه من تهديد الحركة لما سماه «المناصفة» المسلمة المسيحية لحكومة المدينة.[43]

[40] مجد بو مجاهد، «لهذه الأسباب فازت لائحة البيارتة على بيروت مدينتي»، النهار، مايو/ أيار 12، 2016
https://www.annahar.com/article/378371-لهذه-الأسباب-فازت-لائحة-البيارتة-على-بيروت-مدينتي

[41] أقيم المهرجان في النادي الرياضي في 5 أبريل/ نيسان 2016. انظر: «بالفيديو: وأخيراً.. أم خالد تلتقي الرئيس الحريري»، النهار، أبريل/ نيسان 5، 2016.
https://www.annahar.com/article/372982-بالفيديو--وأخيرا-أم-خالد-تلتقي-الرئيس-الحريري

[42] مهي حطيط، «بيروت في الانتخابات البلدية»، العربي الجديد، أبريل/ نيسان 28، 2016،
https://www.alaraby.co.uk/medianews/2016/4/28/بيروت-في-الانتخابات-البلدية

[43] Hussein Dakroub, "Hariri Urges Beirutis to Vote for Coexistence," Daily Star, May 5, 2016, http://www.dailystar.com.lb/News/Lebanon-News/2016/May-06/350823-hariri-urges-beirutis-to-vote-for-coexistence.ashx

مد إلى النموذج لما هو أبعد من بيروت

تمكنت بيروت مدينتي, باختصار, من تقديم أداء استعراضياً للمواطنة تسبب في إرباك تنظيم خطوط التقسيم السياسي من خلال امتلاك شرعية داخل العملية الانتخابية ولكن خارج قواعد هذه العملية كما هي محددة في لبنان. لقد اشتبكنا مع النظام المؤسس نفسه: فلم نكن ببساطة نطالب بالحق في السكن ولكننا في الواقع كنا نسائل من يمكنه أن يطالب بالحق في السكن وأين. في النهاية, امتثلت اللائحة الانتخابية لقواعد اللعبة من خلال الحفاظ على المناصفة الطائفية. إلا أن الحراك الفعلي تحدى هذا النمط من التمثيل السياسي من خلال مداعبة الحلم «في وجود جماعة» وتخيل مستقبل محتمل يتجسد في الرؤية التي قدمتها الحركة لمدينة يمكن لها يوماً أن تكون. كان هذا البعد الأدائي والمسرحي هو المتسبب في بث الحياة في المشهد السياسي للبنان وسيظل, في ظني, أحد أكثر إنجازات بيروت مدينتي بقاءً.

في محاولة حديثة لوضع إطار نظري لتسييس المدينة, يستدعي الأكاديميان مصطفى ديك وإريك سوينجيدو صياغة ميشيل فوكو لـ «الشعب» كأشخاص يعطلون النظام برفضهم أن يكونوا «سكانًا/تعداداً».[44] وقد أظهر العقد الأخير أن عملية التسييس هذه لا تتطلب وجود كيان سياسي متآلف ومتماسك داخليًا, بل تتشكل من خلال أعمال الحراك الجماعي.[45] يجادل ديك وسوينجيدوف بأن عملية مقاطعة «النظام العقلاني» التي تنتجها التمردات المدينية الأخيرة تسهّل التأليف بين مجموعة من الأفراد غير المتجانسين في وحدة جماعية وتسمح لهم بأن يصبحوا ذوات سياسية. ويكتب المؤلفان «إن التموضعات الاجتماعية المكانية لهؤلاء المشاركين غير المتجانسين والأنماط المختلفة لاتصالهم وترابطهم واشتباكهم وتنظيمهم الاجتماعي تنقل المجال من أشكال معينة من التعبئة والعمل الاجتماعيين إلى عولمة مطالب الديمقراطية والحرية والتضامن صانعة بذلك تحولاً من الحركة الاجتماعية إلى الحركة السياسية.»[46]

هنا تبرز أهمية «طلعت ريحتكم» في تشكيل مدينتي بيروت, لكن أيضًا تأثير بيروت مدينتي في دفع العديد من الناشطين للمشاركة في السياسة. فبناء على ذلك, وخلال الأسابيع التي تلت الانتخابات البلدية في بيروت في عام 2016, شهدت الانتخابات

[44] Dikeç and Swyngedouw, "Theorizing the Politicizing City."
[45] driana Kemp, Henrik Lebuhn, and Galia Rattner, "Between Neoliberal Governance and the Right to the City: Participatory Politics in Berlin and Tel Aviv," International Journal of Urban and Regional Research 39, no. 4 (2015): 704–25.
[46] ikeç and Swyngedouw, "Theorizing the Politicizing City," 10.

المحلية التي أُجريت في مناطق أخرى ظهور حركات انتخابية صغيرة النطاق تستلهم من نموذج بيروت مدينتي. بعضهم - مثل بعلبك مدينتي (وهي مدينة في وادي البقاع) - ترجموا مباشرة اسم الحملة. أما البعض الآخر فقد تبنوا فقط بعض مقاربات الحملة. وفي الأشهر التي سبقت الانتخابات التشريعية في عام 2018, ظهرت العديد من الحركات والحملات المستوحاة من بيروت مدينتي، آملة في تحقيق نجاح مماثل. عكست هذه الحركات الرغبة في تشكيل تنظيمات جمعية يمكن لها أن تتحدث نيابة عن الشعب - أو باستخدام كلمات دايك وسوينجيدو - أن تطالب بحكومة ديمقراطية واستراتيجيات اقتصادية ناجعة.

أحجم أعضاء حملة بيروت مدينتي عن الترشح للانتخابات التشريعية تحت راية الحملة وذلك بسبب الانقسامات حول القضايا التنظيمية والقراءات السياسية للظروف الوطنية. ومع ذلك, فقد شارك العديد منهم بشكل مباشر في الانتخابات التشريعية بطرق أخرى: فترشح العديد منهم للانتخابات, وقام آخرون بتنسيق الحملات. لكن من خلال العمل التنظيمي الذي أجبرهم على مواجهة التحديات الوطنية, مثل كيفية التعامل مع وجود جماعات مسلحة داخل البلاد أو ما هو موقعهم من التحالفات الجيوسياسية بالمنطقة, بدت الحركات الانتخابية التي شاركت في الحملات الانتخابية 2018 هشة. فقد كان خطابهم إما ضعيفاً جدًا عند مقارنته بخطاب المؤسسة الرسمية, أو أكبر بكثير من أن يكون مقنعًا. في نهاية المطاف, فإن الائتلافات التي شكلتها هذه المجموعات على المستوى الوطني شوهتها الخلافات الداخلية حول تكوين رؤية للبلاد, وحول بنية ومحتوى استراتيجيات التنمية الوطنية طويلة المدى حول والمؤهلات اللازمة لأعضائهم للترشح. وفي ظل غياب قصة صادقة يروونها - مثل السردية القوية التي قدمتها بيروت مدينتي لناخبيها حول مدينة تعمل بشكل فعال- كان من المستحيل لهذه البرامج أن تحول دفة الجدل بعيدًا عن مجالات الانقسام الطائفي وتجاه تخيل شكل جديد للوجود الجمعي, مثل ذلك الذي وعدت به المواطنة المدينية.

ما هو شكل البلد الذي يطمحون للعيش فيه؟ وما هي ركائزه الوطنية؟ كيف سيتعاملون مع التوترات الطائفية المدعومة إقليمياً؟ كيف سيسيطرون على الجماعات المحلية المسلحة مثل حزب الله, والذين تجاوزت أعمالهم العسكرية في المنطقة الحدود الوطنية؟ تم طرح عدد قليل من الاستراتيجيات العملية للاستجابة لهذه التحديات. يمكن عزو ذلك جزئيًا إلى أن الأسئلة المطروحة كانت وبشكل واضح غير قابلة للحل من خلال شروط النقاش, ولكن أيضًا - في ظني - بسبب تمسك معظم مجموعات المعارضة القاعدية بنفس أطر برامج الأحزاب السياسية القائمة, كما أنهم ظلوا حبيسي المناطق الجغرافية التي

فرضتها عليهم الخرائط الانتخابية، حيث كانت مشاركتهم محكوم عليها بالفشل مسبقاً. وبالتالي، فقد ظلوا غير قادرين على تصور بديل قابل للتطبيق، حتى عندما قدموا خيارات أكثر إقناعًا من خلال شخصيات بعض مرشحيهم أو من خلال محتوى خطابهم.

ربما يكون «كلنا وطني»، التحالف الذي بدأ قبل شهر من يوم الانتخابات في أبريل/ نيسان 2018، هو المحاولة الأكثر إخلاصًا لتكرار تجربة بيروت مدينتي من خلال البعد المسرحي لمحاولته حشد التأييد الوطني. فقد ارتكز التحالف على خيال جمعي وطني لتقديم مظلة وطنية واحدة أو مجموعة ائتلافية تقدم مرشحين من تسع دوائر مختلفة في لبنان[47]. لكن التحالف لم يكن له وجود على أرض الواقع في العديد من هذه الدوائر، كما فشل كلنا وطني في أن يكون ملهماً بالطريقة التي كانت بها بيروت مدينتي ملهمة بها. إذ دفعت قلة الاتساق الداخلي بعض الأفراد والجماعات للعمل تحت شعاراتهم الخاصة لتعزيز هوياتهم المستقلة بدلاً من الانصهار في بوتقة في المجموعة. ولم يساعد أيضاً أن التحالف لم يكن لديه لوائح مرشحين في بعض الدوائر الرئيسية - أخطرهم كان، في النصف «الإسلامي» لبيروت الإدارية، حيث تنافست تسع قوائم مختلفة على المقاعد. لا يطمح هذا المقال إلى تحليل عدم قدرة كلنا وطني على الحشد، فهذا شيء خارج مجال هذه الورقة. لكن، أياً كان السبب وراء ذلك، فإن نقل تجربة المدينة إلى النطاق الوطني كان أقل سلاسة مما كان يأمله بعض النشطاء.

مستقبل السياسة في المدينة

على العكس من ذلك، استخدم عدد من السياسيين المخضرمين، استلهاماً من نجاح بيروت مدينتي، تيمة المدينة من أجل صياغة برامج لحملاتهم، لكن هذه المرة مطوعين «ما هو مديني» لخدمة أجنداتهم الخاصة. أبرز هذه الأمثلة، نقولا صحناوي، وهو عضو في التيار الوطني الحر، والذي طور رؤية كاملة للمنطقة المرشح عنها في بيروت مع وجود تصميمات مدينية مصورة وعد بتنفيذها.[48] لكن في الوقت الذي استخدمت فيه بيروت مدينتي اصطلاح «ما هو مديني» كلغة جامعة، لإظهار ضرورة الترابط بين المناطق الحضرية المختلفة بشكل أبعد من نطاق التقسيم الإداري، فقد عكست خطط صحناوي استخدام «المدينة» وقصرته على إجراءات تجميلية في الأحياء المسيحية في بيروت حيث كان يترشح. وافتقرت حملته لأي من الدوافع الانقطاعية لبيروت مدينتي. لم يكن إحداث صدع/ انقطاع في السياسات العامة من

[47] ندى أيوب، «كلنا وطني: 66 مرشحا في تسع لوائح لبناء دولة المواطنة بدل المحسوبيات»، النهار، أبريل/ نيسان 9، 2018، https://www.annahar.com/article/788380-كلنا-وطني-66-مرشحا-في9--لوائح-لبناء-دولة-المواطنة-بدل-المحسوبيات

[48] التيار الوطني الحر هو واحد من أحزاب لبنان الرسمية ويعتبر رئيس الجمهورية ميشيل عون أحد أعضائه.

بين نوايا صحناوي. لكنه، سعى إلى تحفيز الناخبين الشباب في منطقته من خلال صور جذابة لمستقبل مدينتهم، بدلاً من إلهام شكل جديد من أشكال الوجود الجمعي.

مع هدوء عاصفة الانتخابات النيابية لعام 2018، وتقييم المجموعات النشطة المختلفة لقدرتها على الاندماج في تشكيلات سياسية طويلة الأجل، أصبحت جاذبية المدينة كوحدة تنظيمية أكبر من أي وقت مضى. قد يكون الضغط الذي مورس على بيروت مدينتي لصياغة مواقف بشأن القضايا الجيوسياسية كجزء من بديل سياسي وطني موثوق به ضغطاً في غير محله: فقد فشلت العديد من الأحزاب السياسية الوطنية في تقديم خيارات مقنعة. في هذه الأثناء، بدأت مجموعة صغيرة من أعضاء بيروت مدينتي -والذين ظلوا ناشطين في المنظمة- في إظهار إمكانية تطوير الحملة إلى منظمة سياسية حقيقية. وبعد أشهر من المداولات مع الحركات القاعدية الأخرى - بما في ذلك زيارتين من عضو في الحزب السياسي الإسباني بوديموس - تمكنت المنظمة من خلق مجموعتين ناجحتين داخل الأحياء. قامت هاتان المجموعتان من بناء وجود قاعدي في أحياء المدن ولعبتا دورًا قويًا في الدفاع عن القضايا المتعلقة بالتنقل الحضري وتأهيل واجهة بيروت البحرية وإدارة النفايات وغيرها. كما أسست بيروت مدينتي لنفسها كجزء من الائتلاف الوطني الفضفاض لحركات المعارضة، من خلال المشاركة في الاحتجاجات وإصدار البيانات الجماعية مع الحفاظ على صوت مميز في القضايا المتعلقة بالمدينة.

لكن، حتى إذا تمكن برنامج عمل مرتكز على المدينة من تشكيل حركة سياسية تدمج المطالب الحضرية، فإن قدرته على زعزعة استقرار النظام الطائفي القائم تظل محدودة. بغض النظر عن مدى شعبية البرنامج السياسي- وأعتقد أن السنوات الثلاث التي انقضت منذ الانتخابات أثبتت بوضوح قدرات هذا البرنامج- لكن لا يمكن لهذه الشعبية أن تترجم في شكل أصوات انتخابية حقيقية إلا عندما يتوجه سكان المدينة إلى صناديق الاقتراع للتعبير عن جماهيرية البرنامج السياسي بدلا من الولاءات الطائفية. يتطلب ذلك بدوره إعادة صياغة شروط المواطنة في البلاد، بعيداً عن المحسوبية. وهي مهمة شاقة طالما أن الأزمة الاقتصادية الحالية تجعل من إعادة توزيع خدمات الدولة

عبر القنوات الطائفية هي استراتيجية البقاء الوحيدة للكثيرين.[49] وبالتالي , فإن مشاركة مدينة المدينة قد لا تحول النتائج في صندوق الاقتراع , على الأقل في المدى القصير. ومع ذلك, يمكن للمرء أن يتنبأ بثقة أن فكرة الجماعية التي تقدمت بها يمكن أن تشكل أساس التنظيم الجماعي والتعبئة , وفرض إعادة تحديد موقع المناقشات الانتخابية وصنع السياسات بشأن القضايا ذات الأهمية الحيوية. مع هدوء عاصفة الانتخابات الوطنية لعام 2018, وتقييم مختلف المجموعات النشطة لقدرتها على الاندماج في تشكيلات سياسية طويلة الأجل, تبدو جاذبية المدينة كوحدة تنظيمية أقوى من أي وقت مضى. قد يكون الضغط الذي مورس على بيروت مدينتي لصياغة مواقف بشأن القضايا الجيوسياسية كجزء من بديل سياسي وطني موثوق به- ضغطاً في غير محله: فقد فشلت العديد من الأحزاب السياسية الوطنية في تقديم خيارات مقنعة. في هذه الأثناء, بدأ عدد من أعضاء بيروت مدينتي الذين ظلوا نشطين في الجهود التنظيمية في إظهار إمكانية تطوير الحملة إلى منظمة سياسية حقيقية. بعد أشهر من المراسلات مع الحركات القاعدية الأخرى - بما في ذلك زيارتين من عضو في الحزب السياسي الإسباني بوديموس- أنشأت المنظمة مجموعتين ناجحتين في حيين من حياء بيروت. قامت هذه المجموعات ببناء وجود شعبي/ قاعدي في أحياء المدينة ولعبت دورًا قويًا في الدفاع عن القضايا المتعلقة بالتنقل الحضري وتطوير الواجهة البحرية وإدارة النفايات وغيرها. كما بلورت بيروت مدينتي نفسها كجزء من الائتلاف الوطني الفضفاض لحركات المعارضة, من خلال المشاركة في الاحتجاجات والبيانات الجماعية مع الحفاظ على صوتها المميز في القضايا التي تخص المدينة.

لكن, حتى إذا تمكن برنامج سياسي/ انتخابي مرتكز على المدينة من تمكين تشكيل حركة سياسية تدمج المطالب المدينية, فإن قدرتها على زعزعة استقرار النظام الطائفي القائم تظل محدودة. فبغض النظر عن مدى جاذبية البرنامج السياسي - وأعتقد أن السنوات الثلاث التي انقضت منذ الانتخابات أثبتت قدرتها على الإمكانات - لا يمكن أن تترجم إلا إلى نمط تصويت حقيقي عندما يأتي سكان المدينة إلى صندوق الاقتراع للتعبير عن جاذبية منصة بدلا من الولاء للمستفيد. وهذا بدوره يتطلب إعادة صياغة شروط المواطنة في

[49] نما الناتج المحلي الإجمالي للبنان بنسبة 1 في المائة فقط في عام 2018, ومن المتوقع فقط أن يكون أعلى قليلًا في عام 2019, "
World Economic Outlook Database," International Monetary Fund, accessed March 5, 2019,
https://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2018/02/weodata/index.aspx
يخفي هذا النمو الجزئي الواقع الخطير على الأرض , حيث أصبح الوضع الاقتصادي مؤلمًا أكثر فأكثر لمعظم اللبنانيين
See, for example, Khalil al-Hariri, "Lower Your Expectations," Carnegie Middle East Center, December 18, 2018,
https://carnegie-mec.org/diwan/77990.

البلـد, بعيـداً عـن الزبنـاء. المهمـة شـاقة طالمـا أن الأزمـة الاقتصاديـة الحاليـة تجعـل إعـادة توزيـع سـلع الدولـة عبـر القنـوات الطائفيـة اسـتراتيجية البقـاء الوحيـدة للكثيريـن. وبالتالـي، فـإن مشـاركة مواطنـي المدينـة فـي هـذه البرامـج قـد لا تحـول النتائـج فـي صنـدوق الاقتـراع، علـى الأقـل فـي المـدى القصيـر. ومـع ذلـك, يمكـن للمـرء أن يتنبـأ بثقـة أن فكـرة الوجـود الجمعـي التـي قدمهـا البرنامـج السياسـي يمكـن أن تشـكل أسـاس للتنظيـم والتعبئـة الجماعييـن ويمكـن لهـا أن تعيـد موضعـة الجـدالات الانتخابيـة وصنـع السياسـات فيمـا يخـص بعـض القضايـا ذات الأهميـة الحيويـة.

إعلام عربي خلاق وملامح جديدة للمواطنة:
رؤية تكاملية لبناء صحافة أقوى في المنطقة

لينا عطاالله - صحافية, مؤسسة مشاركة ورئيس تحرير «مدى مصر»،
وهو موقع إخباري مستقل أنشئ في مصر

ملخّص

لا يعد الاستبداد المتجدد وإخراس حرية التعبير هما الخاصيتان الوحيدتان للوضع الطبيعي الجديد في العالم العربي. . تستمر الأفكار التي وجدت صوتاً أثناء الانتفاضة العربية في التواجد من خلال عدد من منافذ الإعلام الإقليمية التقدمية الناشئة. تستمر المنافذ الإعلامية الإلكترونية في الازدهار في بيئات صعبة للغاية, وتحاول إعادة تخيل معنى للصحافة - حتى إذا كان ذلك من المنفى, أو من أماكن أخرى مهمشة. بفضل الإبداع في الشكل والمضمون, بدأت هذه المؤسسات في فتح آفاق جديدة من خلال الصحافة السياسية الغير تابعة لأي حزب, فهي ناشطة ولكنها ليست عقائدية, وفوق كل ذلك فهي ملتزمة بالشهادة والتسجيل. يستعرض هذا الفصل المستوحى من تجربة شخصية ومقابلات مع رواد الإعلام العربي, تفاصيل عن عمل «الجمهورية» و «حبر» و «مدى مصر» - من سوريا والأردن ومصر على التوالي - لتفسير خلقهم لأنوية جديدة للمطالبة بالمواطنة عن طريق طرح الأفكار.

خلال السنوات القليلة الماضية, كانت محاولة العمل في إعلام حر ونقدي داخل مصر, في أحيان عدة, تبدو كطريق بلا رفيق حتى في أفضل لحظاتها, يمكن تشبيه الكتابة ونقل الأخبار لمؤسسة مدى مصر الإعلامية المستقلة التي شاركت في تأسيسها عام 2013 بمقرها في القاهرة, بمحاولة مواجهة فيضان بدلو أو بالصراخ في وجه الريح. حيث تتزايد موجة من الاستبداد حولنا. يبدو أن الحالة السائدة في المنطقة, ناهيك عن العالم, تتحرك في الاتجاه المعاكس من المثل العليا التي تقودنا. لكن يزول شعورنا بالوحدة عندما ندرك أننا لسنا الوحيدون المدركون لإمكانية استخدام حرفة الصحافة في صنع فاعلين سياسيين. ونحن لسنا فاعلين لإيديولوجية سياسية معينة, ولكن في السعي إلى نظريات معرفية جديدة وإمكانيات جديدة للأفكار. يصبح هذا الإدراك منعشًا أكثر عندما يتخطى أساسه الحدود الجغرافية والنفسية للوطن القومي, للوصول إلى وطن آخر أوسع وهو العالم العربي.

في شتاء عام 2015, سافرت إلى بيروت لحضور ورشة عمل حول سياسات الهوية استضافها مركز كارنيغي للشرق الأوسط, والتقيت هناك بأحد مؤسسي المنفذ الإعلامي السوري المستقل الجمهورية والذي تم إنشائه عام 2012.[1] حيث صعقت بإيجاد بعض التشابهات المشتركة مع مدى مصر. وفجأة شعرت أنه من الممكن مواجهة الوحدة المهنية والسياسية التي مررنا بها في مصر منذ عام 2013 بمنتدى عبر وطني يتمكن من خلق نوعًا من التجمهر مختلفًا عن ما قمنا بإنشائه في غرفة أخبار مدى مصر في القاهرة.[2]

[1] "About Us," Al-Jumhuriya, accessed March 7, 2019, https://www.aljumhuriya.net/en/about.
[2] "Who We Are," Mada Masr, accessed March 7, 2019, https://madamasr.com/en/about-us/.

في ورشة العمل هذه، لم يحاول مؤسس موقع الجمهورية إنكار مركزية سياسات الهوية بالنسبة لنضالات العالم العربي - وهذا موقف يشغله كثيرًا منا ممن يريدون دائمًا محورة النقاش حول الصراع على الموارد والثروات، بدلاً من ذلك، محور مؤسس الجمهورية النقاش حول عجز الدولة القومية العربية الحديثة عن التكيف مع تغييرات ما بعد أحداث 2011. قامت الحركات التحريرية المعادية للاستعمار وذريتهم في العالم العربي بتقليد نظم الدول الغربية الحديثة، ولكن دون مشاركة مجتمعية هادفة.

يعطي موقف الجمهورية درجة معينة من الأهمية لمسألة الهوية والمواطنة، وهي مسألة نادر وجودها في الخطابات الإعلامية العربية السائدة. يعامل الخطاب المشترك داخل المعارضة العربية اليسارية التقليدية الهوية والمواطنة على أنهما تشتيتان هامشيان من الأولويات الأكبر عندما يكون الهدف الرئيسي تحدي سلطة الدولة. غالبًا ما يُنظر إلى الهوية والمواطنة على أنهما تهديدان للدولة القومية ما بعد الاستعمار. تفتح الجمهورية آفاقا جديدة حيث تروي قدرة الهويات المتغيرة في المنطقة، والتي هي في عملية تشكيل ديناميكية، في كشف فشل تلك الدول القومية.

يلقي هذا الفصل الضوء على فضائيين إعلاميين: «الجمهورية» السوري و «حبر» الأردني، اللذان حاولا إعطاء الأهمية لمسائل الهوية وصنع الدولة والمواطنة في مشاريعهم الإعلامية. وأقدم هنا أيضا تجربة مدى مصر. الجمهورية منصة للنشر أطلقتها مجموعة من الكتاب والأكاديميين والصحفيين المقيمين داخل وخارج سوريا. بدأ موقع حبر كمنصة للصحافة المواطنة في عام 2007 ثم تحولت إلى الممارسة الإعلامية المحترفة ابتداءً من عام 2011.[3] فأوثق هنا بعض جهودنا الجماعية لصياغة منظور جديد للإعلام العربي في أعقاب الانتفاضات العربية التي بدأت في عام 2010، واستنتج منها الآثار المترتبة ليس فقط على عملنا الإعلامي ولكن أيضاً العمل الناتج عن تعاوننا. يوضح هذا العرض التقديمي لتلك التجارب الإعلامية الجديدة في الشرق الأوسط أنه على الرغم من أن ردود الفعل الاستبدادية اجتاحت المنطقة وخنقت تقريبًا جميع الحركات الثورية، فما زال هناك طاقة في الإعلام العربي الجديد تزداد مع مرور الوقت.

ظهرت ثلاثة أفكار أساسية عن طريق عملية التفكير في مساحاتنا الإعلامية، وفحص المحتوى الخاص بنا، والمشاركة في محادثات مع زملاء آخرين مؤسسين لمنافذ إعلامية (بما في ذلك المقابلات التي أجريت خصيصًا لهذا الفصل). أولا، أن الصحافة هي عمل

[3] "About 7iber," 7iber, accessed March 7, 2019, https://www.7iber.com/about/.

كفاحي سياسي للغاية، خاصة في أوقات الأزمات السياسية العصيبة التي تراوحت في العقود الأخيرة من زمن الحروب إلى القمع غير المسبوق. ثانياً، الصحافة هي مشروع فكري، لكنها أيضًا مشروع للشهادة حيث الخضوع لتقديم الأخبار عن طريق الشهادة. ثالثًا، من المحتم أن يكون إلقاء الصحافة أمرًا تجريبيًا في هذه اللحظة، حيث تواجه المهنة في جميع أنحاء العالم الفرص والتحديات الهائلة لثورة المعلومات.

بعد إلقاء نظرة عامة على المشهد الإعلامي في الأردن ومصر وسوريا، يتفاعل هذا الفصل مع سياسات فرق العمل المؤسسة للمنافذ الإعلامية الثلاثة المذكورة أعلاه في هذه البلدان. ثم يقوم بمعاينة بعض محتويات هذه المنافذ، ومناقشة أشكالًا مختلفة من تقديم المحتوى والطرق التي تحقق بها هذه الأشكال التوازن بين المراجع الثقافية للإعلام المحلي والتيارات العالمية الشائعة. وأخيرا، يبحث هذا الفصل في معنى للوجود المنفصل والمتقاطع لهذه المنافذ الإعلامية في العالم العربي اليوم.

أثناء كتابتي لهذا الفصل، سافرت إلى عمّان وأثينا للقاء بأعضاء من حبر والجمهورية وإجراء مقابلات استطلاعية. أحاول الجمع بين فهمي لفكرهم، من منظوري كعضو أساسي للشبكة والذي يساعد في إدارة مشروع إعلامي متشابه في الفكر ويعمل أيضا على تشكيل تجمعنا كقوة عبر وطنية محترفة سياسية بالأساس. ولتلك الأسباب، غالبًا ما أستخدم كلمة «نحن» في هذا الفصل لتوضيح موقفي.

السياق: بيئات الاستبعاد

إلى حدأ كبير، تعد الكثير من المشاهد الثقافية والسياسية في الشرق الأوسط اليوم بيئات استبعادية متراوحة من سوريا في وقت حرب إلى مصر القمعية إلى السياق الأردني الأكثر خداعا لكنه فعليا مقيد بشدة. هذا السياق الناشئ ليس المنطق الأساسي والوحيد وراء تأسيس منافذ الإعلام الثلاثة، ولكن أيضًا لأهميتها حاليا باعتبار بعضهم من الجهات التي لا تزال تعمل في المجتمع المدني. فهم يخترقون بيئة الاستثناء التي يقومون بعملهم فيها.

في كلاً من الأردن ومصر، أتاحت أجندة التحرر الاقتصادي المقدمة من قبل الدولة في العقود الثلاثة الماضية، بفتح المنافذ الإعلامية أمام الاستثمارات. على سبيل المثال، تم إنشاء مدينة الإعلام الأردنية في عام 2001 كأحد أول المراكز الإقليمية للتلفزيون الفضائي. في عام 1998، أطلقت مصر أول قمر صناعي لها، النايل سات، لكي تصبح موزعًا رائدًا للبث التلفزيوني في المنطقة.[4] في كلا البلدين،

[4] "About Jordan Media City," Jordan Media City, accessed March 7, 2019, http://www.jordanmediacity.com/en/about-jmc/?ID=305&Link=156&Direct=about-jmc.

يعد التلفزيون الوسيلة الأكثر شعبية، حيث تبث القنوات الإعلامية المحلية وأيضا العربية. تعمل الصحافة المكتوبة على الرغم من توزيعها المحدود كمحدد للأجندة السياسية لوسائل الإعلام الأخرى. في ظل تحرر الدولة لقطاع الاتصال وتكنولوجيات المعلومات أصبح الدخول على الإنترنت متاحًا بشكل متزايد. ففي الأردن، يتمكن 88 بالمائة من السكان من الدخول على الإنترنت، بينما في مصر حيث الكثافة السكانية، هناك أقل من 50 بالمائة من السكان قادرين على الدخول على الانترنت.[5]

لدى الأردن ومصر منافذ إعلامية مملوكة من الدولة وغيرها خاصة. في ظل الانفتاح الاقتصادي النسبي، تُمارس السيطرة السياسية والمراقبة من خلال وسائل رسمية وغير رسمية، وهي ناتجة عن إجراءات مباشرة مُمارسة من قبل السلطات، وأيضاً عن ممارسات داخلية مثل الرقابة الذاتية. هناك تقرير من يونسكو للمشهد الإعلامي الأردني يعبر جيداً عن الوضع. فيذكر التقرير «البيئة الإعلامية الأردنية تعددية ومتنوعة نسبياً...لكن في الكثير من الأحيان، يفتقر المراسلون المهارات الأساسية، ويتجاهلون المعايير المهنية، ويطبقون الرقابة الذاتية بسبب تحيزات وانتماءات مدراءهم والخوف من العواقب القانونية إن لم يكن الخوف في بعض الأحيان من التهديدات الجسدية في سياق الإفلات من العقاب وانعدام المساءلة. . . . يدرك المهنيون في مجال الإعلام أيضًا الخطوط الحمراء التي لا يمكن عبورها...وهي متعلقة عادة بالمملكة أو بالمواضيع الدينية والأخلاقية.»[6] الوضع في مصر شبيه لذلك حيث تتسم البيئة الإعلامية بالتقييد، فبالإضافة إلى الرقابة الذاتية، يتم احتجاز ومقاضاة الصحفيين واقتحام الشرطة لبعض المنافذ الإعلامية في البلاد. ابتداءً من منتصف عام 2013، تعهدت معظم المنافذ الإعلامية المصرية بالولاء للسلطات بما فيها المنافذ الخاصة أيضاً.[7]

رسميا، يُستخدم التشريع كأداة مهمة تمكن الدولة من ممارسة الرقابة التنفيذية على المنافذ الإعلامية في كلاً من الأردن ومصر. مثلا، يتطلب تعديل قانون الصحافة والمطبوعات الأردني لعام 2012 الحصول على تراخيص حكومية للمواقع الإخبارية، وبالتالي تصعيب قدرة المنافذ الصحفية على العمل وفرض عوائق مالية كبيرة للتسجيل. يحظر قانون الجرائم الإلكترونية لعام 2010 وهو قانون جرائم نظم المعلومات، المنافذ الإلكترونية من نشر أي معلومات عن الأمن القومي أو الشؤون الخارجية للبلاد التي لم يتم

[5] "Internet Usage in the Middle East," Internet World Stats, accessed March 6, 2019, https://www.internetworldstats.com/stats5.htm; "Africa" Internet World Stats, accessed March 6, 2019, https://www.internetworldstats.com/africa.htm.
[6] "Media Environment Analysis for Jordan," United Nations Educational Scientific, and Cultural Organization (UNESCO) Office in Amman, accessed January 5, 2019, http://www.unesco.org/new/en/amman/communication-information/capacity-development/media-environment-analysis-for-jordan/.
[7] "Egypt Media Landscape," Fanack.com, accessed March 7, 2019, https://fanack.com/egypt/society-media-culture/egypt-media/.

نشرها علنياً بعد.[8] ويمكن استخدام التعديلات المقترحة مؤخراً على نفس القانون لمحاكمة الأشخاص على ما يقوموا بنشره على منصات التواصل الاجتماعي. تشمل التشريعات الأخرى المثيرة للجدل والمؤثرة على حرية التعبير، تعديلات عام 2014 على قانون منع الإرهاب، والتي يمكن استخدامها لمحاكمة الصحفيين بتهمة الترويج للأفكار الإرهابي.[9] في مصر، توسعت الوسائل التقييدية لتشمل التشريع مثل قانون تنظيم الصحافة والإعلام 2018، والذي يشرع سيطرة الحكومة على المنافذ الإعلامية على نطاق واسع، وأيضا قانون مكافحة جرائم الانترنت لعام 2018 , الذي يشرع الرقابة على الإنترنت[10]. كما سمح التشريع في كلا البلدين بحجب المواقع الإلكترونية، وخاصة المواقع غير المرخصة، لكن يعتبر الوضع في مصر سيئًا بشكل خاص. في عام 2017، قامت الحكومة، خارج نطاق القانون، بحجب جماعي لمواقع الكترونية منتمية إلى منافذ إعلامية غير حكومية ومنظمات حقوق الإنسان، وتطبيقات تتجنب الرقابة.

تم تصنيف مدى مصر وحبر ضمن صفوف المعارضة بسبب ممارستهما للصحافة المستقلة المحترفة في هذه البيئة التقييدية التي تطبقها الوسائل القانونية وغير القانونية والمتواجدة وسط أجواء سياسية واسعة تحكمها أنظمة أصبحت تشكك في الانتفاضات العربية. يصل عدد قراء كلا من الموقعين، اللذان يعملان من عواصمهما لتغطية بلدانهما بالكامل، إلى مئات الآلاف كل يوم غالبا من خلال عملياتهم الصغيرة والتي تتضمن بين 15 و25 صحفياً.

الوضع في سوريا مختلف منذ ما قبل الانتفاضة التي تحولت إلى حرب. حيث تستمر سيطرة الحكومة الكاملة على المنافذ الإعلامية منذ ستينيات القرن الماضي، والتي قضت عملياً على الصحافة كحرفة مستقلة في البلاد وجعلت إمكانية نقل الأخبار أو أي نوع من العمل التطبيقي ليس فقط خطيرًا سياسياً ولكن أيضا مستحيل عملياً. حتى وقت قريب، ظلت الدولة السورية مسيطرة بشكل مباشر على المنافذ الإعلامية من خلال ملكية الصحف والإذاعة والتلفزيون، أو من خلال امتلاك مجموعة من نخبة رجال الأعمال المقربين من النظام لبعض المنافذ الإعلامية الخاصة.[11] أدت موجة قصيرة من الانفتاح بين عامي 2000 و 2001 إلى انتقاد بعض المنافذ الإعلامية الخاصة للحكومة،

[8] "Jordan's Media Landscape," Fanak.com, accessed March 7, 2019, https://fanack.com/jordan/society-media-culture/jordan-media/.
[9] "Jordan Media Landscape." The antiterrorism legislation is Law no. 55 of 2006.
[10] On the media law, see "Egypt's New Media Law Aims to Silence Independent Online Media," IFEX, November 8, 2018, https://www.ifex.org/egypt/2018/11/08/online-media-law/. On the cybercrime law, see "Egypt's New Cybercrime Law Legalizes Internet Censorship," IFEX, August 24, 2018, https://www.ifex.org/egypt/2018/08/24/cybercrime-law/.
[11] Joseph Daher. "Syria, the Uprising and the Media Scene," openDemocracy, October 26, 2017, https://www.opendemocracy.net/north-africa-west-asia/joseph-daher/syria-uprising-and-media-scene.

لكن سرعان ما خضعت للرقابة.[12] حيث صدر بعد هذه الفترة قانون الصحافة لعام 2001، والذي وصفه الكاتب السوري جوزيف ضاهر بأنه، «أعطى الحكومة تحكم شامل على كل ما هو مطبوع في سوريا كالصحف والمجلات والدوريات والكتب والمنشورات والملصقات، إلخ.»[13] تميزت انتفاضة عام 2011 بعدة أشكال من التنظيم المدني من ضمنها توثيق ونقل أخبار المظاهرات التي اجتاحت جميع أنحاء البلاد. أدى هذا التنظيم الى تشكيل عدد من وسائل الإعلام المستقلة ومنصات صحافة المواطنة التي تعارض النظام. أصبحت هذه المنافذ، كما كتب ضاهر، «عملًا أساسيًا للمقاومة».[14] ولكن مع تقديم شبكات صحافة المواطنة لمحتوى يمكن وصفه بالمرتجل، لم تزداد المخاوف بشأن مصداقية المعلومات فقط، بل وأيضًا حول استغلال هذه المعلومات من قبل الجماعات المسلحة المختلفة.[15] ظهر موقع الجمهورية كوسيلة لاستخدام الصحافة كشكل من أشكال المقاومة، وكرد فعل على الحاجة إلى محتوى أفضل مرتبط بالثورة السورية وتطورها. كما زادِت التركيز على السرد والتقارير الصحفية في سياق تطور ثقافة المعارضة السورية، التي تتسم بتقدر نخبة تقليدية لقيمة التفكير النظري أكثر من البحث التجاربي. عبر التواصل اليومي مع الآلاف من القراء في الشتات السوري في بيروت وإسطنبول وبرلين، انضم موقع الجمهورية إلى العديد من المجموعات الإعلامية التي اختارت تنظيم نفسها بنفسها وبناء مؤسسات من أجل تقديم محتوى مدروس ومنتج جيدًا من وعن سوريا.

السياسة القيادية

في ظل نموذج الإنتاج المعرفي الناقد كشكل من أشكال المقاومة، تحتوي المواقع الالكترونية الثلاثة التي تم فحصها هنا على بعض السياسات الأساسية المحددة. إحداها محاولة نقاش موقف سياسي يترك مسافة متساوية بينه وبين الاستبداد المفترض انه علماني وأيضا الإسلام السياسي بأشكاله المختلفة. هذا الموقف السياسي لا يحظى بشعبية كبيرة في المنطقة. فهناك دافع ينبع من تلك المسافة بين المواقع الثلاثة والسلطة (وتكويناتها السائدة في المنطقة) ويتغذى على الرغبة في الوساطة لإعطاء صوت والتعبير بشيء مميز. غالباً ما يأتي متخذي هذا الموقف السياسي منا من خلفية النخبة المتعلمة من الطبقة الوسطى، ونحن ندرك جيدًا ذلك الوضع المتميز الذي نتحدث منه. وفقًا لذلك، فإن جوهر تلك الرغبة في كوننا وسطاء هو الحاجة إلى الابتعاد عن الدور الافتراضي للدفاع عن قضية التنوير في

[12] Ibid.
[13] Ibid.
[14] Ibid.
[15] Enrico De Angelis, "Rethinking Syrian Media," openDemocracy, September 22, 2014, https://www.opendemocracy.net/north-africa-west-asia/enrico-de-angelis/rethinking-syrian-media.

العالم العربي. يعود إرث هذا الدور المضطرب إلى محاولات من أعلى إلى أسفل في القرن التاسع عشر لتحرير العقل العربي من ظلامه أو غموضه المفترض بقيادة علماء متحالفين بقوة مع السلطات القمعية. علامة ثالثة لهذا النموذج هي القدرة على تقديم تنازلات سياسية معينة لأننا نؤمن بأهمية البقاء القادر على التكيف.

كان مؤسسو الجمهورية مدفوعين بشكل خاص إلى إدراك أن الثورة السورية على عكس الثورات الأخرى في المنطقة كانت ثورة مهمشين لا تختلف كثيراً عن تلك الموجودة في اليمن وليبيا.[16] لم تكن ثورة نابعة من الطبقة الوسطى، كما تُوصف انتفاضات مصر وتونس في أغلب الأحيان (وإن كان هناك بعض التعميم)، وبالتالي لم يكن لديها نظرة ليبرالية تجعل التفاعل بخصوصها أمراً سهلاً على العالم. كان هناك شعور بالمسؤولية لدى مؤسسي الجمهورية للتعبير عن عالمية الكفاح سوري من أجل الديمقراطية والحرية والكرامة. كما قال مؤسس ومدير الجمهورية كرم نشار، «[احتاجت] النخبة التقدمية الحضرية متعددة اللغات الاستفادة من امتيازها لترجمة هذا الصراع السياسي إلى لغة أكثر عالمية يمكن للعالم كله أن يفهمها ويتعلق بها ولعل يدعمها».[17]

أولئك الذين شاركوا في الانتفاضة السورية بشكل مباشر وخاصة في أيامها الأولى، تشاركوا العديد من هذه الأفكار والدوافع ومن ضمنها هذا التصور لدور الوسيط بين مجموعات مختلفة من العلمانيين واليساريين والليبراليين في سوريا، مثل لجان التنسيق المحلية التي لم يكن لديها بالضرورة كتلة مهمة على أرض الواقع ولكنهم سارعوا بتنظيم أنفسهم في المناطق المختلفة التي خرجت فيها المظاهرات. وبالفعل قاموا بعمل مجموعات على الفيسبوك وصوروا فيديوهات وتواصلوا مع الإعلام، وعرضوا مظاهرات ونشاطات أخرى، وكل ذلك في الأماكن التي كان من الصعب فيها على السكان المحليين الوصول لوسائل الإعلام التقليدية أو البث.

حفز العنصر الريفي للثورة هذه الجماعات بما فيهم الجمهورية، كما تم تحفيزها أيضا ضد مجموعة من النخب العلمانية والفنانين والمثقفين الذين اتخذوا صف نظام بشار الأسد منذ البداية. حيث رآه هؤلاء النخب كحامي للدولة العلمانية الحديثة حتى إذا كان معيوب، ولكنه لا يزال الحامي المتاح الوحيد، ورأوا أيضاً المتظاهرين على أنهم متخلفون معتمدون على الدين. على النقيض من ذلك، اعتقد العلمانيون أنهم قادرون على التوصل إلى طريقة للتأقلم مع الإسلام السياسي. وفقا لنشار، عند إعادة النظر في تلك الفكرة اكتشف العلمانيون أن العديد من معتنقي

[16] Karam Nachar, interview with the author, Athens, July 2016.
[17] Ibid.

الإسلام السياسي «لم يكونوا أيديولوجيين.» بالأحرى، كانوا «أشخاص تريد السلطة، بمعنى أن اختلافنا معهم لم يكن مجرد أيديولوجي كالتيار الليبرالي مقابل التيار المحافظ. لكن كان الأمر يتعلق أيضًا بانتهازية سياسية وجوع للوصول إلى السلطة.»[18]

أوضح نشار أن المؤسسين «فهموا كيف أصبحت الثورة مسلحة. كنا ضد الخطاب الذي تبنى فكرة أن تسليح الثورة [حدث] من خلال مؤامرة من الخارج. سُلحَت الثورة لأنها كانت بحاجة للدفاع عن نفسها.»[19]

حتمية أن يكون المنفذ الإعلامي شاهداً

في وقت مبكر من حياته، نشر موقع الجمهورية موجزات بشأن مسلحين في الثورة السورية بما فيهم المسيحيون والعلويون وبعض الطوائف الأخرى.[20] كانت هذه الموجزات واحدة من التوثيقات القليلة المتعلقة بالتنوع في صفوف المقاتلين في السنة الأولى من الانتفاضة، كما كانت أيضا دليل على المشاركة الشعبية العريضة في الثورة في تلك الأيام. تم كتابة هذه الموجزات في معظمها من قبل الكاتب السوري والمعارض السياسي ياسين الحاج صالح، الذي كان أحد الأعضاء المؤسسين للجمهورية ومعلمًا للكثيرين في الفريق.

وعلى نفس المنوال، كان المحفز لتأسيس مدى مصر لحظة قرر فيها مؤسسو الموقع التأكيد على عدم اقتناعهم بأن الاستبداد العسكري هو البديل الصحيح للإسلام السياسي.[21] وكانت هذه اللحظة اليوم الذي خرجت فيه الجماهير المصرية إلى الشوارع للمطالبة بإنهاء حكم محمد مرسي والإخوان المسلمين عام 2013. قام الفريق المؤسس لمدى مصر، والذي قضى سنواته السابقة في الصحافة منتقدا لحكم جماعة الإخوان المسلمين بتغطية المظاهرات التي سبقت الاستيلاء العسكري على السلطة بأيام قليلة. لا يهدف الموقع إلى توثيق المظاهرات الشعبية فحسب، بل وأيضًا ما تلاها من سيطرة الجيش المشددة على السلطة وما تلا ذلك من قمع لأي شكل من أشكال المعارضة، سواء من الإخوان المسلمين أو غيرهم.

أما بالنسبة لـ«حبر»، كان مسار الوساطة وترجمة الأصوات الشعبية مختلفًا. حيث ظهر الموقع في عام 2007 كمنصة للأصوات الأردنية بهدف التحرير وجعل محتوى صحافة المواطنة صالحًا للنشر. ولكن جاءت لحظة

[18] Ibid.
[19] Ibid.
[20] See, for example, Haj Saleh, "Abu Ayham al-Durzi: Portrait of a Fighter" [in Arabic], June 27, 2013, Al-Jumhuriya, https://www.aljumhuriya.net/ar/10502; and Haj Saleh, "Abu Khalid al-Ghazlani: Portrait of a Fighter" [in Arabic], Al-Jumhuriya, May 15, 2013, https://www.aljumhuriya.net/ar/5754.
[21] Attalah, "Back to the Margin," Mada Masr, June 28, 2013, https://www.madamasr.com/en/2013/06/28/opinion/u/back-to-the-margins/.

مهمة سياسيا مع مظاهرات عام 2011، وتحول الموقع إلى مجلة لديها فريق عمل أساسي كامل وبدأ العمل في المشروع بدوام كامل. منذ بداية المشروع، وتحت شعار «ما هي قصتك؟»، شجع موقع حبر أي اقتراحات من شأنها أن تخلق مجالًا للأفكار المتنوعة حول السياسة والمجتمع الأردني. وعلى الرغم من أن الدعوة كانت مفتوحة للجميع إلا أنها جذبت بشكل خاص أصوات المعارضة، مما دفع حبر إلى التطور على شكل مجلة نقدية. في الواقع، تعتبر مراقبة موقع حبر للبيئات الانفتاحية بعيدة جدا عن ادعائهم الحيادية وذلك واضح في نوع المساهمات التي تلقوها كلما تطور الموقع.[22] على سبيل المثال، تضمنت مساهمات المدونين منذ عام 2007 انتقادات للحكومة الأردنية بسبب قمعها للاجئين العراقيين والفلسطينيين بدلاً من مساعدتهم على الاندماج، وتضمنت أيضاً انتقاد النظام القضائي الأردني لعدم مواجهته للفساد بشكل صحيح.[23]

في الوقت الذي تلاشت فيه حماسة الانتفاضات العربية بعد عام 2011، تلاشت صناديق البريد الخاصة بمحرري حبر والتي كانت مليئة بمساهمات القراء. بدأ القراء والمساهمون وعامة الناس بالاستخفاف من إمكانية حدوث تغيير حقيقي في المنطقة. ومن هنا قرر مؤسسو موقع حبر أن يكونوا مبادرين أكثر استباقية من حيث اتجاههم نحو سياسة تحريرية منسقة تهدف إلى صياغة هوية للصحافة الحادة. وقالت مؤسِّسة موقع حبر والمحررة التنفيذية لينا عجيلات: « ‹المحادثة› كلمة أساسية تجسد ما نحاول القيام به...قررنا التدخل بشكل أكثر فاعلية في محاولة دفع المحادثات تجاه بعض القضايا. فقد بدأنا كأطفال الإنترنت نتبنى المدونات في وقت مبكر، متحمسين بسبب الفرص المتاحة من قبل هذا الفضاء. ولكن عنصر التعمق والجودة كان مفقودًا. كان من الجيد تلقينا ونشرنا لكل هذه المساهمات المختلفة بعد تحريرها، لكننا أردنا أن يكون لهذا المحتوى عمق مدروس ومبحوث جيدًا. فنجد الكثير من الضوضاء هناك. . . . ونشعر اليوم أن المصداقية تكمن في عمق فكري معين.[24]

كان هدف حبر هو تحدي الوضع الراهن كما هو عليه عن طريق إضافة شيء مختلف للخطاب السائد. أشار عمود رأي كتبته عجيلات لصحيفة نيويورك تايمز إلى موقف يلخص محاولة حبر في تحدي الخطاب الأردني المهيمن الذي ألفته الدولة عن نفسها - أي أنها دولة حديثة ذات سياسات إصلاحية وجاذبية عامة تستهوي الغرب.[25] في ذلك المقال،

[22] Lina Ejeilat, Reem al-Masri, and Doa Ali, interview with the author, Amman, September 2016.
[23] See, for example, Pheras Hilal, “Shame on Us,” 7iber, August 26, 2007, https://www.7iber.com/2007/08/shame-on-us/; and Lana Alamat, “A Process without Due Process,” 7iber, January 15, 2012, https://www.7iber.com/2012/01/a-process-without-due-process/.
[24] Ejeilat, Masri, Ali, interview.
[25] Lina Ejeilat, “A Free Speech Fatality,” New York Times, September 29, 2016, https://www.nytimes.com/2016/09/30/opinion/a-free-speech-fatality-in-jordan.html.

قارنت عجيلات الاستجابة على عمليتي قتل مختلفتين على أيدي متطرفين دينيين. في يناير 2015, قام الملك الأردني الملك عبد الله الثاني والملكة رانيا بمسيرة في باريس مع قادة العالم الآخرين حدادا على مقتل رسامي كاريكاتير تشارلي إيبدو. لكن هذا يتناقض مع موقف الملك والملكة داخل وطنهم, والذي نظرت فيه عجيلات من خلال تحليلها لاغتيال ناهض حتر عام 2016. قُتل الصحفي الأردني حتر على أيدي المتعصبين بعد وقت قصير من إطلاق سراحه من حجز الشرطة بتهمة إهانة المعتقدات الدينية, وكان ذلك بسبب رسم كاريكاتوري نشره آنذاك. عند المقارنة, أشارت عجيلات إلى التناقض بين الادعاء الأردني الرسمي بأن البلاد تحارب التطرف وبين محاولاتها المستمرة لاسترضاء الإسلاميين المتعصبين دينيا من خلال حظر الكتب ومراقبة الأفلام. حتى إذا كانت الغالبية السنية البالغة 97 بالمائة سببا لتجانس سكان الأردن إلا أن محاولة الاسترضاء هذه تفرض عواقب على المجتمع. فهي تخلق خلاف مع من لا يشارك وجهة النظر المهيمنة, أو مع هؤلاء المتنوعين بأشكال أخرى. على سبيل المثال, يعتبر الأردن مقصدا للاجئين منذ فترة طويلة بما فيهم الفلسطينيون والعراقيون والسوريون وأصواتهم تستحق أن تُسمع حتى إذا كانوا معارضون لرأي الأغلبية.

اعترض كلاً من الجمهورية وحبر ومدى مصر بكل صراحة على حصر دور الإعلام في دعم خطاب التنوير المترسخ في المنطقة من إرث القرن التاسع عشر على أيدي مصلحي الفكر بشكل التنازليين من أعلى إلى أسفل. في ندوة تحدث فيها ممثلون عن جميع المنافذ الإعلامية الثلاثة بما في ذلك أنا, أجابت عجيلات على سؤال حول دور وسائل الإعلام كأوصياء ومروجين لمشروع الحداثة في المنطقة. حيث قالت «نحن نذكّر أنفسنا دائمًا أن قيمنا ليبرالية لكن دورنا غير إنجيلي...مبدأنا الرئيسي هو محاولة الفهم وتفكيك القضايا, خاصة بينما هناك استقطاب شديد يجعل الناس يتحدثون أقل مع بعضهم البعض.»[26]

يمكن تلخيص كيفية علاج الدفاع عن هذا التنوير في عبارة واحدة: «الشهادة». استخدم موظفو الجمهورية بشكل متكرر في محادثاتهم مصطلح «الشهادة» لوصف نوع صحافتهم. وهي أيضًا كلمة استخدمها كثيرًا عندما أشرح كيفية تأسيس مدى مصر أثناء اضطرابات عام 2013 بالأخص مع تصاعد العنف ضد جماعة الإخوان المسلمين. احتاجت تلك الحظة إلى قدر أقل من الوعظ وقدر أكثر من «الشهادة» الأكثر وضوحاً. في حالة مدى مصر ومنذ بدايته, مثل نشاط جمع الأخبار شكلاً ضروريًا للشهادة, بالأخص لأن تم تأسيس مدى مصر في ظل حدث تأكد الفريق المؤسس له من عدم شهادته أو عدم شهادته

[26] See Lina Ejeilat, "How We Continue and Influence: A Conversation on Independent Media in the Arab World," 7iber, October 16, 2018, https://www.7iber.com/society/on-independent-arab-media-how-to-influence-and-persist/.

بدقة وغالبًا لم يتم نقله بصحة. هذا الحدث هو فض اعتصام جماعة الإخوان المسلمين في أغسطس 2013، والذي قُتل فيه مئات المدنيين وأعقب إقالة الجيش للرئيس محمد مرسي، عضو في جماعة الإخوان المسلمين. فهذا الحدث وغيره من القيود التي تله من قمع أصوات المعارضة في بيئة إعلامية مركزة للغاية، تعني أنه يجب أن تأتي شهادة الأخبار والكتابة عنها أولاً ومن ثم يمكن أن يتبعها التحليل.

في هذا السياق، تجنبت المنافذ الإعلامية الثلاث فكرة التعددية الثقافية السائدة في العديد من المشاريع المتعلقة بالمعرفة في المنطقة. فقد رفضوا الإفراط في استخدام الثقافة المحلية كتفسير للأحداث والظواهر بطريقة تحد من مرجعنا وتقييد شعبنا داخل ثقافتهم.

مواجهة رد الفعل العنيف

كان لمحاولات إضافة مضمون مختلف للخطاب السائد ثمن. في الأردن، حجبت الحكومة موقع حبر بعد فترة وجيزة من نشاطها في نشر محتوى مكتوب بقلم فريق العمل التابع لها في عام 2013.[27] وبررت الحكومة هذا الحجب من خلال تعديل لقانون المطبوعات والنشر 2012 في الأردن حيث يتطلب ترخيص المنافذ الإعلامية. اختار موقع حبر تقديم تنازلات بتقبل الوضع عن طريق تقديم طلب رسمي للترخيص والتقدم بطلب للحصول عليه من خلال هذا القانون. قالت دعاء علي، محررة في حبر، «دعنا إما نرخص أو نموت ببطء».[28] ومع ذلك، زاد هذا الحل الوسط الحمل على أكتاف موظفي المنفذ. قالت عجلات، «كان هناك شعور بأننا لم نفعل ما يكفي بعد، ولم نكن مثيرين للجدل بشكل كافي...لم ننتج ما نريد إنتاجه.»[29] إلى جانب الرغبة في بذل المزيد من الجهد، كان هناك شعور بالمسؤولية تجاه المشهد الإعلامي بشكل عام وتجاه جمهور حبر. لقد تطورت الطبيعة المحددة للسياسات التقييدية في الأردن، كما وثّق أعضاء فريق عمل حبر، بشكل تدريجي وبمهارة. لم تكن تواجه الاستبداد الدراماتيكي في مصر أو الحرب في سوريا. ونتيجة لذلك، توصل فريق حبر إلى حل وسط وهو الحصول على ترخيص رسمي مع إدراك تام بأنه قد يتم استخدام ذلك كحجة للأردن في إظهار أن لديه نظام يسمح بشكل أساسي لأصوات المعارضة على عكس البلدان الأخرى في العالم العربي.

موقع مدى مصر محجوب في مصر منذ عام 2017 وعليه الخضوع لعملية ترخيص شبيهة من خلال مشروع قانون الإعلام التقييدي

[27] In this podcast, 7iber and Mada Masr staff members discuss their respective experiences with access to their website being blocked. See "On the Blocking and Continuing: A Conversation between Lina Ejeilat and Lina Attalah," Soundcloud, July 2, 2017, https://soundcloud.com/mada-masr/blocked-conversation.
[28] Ejeilat, Masri, Ali, interview.
[29] Ibid.

لعام 2018. لم يشكك منفذنا في الحاجة إلى التقدم بطلب للحصول على ترخيص. وكما قالت عجيلات، الخيار ليس البقاء من أجل البقاء على قيد الحياة، بل البقاء لأنه لا يزال هناك المزيد من المشروعات يجب القيام بها.[30] وفقًا لمدى مصر، لم تكن عملية الترخيص مجرد وسيلة خضوع للطريقة التي تريد بها السلطات تنظيمنا. ففي رسالة إلى القراء حول عملية الترخيص، كتب فريق التحرير لدينا:

نحن ندرك أنه مجرد تفكير آمل بأن نفترض استعداد الدولة لمنحنا وضعًا قانونيًا - فمن الممكن جداً أن يرفضوننا. نحن ندرك أيضًا مخاطر منحنا هذا الوضع قانوني لكي نخضع فقط لعقوبات وغرامات لا نهاية لها كوسيلة لشل عملنا بشكل دائم. لقد اخترنا هذا الاختيار في وقت كنا نفكر فيه فيما يعنيه أن نكون جذريين من الداخل إلى الخارج - ليس فقط على مستوى إنتاج المحتوى في سياق يريد إسكاتنا، ولكن أيضًا في كيفية إنتاجنا لهذا المحتوى وكيف ننظم أنفسنا في بيئة تفضل عدم بقائنا. إذا وافق المجلس على طلبنا للترخيص، سنأمل ببداية جديدة ذات حضور لنا معترف به كلياً في ظل معارك مستمرة لمواصلة القيام بما نقوم به، مع التركيز على تحسين وتطوير عملنا بشكل مستمر. ومع ذلك، لا نعتقد بالضرورة أن هذا السيناريو سيكون نهاية سعيدة لنضال صعب. نحن ندرك أن إنتاج صحافة حقيقية في إطار القانون وفي المناخ السياسي الحالي مخاطرة كبيرة. ولكنها مجازفة مستعدين أن نتخذها. ومع ذلك لن نستسلم في حالة رفض طلبنا. إذا كان ذلك الواقع الذي يتعين علينا مواجهته، فإننا نعد بمحاولة إعادة تجسيد أنفسنا في شكل أخر معرض للنجاح وبنفس قدر الحماسة إن لم يكن أكثر حماسةً من طريقة عملنا الحالية.[31]

أحياناً ما يغيم الخوف بظلاله على فريق عمل موقع حبر. وأدى حجب الحكومة لموقع حبر إلى القلق. كان الأمر الأكثر إثارة للقلق هو اقتحام مكتبين وسرقة معدات هذا المنفذ الإعلامي في عام 2014. وكما في مصر - وعلى الرغم من الظروف المحلية المختلفة - لم يكن فريق عمل موقع حبر متأكداً من ما يمكن أن يقع بهم في المشاكل. تغلغل الخوف أيضا فريق عمل موقع الجمهورية على الرغم من أنه لاجئ في الشتات، إلا أنه أصبح غير آمن بسبب تقلص الحيز السياسي في تركيا وبسبب الدور الذي تلعبه تلك الدولة في سوريا.

[30] Ibid.

[31] "Becoming 'Legal': On Mada Masr's Decision to Apply for a License under the New Media Law," Mada Masr, November 25, 2018, https://madamasr.com/en/2018/11/25/opinion/politics/becoming-legal-on-mada-masrs-decision-to-apply-for-a-license-under-the-new-media-law/.

ثورة هادئة المحتوى

مثل مدى مصر، تهتم كلاً من الجمهورية وحبر بالصحافة المتعمقة التي تركز على التحقيقات المعتمدة على البيانات والتقرير الاثنوجرافي والتحليل المستند إلى الحقائق - مع مقترحات واضحة تبتعد عن الوعظ وتميل أكثر لتراكم التغطية لبعض المواضيع. فالفكرة هي إنشاء محتوى بطيء ومتعمق مع الحفاظ على أهميته، وعدم الميل الى النخبوية الخاملة التي يمكن لهذا النوع من الإنتاج الميل اليه. بالإضافة إلى ذلك، أثناء إنتاج محتوى استقرائي متعمق أصبحت تلك المنافذ الإعلامية الثلاثة تدرك بشكل متزايد أهمية عدم التركيز على استثناءات بلدانهم، بل التفكير فيها في سياق العالم الأوسع.

بدأ مؤسسو الجمهورية، من منفاهم، عملهم بالتفكير في إمكانية خلق شكل جديد لأشكال الصحافة السورية التي لم تكن موجودة في البلاد من قبل. على مدار الأربعين عام الماضية، كان الكتاب السوريون مضطرين على المساهمة في الصحف اللبنانية للتعبير عن أفكارهم، معظمها في شكل مقالات رأي، بدلاً من تقارير مستندة إلى الحقائق. لم يكن هناك مؤسسات سورية قادرة على ممارسة صحافة محترفة. يميل أولئك الذين يطلق عليهم «الصحفيون» إلى المثقفين الذين يفضلون النظريات عن الكتابة بشكل اختباري. نتيجةً لذلك، كان هناك غياب في نوع الصحافة الذي يجعل التراكم المعرفي حول الشعوب ممكناً.

سعى مؤسسو الجمهورية إلى إعادة اكتشاف المجتمع السوري بأكمله عن طريق الصحافة التي يقدمونها. حيث انبثقت هذه الرغبة مما مروا به في الثورة. قال نشار «حدث شيء ما في العشرين سنة الماضية في البلدات والقرى...حيث نشأت طبقة وسطى حضرية جديدة في الريف».[32] أثناء بحثهم عن العناصر دون الوطنية في تغطيتهم لسوريا، رفض فريق عمل الجمهورية فكرة الوعْظ وتقبل في المقابل فكرة «التواضع وتفقد حال السوريون» على حد تعبير نشار.[33] من هذا المنطلق، كان هناك عنصر محدد في منهج عمل موقع الجمهورية وهو مقاومة فكرة كون الثورة نقطة انطلاق بلا تاريخ وبلا ماضي. حاول الموقع استخدام الصحافة لتتبع الأحداث والديناميات التي ازدادت في تلك النقطة الفاصلة.

وصف موقع الجمهورية بعض محتوياته كشكل من أشكال الصحافة الاثنوجرافية: فهو شكل يقع بين الإعلام والأنثروبولوجيا. ويرجع ذلك جزئيًا إلى التدريب الأكاديمي الذي خاضه بعض مؤسسي هذا المنفذ الإعلامي في مجال التاريخ، ويرجع أيضاً إلى اهتمامهم الأوسع بالأثنوجرافيا كوسيلة للتحقيق. على هذا النحو، ليست بالضرورة أن تكون كل مقالة

[32] Nachar, interview.
[33] Ibid.

منشورة متعلقة بحدث معين. ففي بعض الأحيان يتجاهل موقع الجمهورية الأخبار الجديدة التي دفع عادةً إلى إنتاج العمل الصحفي. يركز بعض المحتوى ببساطة على وصف اللا-حدث، مثل التركيز على مكان محدد ذات أهمية معينة. ففي عام 2014، نشر المنفذ الإعلامي نبذة عن أنطاكية في جنوب تركيا من خلال عدسة تجارب اللاجئين السوريين، مع التركيز على كيفية ممارسة السوريين لحياتهم هناك من خلال منظور الطبقة الاجتماعية والجندر.[34] مع مرور الوقت وبعد إنتاج المزيد من التقارير، استقر موقع الجمهورية على تعريف نفسه في إطار نوع الصحافة الخاص به، حتى إذا كان هناك مقاومة مستمر لهم من قبل المجموعات الإعلامية الأخرى التي تصف فريق العمل بأنه أكاديمي أكثر من كونه صحفي، ويصفه الأكاديميون بإنهم مجرد صحفيين ولا ينبغي عليهم ادعاء كونهم أكاديميين أو باحثين مفكرين. استغرق الأمر ذلك النوع المزيج من الصحافة بعض الوقت لكي يظهر. بذل فريق التحرير جهودًا مضنية للعمل مع الشباب في سوريا والتأكد من أن مساهماتهم اختبارية متمركزة حول الشهادة، بدلاً من الانسياق للعاطفة.

في الرد على مسألة عدم وجود تقاليد صحيفة في سوريا، تساءل محرري الجمهورية من خلال المحتوى المقدم في منفذهم الإعلامي، ما هي النقاط التي يمكن اعتبارها ذات أهمية سياسية اليوم في العمل الذي يقومون به؟ في عام 2016، نشر الموقع سلسلة «الفاعل السياسي» والتي تناقش أزمة الكتلة الديمقراطية العلمانية التي ظهرت ووُصفت بعدم الأهمية أو الصلة عقب معارضتها للنظام الحالي وللإسلام السياسي.[35] كما تناقش ايضاً كيف تعوق محورية الذات والفائض الفكري قدرة تلك الكتلة على تنظيم أو إصلاح نفسها، حتى إذا كانت لا تزال تعتبر قوة سياسية.[36] على سبيل المثال، هناك رسالة مبعوثة من أعضاء هذه الكتلة حيث تَردد صداها على نطاق واسع وتم أيضاً ذكرها في الإعلام الدولي السائد، تطالب المعارضة السورية بعدم المشاركة في المفاوضات في جنيف بسبب ظروف التفاوض غير المواتية. قال نشار: «لقد دفعنا أنفسنا إلى عالم التأمل». «لكننا أصبحنا أيضًا غير مهمين ككتلة سياسية، ولهذا السبب ظهرت فكرة سلسلة (الفاعل السياسي).»[37]

الثبات وسط الاضطرابات

طمح موقع الجمهورية إلى بناء مجتمع بعد تساؤلاته المتعلقة بمحورية الأهمية

[34] Yassin Swehat,"From Antioch to Bab al-Hawa" [in Arabic], Al-Jumhuriya, May 5, 2014, https://www.aljumhuriya.net/ar/27812.
[35] "The Political Agent" [in Arabic], Al-Jumhuriya, accessed March 7, 2019, https://www.aljumhuriya.net/ar/dossiers/الفاعل-السياسي.
[36] Nachar, interview.
[37] Ibid.

السياسية للمحتوى. وكان الحدث الرئيسي المحفز لذلك هو هجوم الغوطة الكيميائي عام 2013, عندما أصابت صواريخ غاز السارين مناطق تسيطر عليها المعارضة في ضواحي دمشق. وقال نشار, «لقد أصبح أي نقاش حول السياسة في هذه المرحلة مبتذل...كان من الضروري على النظام السوري فهم أن عليه الرحيل».[38] كان يؤمن بعض الموظفين في الجمهورية في ذلك الوقت بأهمية التدخل العسكري الأجنبي. وعارض آخرون ذلك بشدة. وقال نشار «لقد أصبح من غير الواضح فهم ما هو مفيد وما هو ملائم».[39] ولكن بالنسبة للجميع, كشفت لهم نتائج الهجوم عن حقيقة مزعجة: وهي أنه لن يتم معاقبة النظام. حيث أصبحت المخاوف بشأن السياسة العليا تعجيزية. ابتعد الجمهورية عن المناقشات السياسية التي تبدو مجردة واتجه أكثر فأكثر نحو الأحداث على أرض الواقع وذلك لفورية حدوثها وأهميتها الواضحة.

اتخذ الجمهورية قراراً جيداً بنشر سلسلة في عام 2015 حول شهادات النساء في الشتات/المنفى.[40] فكانت هذه السلسلة, المكتوبة من قبل بعض النساء, تجسيدًا عمليًا لتركيز الموقع على ديناميات النوع الاجتماعي. تتحدى هذه السلسلة الافتراضات التي تدعي بأن مكان عمل المرأة يكون في المجتمع المدني والمنظمات الثقافية, بينما يتولى الرجل العمل في الكتابة السياسية, وأن الرجال يكتبون مقالات فكرية رفيعة المستوى بينما تكتب النساء مقالات مستوحاة من شهاداتهن وإعترافاتهن. في البداية, لم يكن مؤسسو الموقع متأكدين من رد الفعل تجاه ميلهم لمواضيع النوع الاجتماعي والجنسانية. في عام 2017, قام موقع الجمهورية بدعوة مدى مصر وزملاؤها من حبر للانضمام إلى مجموعة عمل في بيروت تركز على كيفية دمج النوع الاجتماعي كموضوع ومنظور لتغطيتنا. تبادلت المجموعة شهادات حول السياسة الجندرية, وناقشت الموجة النسوية الثالثة والتقاطعية. فعدنا إلى بلدنا مفعمين بالحيوية ومُلهَمين بتقديم خطط تحريرية جديدة تركز على النوع الاجتماعي بطرق جديدة.

على عكس الجمهورية, وفي ظل عدم خوض الأردن تجربة شبيهة لسوريا من ناحية الانفصام الدراماتيكي للسياسة بسبب الحرب, بدأ موقع حبر بالاهتمام بتغطية الأخبار واعتبار هذا مؤشر على مدى الأهمية. وقالت عجيلات إن السؤال يكمن دائما كيف نضيف قيمة عندما ننشر الأخبار.[41] في الآونة الأخيرة, نشر حبر موقع تقارير شعبية عن مظاهرات يونيو 2018 في الأردن ضد تدابير التقشف الاقتصادي, والتي أدت إلى تغيير الحكومة وغيرها من

[38] Ibid.
[39] Ibid.
[40] "Women's Testimonials" [in Arabic], Al-Jumhuriya, accessed March 7, 2019, https://www.aljumhuriya.net/ar/dossiers/شهادات-نساء.
[41] Ejeilat, Masri, Ali, interview.

التنازلات ونقلوا هذه الأحداث بمزيج من الطرق المختلفة منها التغطية المباشرة والفيديو وكتابة النص والتحليل. هنا، بدأت عملية مباشرة لجمع الأخبار من خلال مقاطع الفيديو المباشرة ومواجز الأخبار اليومية وغيرها من طرق أخرى[42]. ركز حبر على هذا النوع من الأخبار التي يمكن تشويهها بسهولة من قبل وسائل الإعلام السائدة المؤيدة للسلطات الحاكمة وخاصة الملك.

وبناءً أيضاً على اهتمام موقع حبر بتغطية الأخبار الشائعة التي جذبت اهتمام وسائل الإعلام المحلية ولكن بشكل مختلف، نشر الموقع سلسلة من الملفات الشخصية عن رجال الشرطة الذين قتلوا في عدة تفجيرات في أغسطس 2018. حيث سافر مراسلو الموقع إلى القرى والبلدات الأصلية للضحايا وسألوا عن ما دفعهم للانضمام إلى الجيش وقوات الأمن.[43] أضافت تلك المبادرة طابع إنساني للمتوفيين على عكس التغطية الاخبارية السائدة التي صورت موتاهم كأحداث سياسية - بأنهم فقط شهداء الإرهاب الذين ضحوا بأرواحهم من أجل الأمة.

يقوم موقع حبر أيضًا بإجراء بعض التحليلات، ولكن فقط عندما يكون التحليل قادرًا على أن يكشف مقترحات ونقاط جدلية جديدة، وهو أمر نادر في الصحف الأردنية المحلية. على الرغم من أنه قد يُنظر لحبر عمومًا على أنه ميال أكثر إلى اليسار سياسيًا والليبرالية اجتماعيًا، وفقاً لعجيلات، هناك ميول مختلفة ضمن فريق التحرير، خاصة عندما يتعلق الأمر بالاقتصاد وهو انقسامي بطابعه. كانت عجيلات سعيدة بهذا التنوع في الميول، حيث أنه السبب الذي جعل تصنيف موقع حبر أمراً صعباً، ومما أنقذه أيضاً من أن يكون عقائديًا حول الحقيقة. وبينما تدرك عجيلات أن لدى حبر «نفساً» يسارياً، فهي كانت مدركة أيضًا أنه يجب على حبر أن يقبل التفاعل مع ميول أخرى بشكل نقدي.[44]

الآثار السياسية والاجتماعية

كانت هناك آثار سياسية واجتماعية لنهج موقع حبر. نشر الموقع مقالة طويلة في عام 2015 تقوم بتحليل وانتقاد القوانين الأردنية التي تسمح للرجال بالزواج من أي امرأة عند اغتصابهم لها لتجنب العقوبة.[45] تعتبر تلك المقالة واحدة من أكثر المقالات المقروءة على الموقع الإلكتروني، لكنها تحولت أيضًا إلى نقاش عام على شبكات التواصل الاجتماعي حيث أصبح العنوان «إغتصب وتزوج» هاشتاغ

[42] See, for example, Dana Jibril and Doa Ali, "The Harvest of the Fourth Round" [in Arabic], 7iber, June 6, 2018, https://www.7iber.com/politics-economics/jordan-protests-day-six-roundup/?%3E.
[43] Dalal Salameh et al., "Who Are the Martyrs of the Salt and Fuhais Operations?" [in Arabic], August 14, 2018, https://www.7iber.com/politics-economics/who-are-the-martyrs-of-fuhais-and-salt/.
[44] Ejeilat, Masri, Ali, interview.
[45] Ibtihal Mahadeen, "Rape and Marry" [in Arabic], 7iber, April 26, 2019, https://www.7iber.com/2012/04/rape-and-marry/.

متداول على الإنترنت. في نهاية المطاف، تم تعديل قانون العقوبات للتراجع في هذا الحكم. مثال آخر للأثار السياسية والاجتماعية لحبر هو نشر تحقيق يبحث إذا سيستعيد الأردن أراضي البقورة والغمر التي احتلتها إسرائيل في عام 1967 والتي تمت إعادتها فعليًا إلى السيطرة الأردنية في معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن لعام 1994.[46] استند التحقيق إلى معلومات لم تكن متاحة للجمهور من قبل بما في ذلك بعض الخرائط. وقد تردد صدى هذه التحقيق على نطاق واسع، حيث استندت اليه أخرين من المنافذ الإعلامية الإقليمية والدولية وكتبت أيضاً عن القضية. بموجب شروط المعاهدة، سُمح لإسرائيل باستئجار الأراضي المتنازع عليها لمدة خمسة وعشرين عامًا وإعادة التفاوض بشأن وضعها في نهاية ذلك الوقت، لكن أعلن الملك في نهاية تلك المدة أن الأردن لن يجدد بعض الأجزاء في معاهدة السلام مع إسرائيل التي تتعلق بهذه الأراضي. كما أشار أيضاً أن الأردن سيبدأ مفاوضات لاستصلاحها. وقالت عجيلات: «وكان هذا أمراً اعتقد الجميع أنه مستحيل.»[47]

وصف فريق عمل حبر بعض أعمالهم المتعمقة على أنها تراكمات معرفية حول مواضيع معينة لم تقم المنافذ الإعلامية الأخرى بتغطيتها باستمرار. أحد الأمثلة البارزة عن ذلك هو عملهم المتعلق بشؤون إدارة الإنترنت، وهي قضية لا يتم تغطيتها بشكل كافي من قبل الإعلام العربي الناطق بالعربية، ناهيك عن الإعلام المحلي الأردني. من خلال تغطيته لهذه القضية قام فريق عمل حبر المتمكن تكنولوجياً، بالتحقيق في فضاء الإنترنت الحر صورياً مع تحديد الأسباب التي جعلته أقل حرية وأكثر سيطرة من قبل الدول والشركات. أدّ الاهتمام الزائد والتراكم المعرفي للمحتوى بخصوص مواضيع معينة إلى وجود عدد من الأراشيف الصغيرة التي تستفيد منها مجموعات مختلفة ذات اهتمامات مختلفة.

تضم بعض المخاوف المشتركة بين كلاً من حبر ومدى مصر تجنب الشعور بالسكينة في هذا الفضاء النخبوي لكونهما موقعان بديلان متفوقان فكريًا. في بدايته، كان موقع حبر منسوب الى نخبة من الأردنيين قراء الإنجليزية فقط. وحتى عندما حقق تعادل مع المحتوى المكتوب بالعربية، استمر انسابه إلى النخبوية، لكنه أصبح الآن منسوب إلى النخبوية الفكرية أكثر من النخبوية الطبقية. على حد تعبير عجيلات، لقد أدرك موقع حبر هذه النخبوية وأدرك ايضاً تقاطع مثير للاهتمام بين أن تكون «عصري ومطابق للموضة ولكن أيضًا مثير للجدل والمعارضة.»[48] بمعنى أنه كان هناك مخاوف في مجلس الإدارة عن نتيجة تأثير انتقاد الموقع للسُلطة وفكره التقدمي

[46] Shaker Jarrar, "Will Jordan Reclaim Its Territory from 'Israel' in the Next Year?," 7iber, January 15, 2018, https://www.7iber.com/politics-economics/well-get-them-back-will-jordan-reclaim-its-territory-in-the-next-year/.
[47] Ejeilat, interview with the author via email, March 5, 2019.
[48] Ejeilat, Masri, Ali, interview.

والليبرالي اجتماعياً، على مستوى شعبية الإعلام. وقالت دعاء علي «لا نريد أن يأخذ أي شخص انطباع بأننا فضاء قاتمي».[49] وعبروا على ذلك من خلال التنوع في المحتوى، والذي تضمن تغطية للثقافة والرياضة وأسلوب الحياة من بين موضوعات أخرى.

على المستوى التحريري العام، أحد الإنجازات التي حققها فريق عمل الجمهورية من خلال السنوات العديدة من نشر كميات كبيرة من المحتوى، هو أن الأزمة السورية ولدت شعوراً بالاستثنائية بداخل من يتحدثون ويكتبون عنها. ربما كان هذا السبب المشجع للانضمام إلى شبكة للإعلام العربي، تمكن منافذ إعلامية أخرى بما فيهم مدى مصر بالتعبير عن قلقًا معينًا: وهو أن التركيز بشكل خاص على أزمة مصر منذ عام 2013 مصطحب حتمياً بشعور من الاستثنائية. وهكذا ولدت سلسلة الجمهورية التحريرية الافتتاحية لعام 2016 بعنوان «اليسار ومسألة الحرية». هنا، كتب عدد من النشطاء عن تجربتهم في الانضمام إلى أحزاب يسارية في جميع أنحاء المنطقة، وعن سبب تركهم لها، ورحب بذلك كتاب من سوريا ولبنان والعراق. تضمنت السلسلة ترجمة لمقدمة العمل الاوكراني المترجم «مزرعة الحيوان» لجورج أورويل، والتي عرض فيها أورويل نبذة تاريخية شخصية عن تورطه في السياسة اليسارية وندد صراحةً بالتأثير الضار للنظام السوفيتي الشمولي على الحركة الاشتراكية في الغرب.[50] كان هذا أيضًا الدافع وراء مشاركة حبر ومدى مصر في تغطية أخبار إقليمية كبيرة، مع الاعتماد على مصادر كل منهما، فهذا جانب أساسي من جوانب التعاون بينهما.[51] طور الجمهورية فكرة على موقعه بعنوان «هايبرلينك»، حيث ينشر فيه روابط لقراءات مثيرة للاهتمام من مواقع عربية لديها نفس التفكير، وينشر فيه أيضاً ملاحظات تقديمية تعرض الموضوع والموقع المستضيف له.[52]

في محاربة الاستثنائية، تحاول منافذنا الإعلامية دمج فكرة التقاطعية في نوع الصحافة التي نمارسها — وفهم كيفية تقاطع الحقائق والفئات الثقافية والسياسية والاجتماعية المختلفة لخلق الظروف التي تُعرف قصصنا. نتبع هذا النهج بالأخص عند نقل أخبار تتعلق بالجندر. فعقب ورشة العمل عن الجندر التي نظمها الجمهورية، أطلق

[49] Ibid.
[50] "The Left and the Question of Freedom" [in Arabic], Al-Jumhuriya, accessed March 7, 2019, https://www.aljumhuriya.net/ar/dossiers/اليسار-وسؤال-الحرية.
[51] 7iber covered the new gas deals with Israel by speaking to Mada Masr. See Attalah, "A Meeting with 7iber on the Recent Gas Agreement with Israel and the Popular Protest Accompanying It," [in Arabic] Mada Masr, October 8, 2016, https://madamasr.com/ar/2016/10/08/feature/سياسة/لقاء-مع-حبر-حول-اتفاقية-الغاز-الأخيرة/. Mada Masr also covered the latest Jordanian austerity protests. See Mostafa Mohie, "Interview with 7iber: The Protests of Jordan—the Middle Class Enters the Front Line" [in Arabic], Mada Masr, June 2, 2018, https://madamasr.com/ar/2018/06/02/feature/سياسة/حوار-مع-حبر-احتجاجات-الأردن-الطب/.
[52] "Hyperlink" [in Arabic], Al-Jumhuriya, accessed March 7, 2019, https://www.aljumhuriya.net/ar/dossiers/هايبرلينك.

الموقع سلسلة بعنوان «الجندر، الجنسانية، السُلطة» تتضمن قصص من جميع أنحاء المنطقة. في مقدمة هذه السلسلة، كتب نشار عن امرأة سورية قُتلت على يد شقيقها بسبب علاقة غير مرغوب فيها مع ضابط تركي، كما كتب عن صبي عراقي مثلي جنسياً قتلته الشرطة. « بمعنى، ماذا لو قارنا جثمان رشا وحمودي جنبا إلى جنب، وقارنا آلامهم؟...تقترح تعددية التقاطعات أننا نتعامل مع نسختين مختلفتين لنفس النص، منها: المشهد الغريب؛ المراهقة والضعف الواضح للضحايا؛ تعالي القتلة وثقتهم في أن ما يقومون به هو «الخير» أو «العدالة»؛ وبالطبع وعلاوة على كل هذا، الدوافع، التي لا يمكن فهمها في كلتا الحالتين دون الاستناد بهذه الكلمة التي ما زالت تضايق الكثير حتى بعد نصف قرن من ظهورها: «الجندر».[53]

فكرة النظر الى ما وراء استثنائية حالة بلادنا وعدم حصرنا في ذلك تعني أيضًا القدرة على استخدام هذا الشرط كعدسة منظور، وفي ذلك قوة. فيقول نشار،

نحن نؤمن بأن الثورة والحرب في سوريا ولدتا عدسة ممتازة لفهم العالم. [نريد] توظيف ما حدث في سوريا كعدسة نفهم من خلالها بعض التساؤلات الأساسية في العالم. هناك شعوراً بالتقدمية عندما يشعر شخص من العالم الثالث بجرأة كافية لتساؤل بعض الأسئلة العالمية. فهو شعور بالتمكين. في الدراسات المناطقية، يتم إنتاج النظرية من قبل الأشخاص ذات البشرة البيضاء ومن بعد يأتي الأشخاص ذات البشرة البنية عندما يقام عليهم دراسة الحالة. حيث أنتج ماركس وويبر النظرية العالمية، ونحن موجودون هنا لتطبيقها. يعد الأرشيف الخاص بنا بمثابة مختبر ومساحة صالحة للنظريات كما هو الحال في الأرشيف الأوروبي أو أي منطقة أخرى في العالم.[54]

وعلى نفس المنوال، كتبت الأكاديمية الأمريكية الفلسطينية لمى أبو عودة نقداً متكون من جزأين لليبرالية الغربية من منظور عدسة الأزمة السورية.[55] وكتب أيضاً الأكاديمي الدنماركي سون هاوجبول مقالاً تعليقًا حول قدرة سوريا على تعليم دروس حول النزعة الإنسانية المتطرفة.[56]

[53] Nachar, “Gender, Sexuality, Power,” Al-Jumhuriya, November 12, 2018, https://www.aljumhuriya.net/en/content/gender-sexuality-power.
[54] Nachar, interview.
[55] Lama Abu-Odeh, “Syria: The Name of Our Shame (1 of 2),” Al-Jumhuriya, May 26, 2016, https://www.aljumhuriya.net/en/en/critical-thought/syria-the-name-of-our-shame-1-of-2.
[56] Sune Haugbolle, “A Militant Humanism for the 21st Century,” Al-Jumhuriya, April 28, 2016, https://www.aljumhuriya.net/en/en/critical-thought/a-militant-humanism-for-the-21st-century.

سياسة التقديم: اللغة والكتابة

تعمل المنافذ الإعلامية الثلاثة بطرق مختلفة في إنتاج وتقديم محتواها، ولكن هناك نقطتان مشتركتان بينهما تشرح طريقتهما في العمل. أولاً، اللغة وطريقة استخدام اللغة العربية؛ ثانياً، الاعتماد الأساسي على الكتابة أكثر من أي شكل أخر للسرد (مثل سرد القصص بالطريقة المرئية)، والتجربة في استخدام وسائل اعلامية اخرى مختلفة.

لقد استخدمنا اللغة، وخاصة العربية، كأداة لتحريك للأفكار، وبالتالي قمنا بتجربة اللهجات المختلفة من أجل تقديم أفضل محتوى في متناول اليد. على هذا النحو، كان استخدامنا للغة سياسي الطبع وليس عقائدي، وذلك لأنه لا يقتصر على القواعد المشددة والاستخدامات التقليدية للغة. بسبب هذه الخيارات تم نسبنا إلى العالم العربي الجديد ما بعد الانتفاضة، حيث يتم إعادة تعريف العرب بشكل نشط، بما في ذلك من خلال اللغة من حيث قواعدها المتطورة ولهجاتها الجديدة، وأيضا من خلال تحويل المنطوق إلى المكتوب.

على سبيل المثال، هناك ما يشبه انقسام جيلي في رأي فريق تحرير الجمهورية حول طريقة كتابة كلمة «سوريا» باللغة العربية. يفضل كبار المحررين المتطوعين كتابة كلمة «سوريا» باللغة العربية بالتاء المربوطة، في حين أن الأصغر سناً يفضلون كتابة اسم البلد بالألِف. استخدام التاء المربوطة متعلق بالقومية العربية وبعدم مرونة اللغة العربية. حسب نشار، الألِف هو خط طويل مستقيم ينقل صوتًا قويًا مفتوحاً و»أكثر برودة»، ويستخدم في كتابة كلمة «سوريا» من قبل أشخاص «مرتاحون لأنفسهم».[57] في مدى مصر، استضفنا ندوة نقاشية عن تدريس اللغة العربية في بلادنا، حيث تم ذكرت كثيراً فكرة قداسة اللغة. قال أحد السوريين المشاركين في النقاش أن اللغة العربية في سوريا مُمجدة لدرجة أنه مُتوقَع دائماً إتقانها، حيث وصل ذلك إلى درجة خلق فوبيا او رعب إزاء ارتكاب الأخطاء اللغوية. على النقيض من ذلك، قال نائل الطوخي أحد محرري مدى مصر، إنه يجب علينا أن نتعامل دائماً بمرونة مع اللغة: يجب علينا في بعض الأحيان أن نقوم بمصادقتها وإزعاجها، أو اللعب معها.

كما هو الحال في مدى مصر، هناك جهود منسقة من الجمهورية وحبر لمقاومة فكرة وجود منظور واحد متقن للغة. على سبيل المثال، كان يستخدم موقع الجمهورية الكلمات الإنجليزية الشائعة في اللغة العربية كما هي، بدلاً من الإيجاد لها ترجمة عربية والتي يمكن أن تبدو أجنبية وغير مؤثرة. قامت المنافذ الإعلامية الثلاثة بتطبيق استخدام معين للغة الديالكتيكية والعامية- وهو أمر يمثل تحدي خاص في تطبيقه من قبل العديد من المثقفين السوريين، بالأخص

[57] "Khalid Fahmy," Mada Masr, accessed March 7, 2019, https://madamasr.com/ar/contributor/خالد-فهمي/.

فـي البلـد الـذي ولـدت فيـه القوميـة العربيـة. تحـدث الطوخـي، وهـو أيضـاً روائيـاً، عـن أن اللغـة العاميـة هـي لغـة المجتمـع. بصفتنـا منافـذ إعلاميـة مهتمـة بشـؤون مجتمعاتنـا، شـعر الطوخـي أنـه مـن الواجـب أن نكـون قادريـن علـى التعامـل مـع اللغـة العاميـة جيـداً فـي الكتابـة. فـي القسـم الـذي يتولـى الطوخـي تحريـره، نشـر موقـع مـدى مصـر سلسـلة مقـالات بقلـم خالـد فهمـي المـؤرخ المشـهور لتاريـخ الشـرق الأوسـط الحديـث، بعنـوان «خواطـر فـي اللغـة العربيـة العاميـة».[58] هنـا، اسـتخدم فهمـي اللغـة التـي يسـتعين بهـا فـي محادثاتـه اليوميـة لمناقشـة التاريـخ والسياسـة. حيـث تقـع هـذه اللغـة فـي مكانـاً مـا بيـن العاميـة والفصحـى، ممـا يـدل علـى النطـاق الواسـع والدينامية الأساسـية للغـة.

فـي مقالـة اسـتعراضية منشـورة فـي مـدى مصـر لكتـاب مكتـوب باللغـة العربيـة العاميـة، دافـع خالـد منصـور عـن اسـتخدام اللهجـة العاميـة كوسـيلة لسـد الفجـوة بيـن الكتـب والحيـاة اليوميـة، ومقاومـة لفكـرة أن الإبـداع الأدبـي الرسـمي يحـدث فقـط فـي اللغـة العربيـة الفصحـى.[59] حيـث كتـب منصـور عـن أمثـال لاسـتخدام العاميـة فـي الأدب المصـري المرمـوق «هـل تتذكـروا قصائـد بيـرام التونسـي وفـؤاد حـداد وصـلاح جاهيـن؟ يوميـات لويـس عـوض؟ روايـات مصطفـى مشـرفة عـن ثـورة 1919؟». لا يـدل هـذا النـوع مـن التطلـع الـى إجراء تجـارب علـى الطبقـات المختلفـة للغـة العربيـة الموجـودة بأسـفل الطبقـة الكلاسـيكية للغـة، علـى موقـف أيديولوجـي ضـد اللغـة العربيـة الفصحـى ومـع اللغـة العربيـة المنطوقـة. بـدلاً مـن ذلـك، فهـو شـكل مـن أشـكال المقاومـة لسـلطة اللغـة تُمـارس مـن خـلال التجـارب المسـتمرة، بمـا فـي ذلـك إجـراء التجـارب علـى أشـكالها الكلاسـيكية.

تقـوم جميـع منافـذ الإعـلام الثلاثـة لدينـا بترجمـة بعـض الأجـزاء مـن المحتوى إلـى اللغـة الإنجليزية، ونقـوم أيضـاً نشـر محتـوى مكتـوب أصـلاً باللغـة الإنجليزيـة، ولكـن أقـل مـن المحتـوى العربـي، ونقـوم بـكل ذلـك سـاعيين أن نكـون جـزءًا مـن الخطـاب العالمـي. لقـد عانينـا طـوال الوقـت مـن مشـاكل الترجمـة، حيـث نفقـد فـي بعـض الأحيـان أجـزاء مـن الجوهـر الأساسـي للمحتـوى.

دافعـت أيضًـا المنافـذ الإعلاميـة الثلاثـة عـن الكتابـة الطويلـة. «مـن كان يتصـور أن الكثيـر مـن النـاس يرغبـون فـي قـراءة مقـال طويـل عـن غرامشـي والعالـم العربـي؟»، هـذا مـا قالـه نشـار مشـيراً إلـى العمـل الـذي قـام بـه موقـع الجمهوريـة عـن إعـادة تشـكيل سـلطة النخبـة العربيـة الحاكمـة مـن أجـل الحفـاظ علـى هـذه

[58] "Khalid Fahmy," Mada Masr, accessed March 7, 2019, https://madamasr.com/ar/contributor/خالد-فهمي/.
[59] Khalid Mansour, "How The Newborn Colored the History of Egypt in Colloquial" [in Arabic], Mada Masr, February 10, 2019, https://madamasr.com/ar/2019/02/10/feature/ثقافة/كيف-تلوّن-المولودة-تاريخ-مصر-بالعام/

المكانة في صفوفهم، وهي استراتيجية تجسد فكرة الهيمنة لأنطونيو غرامشي.[60] كتب الكاتب اللبناني المعروف خالد صاغية سيرة ذاتية مكونة من ستة آلاف كلمة عن نشأته في أوساط يسارية حيث انتهى به المطاف بمغادرة اليسار.[61] وفقاً لتحليل حركة زيارة الموقع حقق هذا المقال نجاح ساحقاً. في عام 2014، كتب حسام بهجت الصحفي التحقيقي والذي كان في الأصل مدافع عن حقوق الإنسان، مقالاً مكون من أربعة آلاف كلمة حول كيفية استغلال عائلة مبارك وحكام مصر السابقون للسلطة اقتصاديًا داخل قصورهم الرئاسية.[62] لسنوات، استمر هذا التقرير في تصدر قائمة مقالات مدى مصر الأكثر مشاهدة. لا يقرأ القراء النص فحسب، بل سيقومون أيضًا بتحميل كل البيانات التي قدمناها في المقال والتي تكشف عن طرق تطبيق الفساد. حيث يتحدى هذا المقال وجهة النظرة الشائعة عن أن المحتوى الرقمي سريع الزوال.

قال نشار: «الإنترنت يفاجئنا». رفض موقع الجمهورية أن يعترف بالأفكار المتداولة عن الانترنت، مثلا، دور تشكيل بعض المخططات للآراء العامة، وأيضاً فكرة عدم قراءة الناس للمقالات الطويلة عموماً.[63] بدلًا من ذلك، اعتز نشار باستخدام الإنترنت - ليس بسبب هذه المخططات، ولكن بسبب تمكين الإنترنت له ولفريقه من الوصول إلى التحليلات والبيانات حول القراء التي لم تكن متوفرة في الصحف. مَكن الدخول على الإنترنت وجود أشكال جديدة للكتابة. حتى مع التزامنا بنشر قراءات طويلة، فقد كنا دائمًا متقبلين فكرة استخدام الفيديو. لم يكن تقبلنا هذا استجابة للفكرة السائدة في الوسط الإعلامي بأن الناس تفضل الفيديو عن النص. على العكس من ذلك، نعتقد اعتقادا راسخا أن الناس ما زالوا يحبون النصوص الطويلة إذا كانت غنية بالمعلومات وتجذب الانتباه، ولكن لا شك أيضاً في إمكانية الصور لسرد القصص. في عام 2016، بدأ موقع الجمهورية برنامجًا حواريًا شهريًا مدته خمسون دقيقة، تمكنوا من خلاله استخدام مواردهم المحدودة لإنشاء جماليات بسيطة ومريحة مثل استخدام الإضاءة الخافتة، كاميرتان، وميكروفونات عادية. في هذه السلسلة، ناقش المضيفون الكتابة الصحفية العربية الجديدة، والمعارضة الثورية السورية الجديدة، والإسلام السياسي في سوريا، وغيرها من المواضيع. حيث لفتت السلسلة انتباه الرأي العام على نطاق واسع وتلقت الكثير من المشاركة. وفقاً لنشار، أعجب الجمهور بهذا الشكل من التقديم لأنه

[60] Nachar, interview. Al-Jumhuriya also published and translated several pieces on Gramsci's influence on India, and the development of subaltern studies, especially works by Indian scholar Ranajit Guha.
[61] Khaled Saghieh, "On the Left and Other Demons" [in Arabic], Al-Jumhuriya, May 20, 2016, https://www.aljumhuriya.net/ar/35014
[62] Hossam Bahgat, "The Mubarak Mansions," Mada Masr, May 20, 2014, https://madamasr.com/en/2014/05/20/feature/politics/the-mubarak-mansions/.
[63] Nachar, interview.

يجسد الطبيعة التجريبية لطرق عمل منظمته والفكر الذي ينتجه. ووصف البرنامج الحواري بأنه «ديمقراطي» و «فوري».[64]

خاض موقع مدى مصر أيضاً تجارب في استخدام الفيديو، حيث حققت سلسلة الفيديوهات كوميدية بعنوان «أخ الأكبر» نجاحات ساحقة، حيث طور رسام الكاريكاتير الرئيسي لدينا شخصية تعلق بشكل ساخر على الوضع في البلاد. من خلال هذه السلسلة وغيرها، علمنا أن الجمهور لا يتطلع إلينا للحصول على وثائق مباشرة في شكل الفيديو - فهذا هو عمل التلفزيون، ولكن أرادوا شرحًا أو محادثة أو المزح أو الخروج تمامًا عن الواقع.

ولكن لا يزال موقع حبر الأكثر دهاءً في دمج الفيديو مع الصحافة. إلى جانب الحضور القوي للموقع أثناء مظاهرات صيف عام 2018 ضد تدابير التقشف الاقتصادي، خصص حبر محتوى كبير يركز على مشروع قانون ضرائب الدخل الجديد في سبتمبر من نفس العام، لكونه أحد الأسباب المشعلة المظاهرات. تضمن هذا المحتوى مجموعة من الفيديوهات الإعلامية التي تشرح قانون ضريبة الدخل الأردني على مدى ثلاثة عقود، من خلال عروض مرئية مختلفة ونص طويل. حيث كان ذلك أحد الأمثلة العديدة على كيفية تطوير موقع حبر لبعض موضوعاتها بدقة عن طريق استخدام أشكال مختلفة من سرد القصص.[65]

التقدم إلى الأمام: تعزيز التعاون

في اجتماع مركز كارنيغي للشرق الأوسط، حيث تحدث أحد مؤسسي الجمهورية عن فشل الدول العربية الحديثة في خلق سياسة مواطنة شمولية، أوضح الحاضرون الحاجة إلى الإصرار على إيجاد وتشكيل تجمعات جديدة من الأفراد والمجموعات في المنطقة، والدفاع عن قيم الحرية والكرامة من خلال قاسم سياسي مشترك. لقد أكدت المساهمات الفكرية لموقع الجمهورية ومذكرته الختامية فكرة لدي: حيث أردت تعبئة مجموعة من المنافذ الإعلامية العربية التقدمية والمستقلة والشبابية، التي تعمل بنشاط في ظل أزمات الوقت الراهن في العالم العربي.

يرجع التشابه بين موظفي حبر ومدى مصر إلى ما قبل الانتفاضات، حيث يعود تاريخ ذلك إلى السنوات الأولى من القرن الجديد، وقت استخدام الشباب العربي للإنترنت لأول مرة للاتصال عبر الحدود من أجل النشاط والمشاركة السياسية. تعتبر المنصات مثل ملتقى المدونين العرب السنوي والتقنيين العرب فضاء مبكر لمثل هذه الالتقاءات، والصداقات، والتعاون، والتضامن المتبادل. كان

[64] Ibid.

[65] Shaker Jarrar et al., "Economic Openness at the Expense of Justice" [in Arabic], 7iber, July 25, 2018, https://www.7iber.com/politics-economics/open-market-against-social-justice-three-decades-of-income-tax-law/.

مؤسسو كل من حبر ومدى مصر يتمتعون بخبرة سابقة مشتركة في ممارسة الصحافة التقليدية. من خلال هذه الخلفيات المشتركة، يسعى المنفذان الإعلاميان إلى إيجاد فضاء جديد للصحافة العربية، ومقاومة سيطرة الشركات والحتمية التكنولوجية، ولكن مع الاستفادة من الفرص التي يتيحها الإنترنت.

في فبراير 2016، نظمنا الاجتماع الأول للإعلام العربي الشاب في القاهرة، وكان هناك مشاركة من لبنان وفلسطين وتونس والمغرب والبحرين والمملكة العربية السعودية والسودان. كان هذا أول اجتماع في ما أصبح بعد ذلك التقاءً سنويًا باسم اجتماع فبراير. فهو اجتماع سنوي متنقل عبر المدن العربية المختلفة، يستضيف في كل مرة مبادرات إعلامية جديدة ومختلفة محاولة لتحديد شكلاً للإعلام العربي الجديد.

في عام 2018، قرر كلاً من موقع مدى مصر والجمهورية وحبر، إلى جانب مواقع أخرى من المنطقة متخصصة في تقديم أشكال معينة من المحتوى والإنتاج، تطوير مدرسة صحفية تعكس قيمها. حيث تشمل هذه القيم النظر إلى الصحافة كفعل سياسي، وفهم أن إدراك السياقات والتاريخ الاجتماعي والسياسي ضروري في قراءة وترجمة العالم العربي. تؤكد تلك القيم أيضًا على أن عمليتي البحث القوي والكتابة الجيدة جزءً لا يتجزأ من مهارات الصحفي الماهر - بالإضافة إلى جميع المهارات الأخرى المرتبطة بالإعلام الرقمي اليوم - وتؤكد أيضاً أن تقليد الطرق السائدة للصحافة الرقمية العالمية في إطار غياب هدف منظم يعتبر وصفة للفشل. تسعى المواقع الإلكترونية الثلاثة إلى تطوير هذا البرنامج ليس من أجل الإيثار، ولكن من أجل تطوير غرف الأخبار الخاصة بها. سيبدأ البرنامج الذي تستمر مدته عاماً في خريف عام 2019، وسوف يتضمن عناصر مادية وعناصر رقمية، ولكن يتم تطوير مناهجهم الدراسية للتركيز على ثلاثة مسارات رئيسية: الصحفي كمؤرخ، والصحفي كأنثروبولوجي والصحفي كمتخصص.

وفي الوقت نفسه وبينما ننتظر أن ينضم إلينا الجيل التالي من الصحفيين بعد تجربة المدرسة هذه، عملنا مع فرق عملنا الخاصة على إنتاج بعض المساهمات التحريرية حيث نحدد موضوعًا مشتركًا ونقترح حوله أفكار من منظور سياقاتنا المختلفة. بمجرد أن نتفق على المزيج الصحيح من الاقتراحات نقوم بإنتاج ونشر المحتوى معًا، سواء عبر الإنترنت أو في النسخة المطبوعة. في عام 2017، قمنا بنشر مساهمة تحريرية تستكشف خمسين عامًا بعد هزيمة العرب في حرب 1967 والتي خاضتها الجبهات المختلفة في بلادنا.[66] في عام 2018، نشرنا مساهمة تحريرية أخرى عن

[66] "File: Fifty Years since the War of June 1967" [in Arabic], 7iber, June 5, 2017, https://www.7iber.com/politics-economics/50-years-to-1967-war/.

الخبز كمنظور يناقش من خلاله المواضيع المختلفة مثل الطعام والقوة والأجساد.[67]

في هذا الفصل، قدمت نبذة عن الطرق التي تعمل بها هذه المنافذ الإعلامية المبتكرة كفاعلين سياسيين في ظل سياقاتهم الحالية، من خلال مواقفهم المعلنة ومحتواها وطرق النشر الخاصة بهم. هناك حاجة إلى المزيد من العمل لوصف الحساسيات التحريرية لهذه المشاريع بشكل كامل، وكذلك لوصف استقبال الجمهور لها.

رأى جوزيف ضاهر، عضو زميل في مجموعة عمل باسم «المواطنة وتحدياتها»، قيمة منهجية في الجهود الإعلامية الموصوفة في هذا الفصل. وقال ضاهر في ورشة عمل تجمع أعضاء مجموعة العمل «هذا أمر من الأمور التي يمكن القيام بها قبل الثورة القادمة».[68] «هذا أمر من الأمور التي كان يجب عليها الحدوث قبل الثورة». وبعيدًا عن المديح البسيط للنشاط، يقوم ضاهر بالتأكيد على صحة الفكرة إنه من الممكن للصحافة أن تتجاوز تحدي السلطة. عندما تصبح الصحافة فعل يبني مؤسسات تقدمية يعكس قيم المحتوى الذي تقدمه، وتُساهم في نمو الأطياف حول هذه المؤسسات، ربما يمكننا آنذاك التفكير في سياسة معينة غير مهووسة فقط بانتقاد السلطة ولكن أيضًا بتخيل احتمالات أخرى بديلة. وصف الفيلسوف الفرنسي جاك رانسيير السياسة بأنها مجال يتخطى التحقيق في السلطة وشرعيتها، لتغطية علاقة موضوع هذه السلطة بالذات وبالسلطات.[69] تكمن السياسة في هذه العلاقة. ولكن أفضل ترك التساؤل حول قدرة توفير العمل الذي نقدمه لمسودة أو بروفة لثورات أخرى، لعلماء السياسة والأكاديميين الآخرين.

[67] "File: Bread: Wheat, Loaves, Food and the State " [in Arabic], Mada Masr, December 12, 2018, https://madamasr.com/ar/2018/12/12/feature/سياسة/ملف-الخبز-القمح-والرغيف-والغذاء-والسط/.

[68] Daher made these comments at a workshop hosted by The Century Foundation in New York in October 2018.

[69] Jacques Rancière, "Ten Theses on Politics," Theory & Event 5, no. 3 (2001).

الشقاق الليبرالي-الإسلامي في العالم العربي يتم عامه المئوي:
إرث استعماري يساعد الطغاة على الحكم اليوم

د. إليزابيث ف. طومسون - بروفيسورة التاريخ ومديرة كرسي محمد سعيد فارسي بالجامعة الأمريكية بواشنطن

ملخص

أدى الشقاق بين شركاء التحالف الإسلامي -الليبرالي في الربيع العربي في سوريا ومصر إلى تقويض الثورات وصب في مصلحة الديكتاتوريات العسكرية. لكن في الوقت الذي غالبًا ما ينظر فيه إلى هذه الخلافات باعتبارها محورية وغير قابلة للتغيير، هناك في الواقع أدلة وافرة على وجود تعاون تاريخي بين الإسلاميين والليبراليين العرب. فقد عمل الفصيلان السياسيان معاً بدرجات متفاوتة في كل من مصر وسوريا، قبل قرن من الزمان، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، بل واتفقا على بعض الموضوعات التي تعد اليوم مصدر خلافات مريرة. بالاعتماد على البحوث الأرشيفية الأصلية، يعيد هذا الفصل الحياة إلى هذا التاريخ المبكر ويظهر أن الانشقاقات التي نشأت بين الليبراليين والإسلاميين لم تكن حتمية، بل كانت نتيجة لأحداث محددة - خاصة التدمير الأجنبي للتحالفات الليبرالية. ويساعد فهم الفشل الدستوري من خلال منظور تاريخي في تفسير سبب استمرار المواد المتعلقة بالإسلام في الدساتير العربية الحديثة على الرغم من طبيعتها الإقصائية. كما يشير إلى إمكانية إحراز تقدم، مهما بدا بعيد المنال، بين المجموعات التي ما تبدو - لو أهملنا هذا المنظور - على أنها فصائل متناحرة في السياسة العربية اليوم.

بدأ الربيع العربي يذوي في القاهرة في أواخر نوفمبر 2012. عندما أصدر محمد مرسي، أول رئيس منتخب بشكل حقيقي في مصر، إعلاناً يمنحه حصانة من الرقابة القضائية بعد أن هددت المحكمة الدستورية العليا ببطلان الجمعية التأسيسية للمرة الثانية. وعاد آلاف من متظاهري ميدان التحرير في 2011 إلى الشوارع، منددين بالرئيس مرسي لحشده الجمعية التأسيسية بالإسلاميين. ادعى مرسي أنه يقوم فقط بالدفاع عن الثورة في وجه نظام قضائي موالي للديكتاتور حسني مبارك الذي توحد الإسلاميون والليبراليون لإسقاطه.[1] في الصيف التالي، تم عزل مرسي بواسطة الجيش وقُتل المئات من مؤيديه من الإخوان المسلمين في مذبحة رابعة.

أصبحت عملية صياغة الدستور في مصر مسابقة حزبية صفرية انتهت أخيرًا بتفكيك التحالف الثوري وسمحت للجيش باستعادة الحكم.[2] انقسمت الثورة، على حد تعبير أحد المراقبين، بين الديمقراطيين الإسلاميين والليبراليين النخبويين. «لقد حسنت الانتخابات النزيهة مهارات الإخوان المسلمين الحملاتية". كتب سامر شحاتة في يوليو / تموز 2013، لكنها لم تلتزم التزاماً كاملاً بالتعددية أو تكفل حقوقاً متساوية للأقليات». قد يؤمن خصوم الإخوان بحقوق الأقليات والحريات

[1] Kareem Fahim and David D. Kirkpatrick, "Protesters Gather to Denounce Morsi in Scenes Recalling Uprising," New York Times, November 28, 2012, https://www.nytimes.com/2012/11/28/world/middleeast/egypt-morsi.html

[2] Yasmine Farouk, "Writing the Constitution of the Egyptian Revolution: Between Social Contract and Political Contracting," in Constitutional Reform in Times of Transition, ed. Álvaro Vasconcelos and Gerald Stang (Paris: Arab Reform Initiative, 2014), 98–116.

المدنية، لكنهم «ليبراليون دون أن يكونوا ديمقراطيين؛ إنهم ينادون بحماس منقطع النظير بعزل الرئيس مرسي ويرغبون في تدخل الجيش».[3]

اتخذ الانقسام بين الإسلاميين والليبراليين منحىً أكثر دموية في الانتفاضة السورية. إذ انزلقت الاحتجاجات من أجل الحقوق الدستورية إلى حرب أهلية، سحق فيها الإسلاميون المسلحون المعارضة الليبرالية الأصلية. وقام نظام بشار الأسد بتصعيد الحرب بدعوى حماية الأقليات السورية من الإرهابيين. وبالمثل، قام قائد الانقلاب في مصر، عبد الفتاح السيسي، باستخدام المسيحيين الأقباط تحت دعاوى الدفاع عن التعددية الديمقراطية في وجه الديماغوجية الإسلامية. وكباقة ورد على قبر للانتفاضات العربية، قدم الديكتاتوريان في كل من سوريا ومصر دساتيرهم الخاصة. ولم تقلل أي من إصلاحاتهم الدستورية من التأثير المتضخم للإسلام في الدساتير السابقة.

هذا وقد طرح الفقهاء الدستوريون أن مثل هذه المقاربات الفوقية لا تنجح. وتخلُص كل من أسلي بيلي وهانا ليرنر في استنتاجاتهما إلى أن «التوقع أن صياغة الدستور يجب أن تصمم بحيث تحل الخلافات المجتمعية طويلة الأمد والمتجذرة حول القضايا الدينية هو أمر غير واقعي في كثير من الأحيان»، ويظهر بحثهما أن العمليات الدستورية القاعدية والساعية للإدماج تحظى عادة بنتائج أفضل.[4] يتفق العالم السياسي ناثان براون مع ذلك، من خلال نقده للدستور العراقي الفاشل لعام 2005، الذي تم فرضه من قبل الاحتلال الأمريكي. فلا يوجد حل فقهي لما هو بالأساس مشكلة سياسية. يمكن للدساتير أن ترأب الخلافات على نحو أفضل عندما يتم مناقشتها مع العامة، وليس في الغرف المغلقة، وعندما تكون نتاج تسويات تم التوصل إليها بين مجموعة مصالح محمومة ومتعارضة.[5]

من بين بلدان الربيع العربي، تبرز تونس بوصفها المثال الوحيد الناجح لهذا التمرين الدستوري تحديداً بسبب أن مجلسهم التأسيسي قام بعقد مشاورات عديدة مع طيف واسع من المجموعات الاجتماعية. وفي النهاية، تمكن حزب النهضة الإسلامي والليبراليون العلمانيون من التوصل إلى حل وسط. على النقيض من ذلك، فإن محاولة مرسي للحد من المشاركة في صياغة الدستور المصري لم تؤد إلا لتعبئة المعارضة الشعبية ضده وإلى التدخل العسكري.[6] بينما صاغ النظام في سوريا دستورًا جديدًا دون عقد أي مشاورات تقريبًا. ويجعل دستور 2012 الناتج من هذه العملية، ووفقًا لما ذكره فقيه دستوري سوري بارز، في الواقع الأقليات أكثر عرضة لانتهاكات حقوق الإنسان الخاصة بهم.[7]

[3] Samer S. Shehata, "In Egypt, Democrats vs. Liberals," New York Times, July 2, 2013, https://www.nytimes.com/2013/07/03/opinion/in-egypt-democrats-vs-liberals.html.

[4] Aslı Ü. Bâlı and Hanna Lerner, "Introduction" to their edited volume, Constitution Writing, Religion and Democracy (New York: Cambridge University Press, 2017), 10.

[5] Nathan J. Brown, "Reason, Interest, Rationality, and Passion in Constitution Drafting," Perspectives on Politics 6, no. 4 (2008): 675–89.

[6] Vasconcelos, "Introduction: Prioritizing the Legitimacy of the Process," in Vasconcelos and Stang, Constitutional Reform, 8–14.

[7] Nael Georges, "Constitutional Reform: The Case of Syria," in Vasconcelos and Stang, Constitutional Reform, 117–24; and Nathan J. Brown, "Islam and Constitutionalism in the Arab World: The Puzzling Course of Islamic Inflation," in Bâlı and Lerner, Constitution Writing, 289–316.

يتبنى هذا الفصل منظوراً تاريخياً بشأن الانسدادات الدستورية في سوريا ومصر. فلقد فشلت تحالفات 2011 في إنهاء الديكتاتوريات لأسباب عدة، لكن سبباً رئيسياً للفشل كان انعدام الثقة العميق بين الليبراليين العلمانيين وشركائهم الإسلاميين الأكثر تنظيماً. تلاعبت الأنظمة بانعدام الثقة ذاك لإضعاف التحالفات الثورية. وتعود جذور الانقسام الليبرالي-الإسلامي، في كلا البلدين، إلى هزيمة تحول دستوري قديمة منذ قرن مضى. فقد نشأت أول وآخر الحركات الدستورية الليبرالية الجماهيرية في العالم العربي بعد الحرب العالمية الأولى للتخلص من الحكم الأجنبي ولتأسيس ديمقراطية دستورية. كسر الاحتلال الأجنبي تحالف المحافظين الدينيين والليبراليين العلمانيين، وقوض قاعدتهم الشعبية.

إن فشل عملية الانتقال الديمقراطي في سوريا ومصر خلال سنتي 1919-20 لم يحدث بسبب المعارضة داخل البلدين ولكن بسبب الاحتلال الأجنبي: إذ تواطأت بريطانيا وفرنسا لتدمير المملكة العربية السورية خشية أن يؤدي وجود نموذج ديمقراطية عربية إلى تهديد حكمهم في العراق وفلسطين وشمال أفريقيا. وبالمثل قوض البريطانيون، في مصر، المطالب الدستورية التي طرحتها ثورة 1919 من خلال هندسة عملية صياغة دستور فوقية بينما كان زعيم الثورة، سعد زغلول في المنفى.

مهدت هزيمة المملكة العربية السورية وثورة 1919 لعصر جديد من السياسة، يحكمه التعارض بين الليبراليين النخبويين المتحالفين مع القوى الأجنبية وتيار جديد من الجماعات الإسلامية التي استقطبت الدعم الشعبي من خلال أجندة معادية لليبرالية ومعادية للغرب. ارتبط تطور الإسلاموية في ثلاثينيات القرن الماضي في كلا البلدين بثلاثة شخصيات بارزة: رشيد رضا، وهو ناشر مجلة واسعة الانتشار تشجع الإصلاح الإسلامي. حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين بمصر. ومصطفى السباعي، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين بسوريا.

يشير التاريخ الذي نكشف عنه هنا إلى أن التسوية بين الليبراليين العلمانيين والزعماء الدينيين ليست أمراً فريداً متعلق بالظروف الاستثنائية التي تمر بها تونس اليوم. فلقد تمكن السوريون والمصريون من التوصل إلى تسويات مماثلة قبل قرن من الزمان. كما يشير هذا التاريخ إلى السبب وراء تبني الأحزاب المتعارضة - الإسلاميين الديمقراطيين والليبراليين النخبويين - مثل هذه المواقف المتشددة: فالتدخل الأجنبي، وليس الخصائص الأساسية للإسلام أو الثقافة العربية، هي السبب الرئيسي وراء الاستقطاب السياسي. أخيرًا، يجيب هذا التاريخ أيضاً عن سؤال لماذا لا تزال الدساتير السورية والمصرية مثقلة بلغة متناقضة بشأن الحقوق المدنية والإسلام.

لا يزال ميراث الأحداث التي وقعت منذ قرن من الزمان - ظهور حركات إسلامية قوية مناهضة لليبرالية وصياغة دساتير مسيسة ومقيدة- يعرقل الانتقال إلى سياسات أكثر ديمقراطية وإدماجاً وتعددية في سوريا ومصر اليوم. وعلى الرغم من أن هذا الإرث التاريخي بعيد عن كونه العقبة الوحيدة أمام هذا التحول، إلا أنه لا يمكن تجاهله. بل يجب على الأكاديميين والسياسيين على حد سواء، مواجهة ذلك التاريخ إذا كان مقدراً للجانبين أن يجتمعا يوماً، بشكل مثمر، على طاولة مفاوضات.

الدستور السوري لعام ١٩٢٠: عدم الاحتمالية والإدماج

بحلول الوقت الذي استسلمت فيه الإمبراطورية العثمانية لقوى الحلفاء في أواخر أكتوبر 1918، كانت دمشق قد أعلنت تشكيل حكومة جديدة. أعلن الأمير فيصل بن حسين، زعيم الثورة العربية 1916-1918 وابن شريف مكة، في 5 أكتوبر تشكيل «حكومة عربية دستورية مستقلة تمامًا لكل سوريا». وأعلن الحكم العربي على كامل سوريا الكبرى. (التي تضم اليوم سوريا ولبنان والأردن وإسرائيل / فلسطين)، كما وعد البريطانيون والده. وكانت العراق والجزيرة العربية ستكونان دولتين عربيتين في تحالف مع سوريا.[8]

كانت سوريا الكبرى، دائماً وأبداً، موطناً لمجموعة متنوعة من الناس. كان معظم سكانها البالغ عددهم 3.5 مليون نسمة في عام 1919 يتحدثون العربية، لكن الكثير منهم كانوا يتحدثون التركية والكردية والأرمنية والعبرية كلغاتهم الأم. وكان أكثر من نصفهم من المسلمين السنة الناطقين بالعربية الذين عاشوا جنبًا إلى جنب مع عدد كبير من المسيحيين واليهود والمسلمين المنتمين إلى طوائف مختلفة مثل الدروز والعلويين. وبلغ تعداد مدينة حلب، أكبر المدن الواقعة أقصى الشمال، بعد الحرب 300000 نسمة، نسبة عالية منهم كانوا من الناطقين بالتركية ومن الأرمن , وجاء الأرمن كلاجئين من الإبادة الجماعية في زمن الحرب. إلا أن نخب المدينة كانوا لا يزالون يعتبرون أنفسهم عثمانيين وغير متصالحين مع كونهم سوريين وسيستمر ذلك لسنوات.[9] وكما هو الحال في جميع الأراضي التي هزمت فيها الإمبراطوريات العثمانية والروسية والنمساوية -المجرية، شهدت سوريا الكبرى عملية معقدة من تنظيم الأوضاع ما بعد الإمبريالية تحت ضغط مداولات مؤتمر باريس للسلام، والذي من المفترض أن تُمنح هذه البلاد على أساسه الاستقلال كدول قومية.

وعلى الرغم من أن فيصل كان قد دعا إلى طرد الأتراك، إلا أنه فعل ذلك بنية تخليص سوريا من عملاء العدو، وليس بهدف الإقصاء العرقي.

[8] أبو خليل ساطع الحصري، يوم ميسلون (بيروت: دار الاتحاد، 1965) 210-11

[9] Keith David Watenpaugh, Being Modern in the Middle East: Revolution, Nationalism, Colonialism, and the Arab Middle Class (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006), 125, 129, 140–45.

كان متحدثو التركية، بسبب ظروف استمرار الحرب، وعلى العكس من أقرانهم الناطقين بالعربية، ينظر إليهم -ربما بشكل ظالم- على أنهم موالين للعثمانيين الذين كانوا لم يهزموا بعد في ذلك الوقت. وظلت الحدود بين سوريا وتركيا غير متفق عليها لعدة سنوات. وقدم فيصل وعوداً بأن الطبيعة العربية للنظام هي مصطلح استراتيجي جامع، يهدف إلى دعم مطالب الاستقلال السوري، وليس وسيلة لاستبعاد الناطقين بالكردية والأرمنية. لقد وعى فيصل ومستشاروه أن الحلفاء في مؤتمر باريس عرّفوا «الأمة» التي تستحق الحكم الذاتي أنها شعب متجانس يعيش في أراضٍ متجاورة. كما طمأن فيصل غير المسلمين بأن مكانته ك «ابن» شريف وسليل للنبي لن تجعل من سوريا دولة إسلامية - على عكس الإمبراطورية العثمانية، التي كان السلطان فيها هو أيضًا الخليفة، والقائد الروحي لجميع المسلمين السنة. ولقد أيد بطريرك الروم الأرثوذكس وكبير حاخامات دمشق برنامج فيصل السياسي، بناء على تأكيدات بأن مجتمعاتهم ستكون محمية. في خطاب ألقاه في حلب في 11 نوفمبر 1918، عرّف فيصل العروبة كبرنامج سياسي للمساواة والإدماج. «أنا عربي، وليس لي فضل على عربي ولو بمثقال ذرة» كما تعهد وقال «أحض إخواني العرب، على اختلاف مذاهبهم بالتمسك بأهداب الوحدة والاتفاق، ونشر العلوم وتشكيل حكومة نبيض بها وجوهنا» وأضاف «إنني أكرر ما قلته في جميع مواقفي، بأن العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد، إن الديانات تأمر في الأرض باتباع الحق والأخوة. لذلك، وعليه فمن يسعى لإيقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي».[10]

استجاب سياسيون من جميع أنحاء سوريا الكبرى لدعوة فيصل لإجراء انتخابات المؤتمر السوري العام في يونيو 1919. وقد قدم المؤتمر في الشهر التالي مسودة الدستور إلى لجنة التحقيق الأمريكية، التي أرسلها الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون لاستطلاع أسلوب الحكم الذي يفضله السوريون. أبلغت اللجنة مؤتمر باريس أن غالبية سكان سوريا يفضلون الاستقلال الكامل أو بوصاية أجنبية محدودة للغاية تحت الحكم العربي للأمير فيصل؛ مثلت الكنيسة المارونية وأتباعها في جبل لبنان الكتلة الرئيسية للمعارضة. على هذا الأساس، أوصى تقرير كينج-كرين بأن تحتفظ سوريا بوحدتها تحت انتداب أمريكي (وليس فرنسي) محدود. كما أوصت بأن يحتفظ لبنان بالحكم الذاتي داخل سوريا، وأن يتم الحد من الطموحات الصهيونية الساعية إلى إقامة وطن لهم على أرض فلسطين (التي يطلق عليها العرب جنوب سوريا).[11]

لم ترحب بريطانيا وفرنسا أو حتى تعترفان بالتقرير. وفي خريف عام 1919، وسعت فرنسا

[10] الحصري، يوم ميسلون. 214.

[11] Andrew Patrick, America's Forgotten Middle East Initiative: The King-Crane Commission of 1919 (New York: I.B. Tauris, 2015), 176–81.

من احتلالها للساحل في الوقت الذي انسحبت فيه القوات البريطانية جنوبًا، تاركين فقط الأراضي السورية الداخلية بين حلب ودمشق تحت الحكم العربي. في ذلك الوقت بدأت القوتان العظمتان بالتفاوض سراً حول تقسيم سوريا الكبرى فيما بينهما.

تحت ضغط قبول الانتداب الفرنسي، أعلن المؤتمر السوري الاستقلال وصاغ دستورًا من 147 مادة في ربيع عام 1920. وقد غطت الصحافة الجدالات المحتدمة، حول العديد من المواد. وقادت النخبة الدمشقية المحافظة حزبًا معارضًا يضم ملاك الأراضي ورجال الدين وزعماء القبائل الذين تحدوا حزب فيصل. وهيمن على هذه النخبة الدمشقية شباناً من مسؤولين عثمانيين سابقين وإصلاحيين دينيين مثل رضا، ناشر مجلة «المنار» واسعة الانتشار. ومع ذلك، فقد توصلوا إلى تسويات بشأن العديد من القضايا الخلافية، بما في ذلك دور الإسلام في الحكومة وحقوق الأقليات وتوازن القوى بين الملك والبرلمان وبين الحكومة المركزية والمحافظات.

في يوليو/ تموز 1920، قدمت الجمعية التأسيسية دستوراً كاملاً أسس للمملكة العربية السورية كـ «حكومة ملكية مدنية نيابية». وخلافاً للدستور العثماني لعام 1909 الذي حكم سوريا خلال الحرب، لم يكن الملك خليفة ولا قائد المسلمين. فالملك، الذي كان في هذه الحالة فيصل، لن يكون مقدساً. وسيقسم بالولاء لـ «الشرائع الإلهية» وليس الشريعة الإسلامية. ولن يكون الإسلام هو دين الدولة الرسمي. سيصبح الإسلام، وهذه هي التسوية التي تم التوصل إليها، الدين الرسمي للملك نفسه فقط.

في الواقع، فككت سوريا الإسلام قبل ثماني سنوات من قيام الجمهورية التركية المستقبلية بذلك. وشرح رئيس المؤتمر رشيد رضا سبب ذلك في مذكراته ومجلته. إذ كان هو الوسيط خلال هذه التسوية بين الليبراليين العلمانيين الذين أرادوا تأسيس جمهورية والمسلمين المحافظين الذين أرادوا حكماً يستند بشكل مباشر على الشريعة الإسلامية.[12] في النهاية، وعلى عكس تقريباً جميع الدساتير العربية اليوم، لم يذكر الدستور الشريعة الإسلامية أو الإسلام كدين رسمي.

ذهب المؤتمر السوري إلى ما هو أبعد من ذلك في سبيل مقرطة سوريا من خلال منح السلطة التشريعية سلطات أوسع من تلك التي منحها العثمانيون للمشرع. إذ ستكون الحكومة مسؤولة أمام المؤتمر، وليس أمام الملك. كما سيشرف المؤتمر، وليس الملك، على نظام المحاكم/ النظام القضائي، بما في ذلك المحاكم الدينية. أما مشروعات القوانين فيمكن تقديمها من قبل المشرعين (أعضاء المؤتمر)، وليس فقط من قبل رئيس الوزراء، كما كان الحال في

[12] محمد رشيد رضا، «دروس من حياة فيصل (6)»، المنار 34 (مايو/ أيار 1943):86-72.

العهد العثماني. واضطر رئيس الوزراء، بعد كثير من الممانعة، إلى تقديم برنامج عمله ليتم إقراره بواسطة المؤتمر. حيث قام رضا بتذكير فيصل مجدداً بأنه في ظل الديمقراطية، فإن السلطة التنفيذية مستمدة من الشعب، وأن المؤتمر هو من يمثل الشعب.[13]

كما قلص الدستور من سلطات النخب بإلغاء الترشيح لعضوية مجلس الشيوخ مدى الحياة. معظم أعضاء مجلس الشيوخ كان يتم انتخابهم، ولمدة تسعة أعوام فقط. كما فقد مجلس الشيوخ حق مراجعة التشريعات التي أقرها مجلس النواب بسبب الانتهاكات المحتملة لحقوق الملك أو الدستور. كما منح المؤتمر، بسبب تأثره بالنموذج الفيدرالي للحكومة الأمريكية (وفي ثورة ضد الحكم العثماني المركزي)، سلطات فعلية للمقاطعات لإدارة ميزانياتها المحلية. وتناولت العديد من المواد انتخابات المجالس المحلية.

أثارت المواد المتعلقة بحق الانتخاب جدلاً حاداً وملهماً. فقد وافق النواب على أنه يجب أن يكون لكل سوري أتم من العمر 20 عامًا على الأقل الحق في التصويت في الجولة الأولى من الانتخابات. ولكن عندما اقترح عدد من النواب حق النساء في التصويت، اعترض المحافظون، مدعين أن الشريعة الإسلامية لن تسمح بذلك.

وغادر العديد من الزعماء الدينيين النافذين في دمشق الغرفة غاضبين. توسط رضا مرة أخرى للوصول إلى تسوية -على أساس أن القانون الإسلامي لم يكن به التشريع الخاص بذلك. فالمسائل التي تخص المصلحة العامة ولا تتناول قضايا دينية بشكل مباشر يجب التعامل معها من خلال القانون المدني. لكن، ولسوء حظ النساء، فقد أشار رضا إلى أن المصلحة العامة هنا تتمثل في إبقاء المؤتمر متحدًا ضد الاحتلال الفرنسي المحتمل. فيجب على سوريا أن تبرهن على قدرتها على الحكم من خلال حكومة برلمانية حديثة من أجل أن تنتصر لمطالبها بالحكم الذاتي. إذا تم حل المؤتمر بسبب الخلافات، فسيثبت الفرنسيون حاجة السوريين إلى فرض نظام الانتداب تحت وصاية عصبة الأمم. وعليه، اقترح رضا تنحية مسألة حق النساء في الانتخاب جانباً. فالسيادة هي المصلحة العامة المهيمنة في ذاك الوقت. ووافق محمد عزت دروزة على ذلك، مشيرًا إلى أن غالبية النواب قد وافقوا على أن للنساء حقوق متساوية وأن الشريعة الإسلامية لا تحظر حقهن في الانتخاب، لكن النواب، في الوقت نفسه، شاركوا رضا قلقه من أن المعارضة الشعبية التي يقودها خصومهم قد تقوض سلطة المؤتمر. وقاموا بتسوية المسألة مؤقتًا عن طريق استخدام ضمير محايد غير محدد للجنس

[13] محمد رشيد رضا، «الرحلة السورية الثانية (10 ب)» المنارة، 22 (مايو/ أيار 1922): 390-96، و «دروس من حياة الملك فيصل (7)» المنار (يونيو/ حزيران 1934): 152-57.

في قانون الانتخاب بدلاً من الإعلان صراحة عن حق النساء في التصويت.[14]

إن الدرس الذي عرضه رضا في ذلك اليوم وفي مجلته - وهو أنه لا يجب على الشريعة الإسلامية أن تغطي جميع المسائل المدنية - سيضيع مع صعود الإسلاموية الشعبوية في الثلاثينيات. فلقد استشرف رضا أن الانقسام داخل المؤتمر السوري سيعرض المصلحة العامة الأساسية (وهي الدفاع عن السيادة والحكم الديمقراطي) للخطر. على النقيض من ذلك، سنجد أن الإسلاميين والليبراليين سينشقون خلال الانتفاضات العربية عام 2011.

كما استحدث المؤتمر السوري نظامًا جديدًا لضمان تمثيل الأقليات غير المسلمة في مجلسي الشيوخ والنواب، بمعدل تمثيل أعلى قليلاً من تمثيل المسلمين.[15] كان استخدام مصطلح «الأقلية» جديدًا على اللغة العربية. وقد تم اشتقاقه من المصطلحات التي صاغها الأوروبيون في مؤتمر باريس للسلام عام 1919، إذ كانوا يقومون بتنظيم أوضاع العديد من الإمبراطوريات المهزومة (الروسية والنمساوية-الهنغارية، وليس العثمانية فقط) لتصبح دولاً قومية. واتسع استخدام السوريين للمصطلح في العقد الذي تلى ذلك، تحت الانتداب الفرنسي.[16]

توجد أدلة متفرقة فقط بخصوص رد فعل غير المسلمين على الدستور. وبشكل عام، دعم البطاركة الروم الأرثوذكس وأتباعهم النظام، بينما اتبع الكاثوليك الكنيسة المارونية في دعم الحكم الفرنسي. وفي صيف عام 1920، احتفظ فيصل في حكومته بوزيرين مسيحيين مخلصين للنظام هما فارس الخوري ويوسف الحكيم. بعد وقت قصير من 5 يوليو/ تموز، بعد أن تم تقديم الدستور بالكامل وموافقة المؤتمر عليه، قررت أغلبية المجلس الإداري لجبل لبنان الانضمام إلى الحكومة السورية. كان من بينهم شقيق البطريرك الماروني. وكان حبيب اسطفان، وهو كاهن ماروني بارز أدان الأتراك بسبب مجاعة الحرب، قد انضم بالفعل إلى حكومة فيصل. وقام بجولة في البلاد لصالح وزارة الثقافة والمعارف بوصفه متحدثاً حيوياً، وفي مايو/ أيار 1920 ألقى خطابًا مدته تسعين دقيقة في مدينة حماة المسلمة المحافظة، مناشدًا

[14] ماري ألمظ شهرستان، المؤتمر السوري العام 1919-1920 (بيروت: دار أمواج، 2000)193-208، إعادة طبع تحقيق صحيفة الدفاع عن حق النساء في الانتخاب، أبريل/ نيسان 27، 1920. مذكرات محمد عزت دروزة 1887-1984، المجلد الأول (بيروت: دار الغدب الإسلامي، 1993). On Rida and public interest, see Dyala Hamzah, "From `ilm to Sihafa or the Politics of the Public Interest (Maslaha): Muhammad Rashid Rida and His Journal al-Manar (1898–1935)," in The Making of the Arab Intellectual: Empire, Public Sphere and the Colonial Coordinates of Selfhood, ed. Dyala Hamzah (New York: Routledge, 2013), 90–127.

[15] المواد 67، 88، 128 من دستور المملكة العربية السورية، حسن الحكيم الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية، 1915-1946 (بيروت: دار صادر، 1974)، 194-213.

[16] Benjamin Thomas White, The Emergence of Minorities in the Middle East: The Politics of Community in French Mandate Syria (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2012), 43–66.

زملاءه الوطنيين العرب دعم الحكومة والدفاع عن الحرية الوطنية ضد الهيمنة الفرنسية.[17] بينما اتخذ البطريرك الماروني إلياس حويك موقفاً مخالفاً بشأن الحكم الفرنسي. وقد أعرب حويك عن صدمته لأن إعلان الاستقلال السوري في مارس 1920 شمل الساحل اللبناني. وأدان الإعلان بسبب «روحه المعادية للفرنسيين». وفي نوفمبر 1919، حصل على وعد من حكومة رئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو، بحق لبنان في الحكم الذاتي. أعادت الرسالة التأكيد على التزام فرنسا بحماية مسيحيي لبنان، الأمر الذي تعهدت به فرنسا بعد مذابح المسيحيين في عام 1860. وقد أكد الفرنسيون هذه الوعود في ربيع عام 1920، عندما قام وفد أرسله حويك بزيارة باريس.[18]

أسس الاحتلال الفرنسي لسابقة تخص لغة الحماية، وتمييز «الأقليات» والطوائف، متحدياً بشكل مباشر جهود الدستوريين لتوحيد التنوع الكامل للأشخاص في نظام من الحقوق الدستورية المتساوية. ظهر هذا التوتر نفسه، كما هو مبين أدناه، في مصر إبان خضوعها للحكم البريطاني.

كُتب الدستور السوري لعام 1920 من الصفر بروح تسودها الديمقراطية والمساواة، لكنه في الوقت نفسه لا يزال مديناً بالكثير للدستور العثماني الذي سبقه. إذ كانت الدساتير في المقام الأول بمثابة تكريس للسيادة القانونية، لكن كان ينظر لها أيضاً باعتبارها وسيلة للترويج لمواطنة أكثر إدماجاً وأقل إثارة للانقسام. وهدف الدستور العثماني على وجه التحديد إلى إعادة تشكيل وضع غير المسلمين باعتبارهم مواطنين كاملين بحقوق متساوية، لتحل هذه المواطنة محل الدلالة الذمية القديمة والتي وضعتهم في مكانة أدنى من للطبقة الإسلامية الحاكمة. فكان المواطنون عثمانيين أولاً؛ ثم مسلمين أو مسيحيين، أو يهود بعد ذلك. وانتقل هذا المبدأ إلى الدساتير السورية والمصرية ما بعد الإمبراطورية العثمانية. (فمثل الدستور السوري لعام 1920، لم يذكر الدستور المصري لعام 1923 الشريعة الإسلامية كأساس للتشريع).[19]

توقع مدحت باشا، المؤلف الرئيسي للدستور العثماني، أن يضمن الدستور «منح نعمة الحرية والعدالة والمساواة لجميع الأقوام المختلفة التي تتألف منها الدولة العثمانية دون استثناء،

[17] Malcolm B. Russell, The First Modern Arab State: Syria under Faysal, 1918– 1920 (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), 81–85; فريد اسطفان، حبيب اسطفان: رائد من لبنان (بيروتدار لحد خاطر، 1983) 57-68، وترجمة الحكومة الفرنسية لخطاب 4 مايو/ أيار 1920، المنشور في جريدة الهدف في 6 مايو/ أيار 1920، أشكر جيمس جاليين لمشاركته الوثيقة معي.

[18] Memo on the proclamation by Congress, Maronite Church Archives at Bkerke, Lebanon, Hoyek Series: 038/026; letter from Clemenceau November 10, 1919, 036/026; and note from the Haut Commissariat de la République de la France en Syrie, May 20, 1920, 036/324.

[19] Bernard Botiveau, “The Law of the Nation-State and the Status of Non-Muslims in Egypt and Syria,” in Christian Communities in the Arab Middle East: The Challenge of the Future, ed. Andrea Pacini (Oxford: Clarendon Press, 1998), 112–16.

فهذا ما تقتضيه سنة التحديث للهيئة الاجتماعية» نقل مدحت هذه المطالبات في عام 1878 إلى الرأي العام البريطاني، ساعياً إلى نيل دعمهم ضد التدخل والغزو الروسي. في ذلك الوقت، كما في عام 1920، كانت الدساتير هي محاولة للانضمام إلى الدول القومية الحديثة. وقام من خلفوا مدحت باشا بتعديل الدستور في عام 1909 في مواجهة الضغوط الأوروبية المتجددة.[20]

لطالما دافع رضا عن الدستورية في مواجهة معارضة رجال الدين المسلمين المحافظين. وقد نشر رضا مقالًا عام 1909 ردًا على اعتراض هؤلاء على وجوب عدم إخضاع المسلمين للقوانين التي يصدرها مجلس تشريعي يضم مسيحيين ويهود. وطرح رضا، في مقاله، بأن مثل هذا المجلس التشريعي كان تعبيرًا عن الديمقراطية وأن الديمقراطية هي الشكل الوحيد للحكومة الذي يتوافق مع المبادئ الإسلامية. بينما يخالف الخيار الوحيد الآخر، وهو الديكتاتورية، الإسلام. وواصل رضا أنه حتى في عهد النبي أمر الله أن يقوم خبراء مؤهلين وليس فقط فقهاء إسلاميين بتدارس الشؤون الدنيوية والتعامل معها. وسيكون الدستور الذين هم بصدد إصداره متوافقاً مع الشريعة الإسلامية إذا كان ملتزماً بالمبادئ الإسلامية مثل العدالة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكتب رضا في مجلته «أن استشارة المسلمين لغيرهم ومشاركتهم في الرأي غير ممنوعة، وقد تكون مطلوبة إذا كان ذلك من مصلحة الأمة». وشعر رضا أن المتعصبين وحدهم هم من يمكن أن يصروا على ضرورة أن يكون الفقهاء الإسلاميون هم من يقررون الأمور الدنيوية مثل تحصيل الضرائب وإدارة المحاكم/ النظام القضائي. وأضاف «إن الزمان قد تغير وتغير العرف الذي بني عليه كثير من الأحكام، وحدثت للدولة والأمة مصالح وحاجات كثيرة، لم تكن في زمن الأئمة (...) فاضطررنا إلى أحكام تناسب حال زمننا» لنبقى أمة قوية تدرأ المفاسد.[21]

حاول فيصل والمؤتمر السوري، في عام 1920، إقناع الليبراليين الأوروبيين بأنهم قد تعلموا أساليب الحكم الحديثة أثناء خدمتهم في البرلمان وفي المكاتب الحكومية خلال العقود العثمانية الأخيرة. فلقد كانت الانتدابات، في النهاية، موجودة بسبب أن الشعوب «غير مستعدة بعد» للحكم الذاتي. فلقد كانت التسويات التي توصلوا إليها في صياغة الدستور مطالبة تاريخية بالسيادة واحترام ما وعد به وودرو ويلسون بأن يكون نظامًا عالميًا جديدًا. إن العواقب التاريخية المترتبة على تقويض ذلك الحكم الدستوري سوف يتردد صداها في عام 2011 , عندما طالبت المقاومة العربية للديكتاتوريات، مرة أخرى، بدساتير ليبرالية ذات سيادة أمام كاميرات التلفزيون العالمية وعلى صفحات الفيسبوك. فلقد كانت السياسة المحلية في الشرق

[20] Midhat Pasha, "The Past, Present, and Future of Turkey," The Nineteenth Century 3 no. 16 (June 1878): 992.

[21] محمد رشيد رضا، «الدستور والحرية والدين الإسلامي. المنار، 12، رقم 8 (سبتمبر/ أيلول 1909) 609.

الأوسط، كما لاحظ المؤرخ ل. كارل براون قبل عقود، دائماً شأنا عالمياً.[22]

ثورة مصر الشعبية سنة ١٩١٩ الشعبية ودستورها النخبوي لسنة ١٩٢٣

قاد السياسي المصري الجماهيري البارز، سعد زغلول، المصريين، في نوفمبر/ تشرين ثاني 1919، في حملة للمطالبة بالاستقلال من خلال مؤتمر باريس. وقعت مصر تحت الاحتلال البريطاني عام 1882، وقامت بريطانيا وقتها بسحق ثورة دستورية شارك فيها سعد زغلول عندما كان شاباً. بقيت مصر - مجازاً- جزءًا من الإمبراطورية العثمانية حتى عام 1914. وعندما دخل العثمانيون الحرب ضد قوات الحلفاء، أعلنت بريطانيا رسمياً وضع مصر تحت الحماية. ودفع المصريون ثمناً غالياً خلال الحرب، حيث عانوا من نقص الغذاء والتضخم رغم قيامهم بإنتاج المحاصيل لقوات الحلفاء. وتم تجنيد ما يقدر بمليون مصري للعمل بالسخرة في بناء الطرق والسكك الحديدية والعمل في الموانئ. وآمن سعد زغلول وآخرون كثر أن مصر قد نالت استقلالها مع الشعوب الأخرى المحررة من الإمبراطوريات المهزومة. وشعر سعد زغلول بأن لديه الحق في حضور مؤتمر باريس للسلام كما حضره فيصل الثاني ممثلاً عن سوريا. بدلاً من ذلك، قام البريطانيون باعتقال سعد زغلول في مارس/ آذار 1919، واندلعت مظاهرات حاشدة. على إثر ذلك، في مدن عديدة. تظاهر كل من المسلمين والمسيحيين الأقباط، مطالبين بـ «مصر للمصريين!» واستقبل حزب الوفد، الذي كان يرأسه سعد زغلول توكيلات من كل من القساوسة المسيحيين وشيوخ المسلمين الذين كانوا يخطبون في منابر جامعة الأزهر العريقة. وحمل بعض المتظاهرين أعلامًا ظهر فيها الهلال الإسلامي والصليب القبطي. وأصبحت هذه الأعلام رمزاً لثورة 1919 في الذاكرة الجمعية المصرية.

ظهر حزب الوفد إلى الوجود من قواعد شعبية واسعة كما كان الحال مع القومية السورية. وطالب المصريون، كما فعل السوريون، بالاستقلال والمساواة في ظل حكومة دستورية. وقاد زغلول الحركة بنفس التفاؤل الذي كان لدى رشيد رضا وفيصل في سوريا. وقال: «من غير المحتمل على الإطلاق أن يخلق مؤتمر السلام، الذي يعقد لغرض إثبات احترام جميع الحقوق وإعطاء الحرية لجميع الأمم، هيمنة جديدة للأقوياء على الضعفاء».[23]

[22] L. Carl Brown, International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984).

[23] Speech by Zaghlul, in "Hamad Pasha El Bassel's Tea Party," January 16, 1919, British National Archives, Kew, FO 141/810/6; Ziad Fahmy, Ordinary Egyptians: Creating the Modern Nation Through Popular Culture (Stanford, CA: Stanford University Press, 2011), 136–66; and diary of A.S. Milner, December 21–22, 1919, Alfred Milner Papers, MS Milner dep. 97, Bodleian Library, Oxford University.

الاقتباس ترجمة عن الإنجليزية وليس كما ورد في خطاب سعد زغلول نظراً لتعذر الحصول على المصدر باللغة العربية

وتوصل البريطانيون، بعد كثير من العنف، إلى تسوية تمنح مصر استقلالاً جزئياً سنة 1922. لكنهم حرصوا أن الدستور المصري الجديد لن تتم صياغته بواسطة جمعية تأسيسية منتخبة. إذ كتبته لجنة مختارة بعناية استُبعد منها سعد زغلول وأتباعه الجماهيريين. وانتقد حزب الأحرار الدستوريين- المدعوم من بريطانيا- سعد زغلول لاستغلاله الرموز الدينية لحشد الدعم الشعبي.[24]

كان الدستور وثيقة نخبوية وعلمانية. لم تأت افتتاحيته على ذكر الإسلام؛ بدلاً من ذلك، أسست «حكومة ملكية وراثية وشكلها نيابي" لحكم المصريين الذين سيكونون "لدى القانون سواء. . . لا تمييز بينهم. . . بسبب الأصل أو اللغة أو الدين". وضمنت المادتان 12 و13 أن» حرية الاعتقاد مطلقة «وأن الدولة ستضمن حرية ممارسة الشعائر الدينية. وكان الملك ليحلف اليمين بالتمسك بالدستور وقوانين الأمة فقط، وليس القوانين الدينية، وكان التعليم الأولي إلزامياً للبنين والبنات. كانت الشؤون العسكرية والخارجية تحت سلطة دولة احتلال أجنبية، بريطانيا.[25]

انقسم الأقباط حول الاستراتيجيات السياسية لإدماجهم في نظام ما بعد الحماية. فبينما دعت الكنيسة القبطية إلى حماية خاصة وتمثيل نسبي، انضم العديد من الأقباط العلمانيين إلى حزب الوفد لرفض تصنيفهم كأقلية قبطية. فقبول وضع الأقلية كان من شأنه أن يمنح هوية الأمة المصرية للمسلمين، باعتبارهم أغلبية. عندما كانت مصر لا تزال جزءًا من الإمبراطورية العثمانية، قبلت الكنيسة الوضع التقليدي لغير المسلمين كزبائن ذميين لدى الخليفة المسلم. لكن في ظل الوضع الراهن، طالب جيل جديد من الأقباط المصريين بوضعهم الجديد كمواطنين يتمتعون بحقوق متساوية. اتخذ الأقباط خياراتهم كرد فعل للأحداث التي وقعت خلال الحرب العالمية الأولى، عندما اضطهدت الحكومة العثمانية وقت الحرب بل وسمحت بالقتل الجماعي لغير المسلمين. وعبر بعض الأقباط الوفديين عن قلقهم للبريطانيين من احتمالية تعرضهم للغدر، مثلما حدث مع المسيحيين في عهد العثمانيين. لكن سعد زغلول طمأنهم، من خلال زيارته لبطريرك الكنيسة القبطية في أعياد الميلاد (وهي الزيارة التي فرض البريطانيون رقابة لمنع تغطيتها)، وما إن أصبح رئيس وزراء،

[24] Afaf Lutfi Al-Sayyid-Marsot, Egypt's Liberal Experiment: 1922– 1936 (Berkeley: University of California Press, 1977), 63–72; and James Whidden, "The Generation of 1919," in Re-Envisioning Egypt 1919– 1952, ed. Arthur Goldschmidt Jr., et al. (New York: American University in Cairo Press, 2005), 30.

[25] "Royal Decree No. 42 of 1923 on Building a Constitutional System for the Egyptian State," trans. Joy Ghali, on behalf of International IDEA, accessed January 15, 2019, http://constitutionnet.org/sites/default/files/1923_-_egyptian_constitution_english_1.pdf; and "Dustur: A Survey of the Constitutions of the Arab and Muslim States," reprinted, with additional material, from The Encyclopedia of Islam, 2nd ed. (Leiden: E. J. Brill: 1966), 28–29. The constitution reserved control over security and foreign affairs to the British and granted the preponderance of power to the King. Zaghlul returned to Egypt a hero, but was unable to wield effective political power in a political system that only superficially appeared liberal and democratic.

طمأنهم من خلال تعيين مسيحيين أقباط في مجلس الوزراء، وأصبح مكرم عبيد، السياسي القبطي، أميناً عاماً للحزب.[26]

ومع ذلك، فإن سلطات زغلول كرئيس للوزراء تم تقويضها بسبب الانحياز الدستور نحو الملكية ودعم بريطانيا لخصومه النخبويين في حزب الأحرار الدستوريين. ساعد العديد من الأعضاء في صياغة دستور 1923. واعتقد الكثيرون بأن المصريين العاديين، غير المتعلمين وغير المطلعين على الليبرالية الأوروبية، لم يكونوا مستعدين بعد للمشاركة السياسية. كان سعد زغلول، مثل رشيد رضا، هو السياسي الجماهيري الذي تمكن من بناء ائتلاف شعبي لربط الفصائل الليبرالية والإسلامية. ومثل رضا أيضاً، أمِل زغلول عبثا في الحصول على دعم الليبراليين في أوروبا، وخاصة البرلمان البريطاني. وكما حدث مع رضا كذلك، قامت النخبة الليبرالية، المدعومة من الخارج، في بلاده، بإضعاف سلطته.[27]

في هذه الأثناء، قام المستعمرون الأوروبيون في سوريا بقرصنة اللغة الليبرالية لعصبة الأمم الجديدة لتدمير الحكومة الديمقراطية الشعبية وفرض انتدابهم بالقوة.

تدمير الديمقراطية السورية العربية

قام المؤتمر السوري بقراءة وإقرار الدستور كاملاً في 5 يوليو/ تموز 1920. ثم تمت مناقشة مواده السبعة الأولى وتم إقرارهم كل على حدة خلال الأسبوع الذي تلا ذلك. في 14 يوليو/ تموز، أصدرت فرنسا إنذارًا إلى فيصل بقبول الانتداب الفرنسي أو مواجهة الغزو. وخلال هذا الوقت كانت النخب الدمشقية المحافظة (التي كانت قد انسحبت من النقاش حول حق المرأة في التصويت) والبطاركة المسيحيين قد بدأوا للأسف بالقيام بزيارات للبعثة الفرنسية.[28] بينما قام رجل الدين الإسلامي الشعبوي، كمال القصاب، بحشد الطبقات العاملة في المدينة في مظاهرات كبيرة احتجاجًا على قبول الإنذار. كان القصاب قد دعا في وقت سابق، مارس/ آذار من نفس العام، إلى حكومة مدنية تقوم على السيادة الشعبية. إلا أن حركته الآن قد اتخذت طابعًا إسلاميًا متزايداً.

عارض رشيد رضا والمؤتمر السوري، تحت الضغط الشعبي، قبول الإنذار. كان فيصل يؤكد دائمًا أن الحرية تؤخذ ولا تمنح. ونظر رضا إلى الصراع من منظور عالمي، باعتباره معركة من أجل النظام العالمي الجديد المبني على حقوق

[26] Vivian Ibrahim, The Copts of Egypt: The Challenges of Modernisation and Identity (New York; I. B. Tauris, 2013), 56–75, 80–81; Marius Deeb, Party Politics in Egypt: The Wafd and Its Rivals, 1919– 1939 (London: Ithaca Press, 1979), 70–75; and "Interview with Simaika Pasha, Dec. 14, 1918" and "Ministry of Interior Memo, Jan. 11, 1919," both in British National Archives, Kew, FO 141/810/6.

[27] Charles D. Smith, Islam and the Search for Social Order in Modern Egypt: A Biography of Muhammad Husayn Haykal (Albany : State University of New York Press, 1983), 61–75.

[28] "Col. Cousse to High Commissioner, Beirut," July 15, 1920, Renseignement 696, Service Historique de l'Armée de terre (SHAT), Vincennes, SHD-GR4-H114-005.

الشعوب؛ بالتالي كان الاستسلام سيكون خضوعاً للنظام الإمبريالي القديم. ما كان على المحك هنا، في رأيه وفي آراء الآخرين، هو مستقبل الديمقراطية في جميع أنحاء العالم، والقانون الدولي، ومصداقية عصبة الأمم.[29]

لكن مع تقدم القوات الفرنسية باتجاه دمشق، قام فيصل بتجميد المؤتمر، وسجن القصاب، وقبل الإنذار. لم يجد ذلك نفعاً. إذ استمر الجيش الفرنسي في التقدم، متحججاً بذريعة تلو الأخرى. وانفجرت المدينة في تمرد عارم، احتشد فيه الرجال والنساء للحصول على البنادق والتوجه إلى المعركة. ووزعت الطائرات الفرنسية منشورات تحذر الدمشقيين من أنه سيتم عقابهم على أي عنف ضد المسيحيين. لم يستطع القادة السوريون تصديق أن حليفهم في الحرب العالمية الأولى كان الآن يوجه بنادقه إليهم. وانهار إيمانهم بالإنسانية الليبرالية وعالمية القانون الدولي. وعندما احتل الفرنسيون دمشق في 25 يوليو/ تموز، فر النواب من بيوتهم إلى ما سيصبح مستقبلاً دولًا منفصلة وهي لبنان وفلسطين وشرق الأردن وسوريا. واضطر الساسة البارزون إلى اللجوء إلى منافٍ أبعد: فهرب رضا إلى عائلته في القاهرة وتوجه فيصل إلى إيطاليا. وفي النهاية، وجد «القصاب» ملاذاً لما سيصبح قريباً المملكة العربية السعودية.

صادر الفرنسيون ودمروا أرشيف المؤتمر السوري. وأعلن رئيس الوزراء أن «كل آثار حكم فيصل غير قانونية ويجب على حكومته أن تختفي" , كان ذلك خوفًا من أن يتم استخدام الوثائق من قبل السوريين لتعزيز المزاج المناهض للاحتلال الفرنسي في عصبة الأمم.[30] في غضون أسبوع واحد، رسم المفوض السامي الفرنسي خرائط لتقسيم الجزء التابع لهم من سوريا الكبرى إلى دول طائفية: «دولة ذات أغلبية مسيحية واحدة [لبنان] ودولتان مسلمتان [حلب ودمشق].»[31] وأنشأوا منطقتين تتمتعان بالحكم الذاتي، واحدة على الساحل الشمالي تحكمها الطائفة العلوية وأخرى في الجنوب , مخصصة للدروز.

لم يكن رضا قد فقد إيمانه بعد بالمبادئ الليبرالية لسلام ما بعد الحرب. فبعد سنة، في عام 1921، سافر إلى جنيف مع وفد المؤتمر السوري الفلسطيني لتقديم استئناف إلى عصبة الأمم ضد الانتداب الفرنسي. وقدموا التماسًا يجادلون فيه بأن الغزو الفرنسي قد خالف روح الانتدابات المنصوص عليها في ميثاق عصبة

[29] محمد رشيد رضا. «عاقبة الحرب العظمى»، المنار، 21 (آبريل/ نيسان 1920) 337-44
تعذر الحصول على عنوان المقالة نصاً

[30] "Alexandre Millerand to Commandant Armée du Levant," July 29, 1920, Ministère des Affaires étrangères, Nantes archives, Fonds Beyrouth, Carton 2358.

[31] Correspondance between Gen. Gouraud and Premier Millerand," August 2–7, 1920, in Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du Mandat: 1914– 1946 [French diplomatic documents on the history of Lebanon and Syria in the Mandate period, 1914–1946], vol. II., e d. Antoine Hokayem (Paris: L'Harmattan, 2012), 567–89.

الأمم، الذي ينص على أن الانتدابات ينبغي إنشاؤها بموافقة الشعب. بدلاً من تقديم توجيهات محدودة ومؤقتة لشعب ذي سيادة، كانت فرنسا تحكم سوريا مثل مستعمرة محتلة.

وتحدث رضا إلى رئيس عصبة الأمم قائلا «إن هذه الجمعية التي اقترح الرئيس ويلسون تأليفها من جميع أمم الحضارة لخير جميع البشر لا يليق بشرفها وشرف أممها وحكوماتها وشرف المبدأ، والغاية الموضوعين لعملها أن تكون آلة لدولتين استعماريتين، تكفل لهما استعباد مَن استوليتا عليه من الشعوب قبل الحرب، ومَن تريدان الاستيلاء عليهم بعدها باسم الانتداب منها». وفي رسالة ثانية وقعها رضا باسم «الرئيس السابق للجمعية التأسيسية في دمشق»، ناشد رضا الوفد الفرنسي مباشرةً في عصبة الأمم: «يجب على فرنسا أن تدرك أن سوريا تستحق الحرية والاستقلال، وأن الشعب السوري قادر على الحكم الذاتي. يجب على شعب البلاد أن يشكل حكومته، والتي يمكن لها أن تبرم معاهدة تحالف مع فرنسا.»[32] تعامل رضا كمواطن عالمي يستحق حق تقرير المصير الذي وعد به ويلسون.

خشي رضا من أن يؤدي احتلال الحلفاء للأراضي العربية إلى «الحروب في الغرب والشرق جميعاً.». وكتب لقراء مجلته: «قابلت ليبراليين في جنيف وفي أماكن أخرى» لم يؤمنوا بالتشهير الذي يقوم به قادتهم. ضد المسلمين أو ادعاءاتهم «بحماية مسيحيي الشرق من تعصبهم».[33] وتنبأ ميشيل لطف الله، الرئيس المسيحي للمؤتمر السوري الفلسطيني، كذلك بالحرب إذا وافقت عصبة الأمم على الانتداب الفرنسي في سوريا. وقال لصحيفة «نيويورك تايمز»: «من الواضح الآن أن الإمبرياليين في سوريا يسخرون من مبادئكم النبيلة، محولين الشعوب التي تحت الانتداب إلى مستعمرات مستعبدة».[34]

ساعد المقال في إقناع الرئيس ويلسون بالتصريح المتأخر بنشر تقرير لجنة كينج كرين حول سوريا. ولكن، في يوليو/ تموز 1922، قبل ظهور التقرير في الصحافة صوت مجلس العصبة بالموافقة على الانتدابات. أصابت هذه الهزيمة رضا في مقتل. وقدم هو ولطف الله التماساً إلى جمعية العصبة. وقال رضا لقرائه في نوفمبر 1922 "إذا رفض الليبراليون الأوروبيون هذا الالتماس، أو كانوا غير قادرين على إقامة سلام بين الشرق والغرب، فإن القادة الوطنيين الشرقيين سوف يفهمون أن عصبة الأمم قد وافقت على أن تكون الأداة الأكثر شراً التي وجدت على الأرض، وستكون النتيجة تدمير أوروبا.[35]

[32] "Letter to M. Gabriel Hanotaux," September 27, 1921, British National Archives, FO 141/552/1.

[33] محمد رشيد رضا. «الرحلة الأوروبية (5)»، المنار 23 (يوليو/ تموز 1922) 553-58.
ترجم النص من الإنجليزية لتعذر الحصول على الاقتباس باللغة العربية

[34] "Syrians Threaten War on the French," New York Times, May 14, 1922 , 3, https://www.nytimes.com/1922/05/14/archives/syrians-threaten-war-on-the-french-cable-leagare-council-they-will.html.

[35] محمد رشيد رضا. «الرحلة الأوروبية (7)،» المنار 24 (نوفمبر/ كانون ثاني 1922): 696-99.
ترجمة النص عن الإنجليزية

عندما أقرت عصبة الأمم بأن جميع الأجزاء العربية من الإمبراطورية العثمانية السابقة - باستثناء الجزيرة العربية - يجب أن تظل خاضعة للحكم الأوروبي، فقد وضعت العرب - عملياً- في فئة دنيا من الإنسانية، إلى جانب الآسيويين والأفارقة المستعمَرين، الذين لا يستحقون، هم أيضاً على ما يبدو- حق تقرير المصير الذي وعد به ويلسون. لقد بين الدبلوماسيون والحملات التبشيرية الأوروبية بشكل جلي أنه إذا كان العرب يرغبون في الانضمام إلى الحضارة الحديثة، فعليهم أن يتخلوا عن دينهم الإسلامي. وتسبب الاستعمار بعد عام 1919 في خلق وقيعة بين الليبراليين والإسلاميين.

صعود الإسلام المناهض لليبرالية في سوريا ومصر

في عام 1925، اشتعلت سوريا في ثورة مسلحة. ولزم الفرنسيون عامين وحملة وحشية من القصف الجوي والمدفعي لقمع هذه الثورة. وكانوا يقومون بعرض جثث المتمردين في وسط مدينة دمشق، تمامًا كما كان يفعل الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى. وافق القادة القوميون المهزومون أخيرًا، في عام 1928، على التعاون في حكم سوريا. لكن في انتخابات الجمعية التأسيسية الجديدة، الفصائل التي اتحدت خلال الثورة بدأت في الانقسام.. عمق الاستسلام للحكم الفرنسي الجبري الانقسام السياسي الذي حاول رشيد رضا الحول دونه، خلال السنوات الأولى من العقد نفسه بين أعيان المدن القوميين والقادة الدينيين القبليين والريفيين الموالين للفرنسيين. فالخلافات التي كانت ذات يوم مضمرة، والتي هدأتها وساطة رضا، انفجرت على الملأ خلال الانتخابات. فالنواب الدينيون الذين غادروا المؤتمر غاضبين خلال النقاش حول حق النساء في الاقتراع عام 1920 قد انتقلوا إلى المعسكر الموالي لفرنسا منذ ذلك الوقت. وكان زعيمهم هو رئيس الوزراء المعين من قبل فرنسا تاج الدين الحسني، وهو نجل إمام مسلم بارز. وقام الحسني بشن حملة ضد القوميين المنحازين إلى هاشم الأتاسي، رئيس وزراء فيصل الأسبق، زاعماً أنهم معادون للدين. وشن النشطاء الدينيون هجمات في الشوارع على النساء اللاتي كن يرتدين الزي الغربي، كما أدان الدعاة دعوات السماح للنساء بخلع الحجاب. ونظم نفس هؤلاء النشطاء أيضًا حملات ضد المدارس الفرنسية والتعليم المختلط.

تمكن القوميون الحضريون، لأنهم كانوا أكثر تنظيماً، من السيطرة على الجمعية التأسيسية بسهولة وعينوا الأتاسي رئيساً لها. وكان بإمكان القوميين العلمانيين وقتها تجاهل المحافظين حيث كانوا يشكلون عنصرًا صغيرًا نسبيًا على الساحة السياسية. (فقد بقي القصاب في المنفى حتى أواخر ثلاثينيات القرن الماضي). ونتيجة لذلك - وعلى النقيض من عهد رضا - أصبح المسلمون المحافظون الآن مستبعدين إلى حد كبير من عملية صياغة الدستور. ورفض القوميون العلمانيون المصطفون خلف الأتاسي،

بكثير من الضغينة وقليل من الخوف، مقترحات القادة الدينيين في الجمعية التأسيسية، خاصةً محاولتهم لإعادة الملكية.[36] وأصدرت الجمعية التأسيسية لسنة 1928، نتيجة لذلك، دستورًا يؤسس لجمهورية علمانية.

دعا الدستور الجديد، الذي تم تبنيه في نهاية المطاف في عام 1930 بعد أن حذفت فرنسا منه المواد التي كانت ستجردها من سلطتها وأعادت توحيد سوريا ولبنان، دعا إلى «جمهورية نيابية» بمجلس تشريعي واحد (حيث تم إلغاء مجلس الشيوخ). وسيتم انتخاب الرئيس من قبل مجلس النواب لمدة خمس سنوات. وكان على الرئيس أن يكون مسلماً - مثلما كان الحال الملك في دستور عام 1920- وهو شرط اعتبره العلمانيون «عفا عليه الزمن» في عام 1928، ولكنه كان ضرورياً لتهدئة المشاعر العامة. لم يعد على الرئيس أن يقسم بالولاء لـ «الشرائع الإلهية»، كما فعل فيصل؛ بدلاً من ذلك، يقسم الرئيس «أني أحترم دستور البلاد وقوانينها وأحفظ استقلال الوطن وسلامة أرضه". وتم تقوية المادة التي تؤكد على مساواة السوريين أمام القانون، المادة 6 لدستور عام 1928، لتضمن أنه «لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الدين أو المذهب أو الأصل أو اللغة"[37]

يشبه الدستور السوري لسنة 1930 دستور مصر لسنة 1923 في الاحتفاظ بالسلطة على الشؤون العسكرية والعلاقات الخارجية لقوة أجنبية وفي حذف الإشارات إلى الشرائع الإلهية أو الإسلامية. غير أن الهيئة التشريعية السورية تمتعت بصلاحيات أكبر من نظيرتها المصرية.

وبنى الزعماء الإسلاميون في سوريا، رداً على إقصائهم السياسي، حركة معارضة واسعة تحدوا بها القوة السياسية للقوميين في الشوارع. وأُجبِر القوميون التابعين للأتاسي على تقديم تنازلات خارج الدستور. استهدف الشعبويون الإسلاميون أولاً وضع المرأة. فأشعلوا الشوارع بمظاهرات ضد مبادرات إصلاح قوانين الأحوال الشخصية، والمدارس العامة المختلطة، والتوسع في حقوق المرأة. وخاب أمل النساء اللواتي أملن في أن يعزز القوميون العلمانيون حقوقهن مرة أخر، وبحلول عام 1930، غيرت الحركة النسائية أجندتها للتأكيد على دعمها لواجبات الأمومة في المنزل، بدلا من حق الاقتراع.[38] وانسحب الوسطيون المعتدلون -

[36] Philip S. Khoury, Syria and the French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920–45 (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1988), 251–65, 327–40; and Elizabeth Thompson, Colonial Citizens: Republican Rights, Paternal Privilege, and Gender in French Syria and Lebanon (New York: Columbia University Press, 2000), 136.

[37] "Constitution of 14 May 1930," in Helen Miller Davis, Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East (Durham, NC: Duke University Press, 1947), 263–76; and Khoury, Syria and the French Mandate, 340–48.
عزز دستور 1928 سلطة المشرع وتوسع في الحريات المدنية التي تم ذكرها في عام 1920. قدمت المادة 8 حماية المثول أمام القضاء للمعتقلين ، الذين يجب إبلاغه في غضون أربع وعشرين ساعة بالأسباب/ الاتهامات التي دعت إلى حبسهم أو توقيفهم. وتضمنت المواد 15 و 16 و 18 لغة أقوى حول خصوصية الاتصالات الهاتفية والبريدية ، فضلاً عن حرية المعتقد والعبادة الدينية. المادة 21 تنص صراحة على أن التعليم الابتدائي إلزامي للبنين والبنات. ومع ذلك ، لم يُمنح حق الاقتراع مرة أخرى إلا للرجال (المادة 36) وكانت لغة تمثيل الأقليات أقل تحديدًا (المادة 37).

[38] Thompson, Colonial Citizens, 117–26.

الـذي سـمح وجودهـم بالوصـول إلـى تسـوية قبـل الاحتـلال الفرنسـي، وسـيطر الاسـتقطاب علـى السياسـة السـورية. وتـم اجتـذاب النخـب الدينيـة الموالـيـة لفرنسـا، والتـي تعاونـت سـابقاً مـع الفرنسـيين، باتجـاه المعارضـة الإسـلامية مـن قبـل شـخصيات مثـل القصـاب، (وقـد عـاد القصـاب مـن منفاه عـام 1937 ليشـكل جمعيـة العلمـاء). كان هـدف القصـاب، بعـد سـنوات المنفـى فـي المملكـة العربيـة السـعودية، هـو إقامـة حكومـة إسـلامية - علـى عكـس مـا دعمـه مـن التسـويات التـي توصـل إليهـا رضـا فـي عـام 1920. وأطاحـت حركتـه بالحكومـة القوميـة العلمانيـة فـي العـام التالـي. وفـي عـام 1940، قـام ناشـط إسـلامي باغتيـال زعيـم قومـي آخـر، وهـو عبـد الرحمـن شـهبندر، الـذي كان، رغـم تدينـه الشـخصي، حازمـاً فـي الفصـل بيـن الديـن والدولـة. بعـد ذلـك بوقـت قصيـر، اتحـدت الجماعـات الإسـلامية المحليـة تحـت مظلـة جماعـة الإخـوان المسـلمين السـورية الوطنيـة، مقتفيـن أثـر حركـة موازيـة فـي مصـر.[39]

جذور الإخوان المسلمين المناهضة للاستعمار

اختلفـت حركـة الإخـوان المسـلمين عـن حـركات الإصـلاح الإسـلامي إبان العهد العثمانـي. إذ لم تكن حركـة مثقفيـن نخبوية، بـل كانت حركـة جماهيرية قامـت بتبسـيط الأفـكار حـول الإسـلام الحديـث لجـذب أتبـاع لهـا. وبالتالـي، فقـد أهملـت الحركـة تركيـز الإصلاحييـن الأقـدم علـى الدمـج بيـن قيـم الإسـلام والمسـيحية الأوروبيـة، وركـزوا بـدلاً مـن ذلـك علـى الإسـلام كبديـل للحداثـة الليبراليـة التي تمارسـها النخـب. واتحـد الإخـوان مـع المحافظيـن الدينييـن ضـد الليبراليـة باعتبارهـا فسـاد أجنبـي: فالتقـدم والعدالـة مصدرهمـا من الإسـلام نفسـه. وتكلـم مؤسـس جماعـة الإخـوان السـوريين، الـذي درس فـي القاهرة، بلغة سياسـية يفهمهـا الناس العاديـون؛ علـى النقيـض مـن ذلـك، كان الليبراليـون يميلـون منـذ عـام 1920 نحـو النخبويـة. واعتبـر الإخـوان فـي كل مـن مصـر وسـوريا أن منظمـي العمـال والشـيوعيين هـم منافسـيهم الأساسـيين فـي اسـتقطاب الجماهيـر.[40]

تُظهـر مذكـرات حسـن البنـا، مؤسـس جماعـة الإخـوان المسـلمين المصريـة، الصلـة المباشـرة بيـن صعـود الإسـلاميين واسـتبعاد الأوروبييـن للعـرب مـن دائـرة الـدول المتحضـرة ذات السـيادة فـي مؤتمـر باريـس للسـلام. فقـد انضـم حسـن البنـا مثـل المواطنيـن العادييـن فـي سـوريا بعـد الحـرب، إلـى المظاهـرات المصريـة المطالبـة بالاسـتقلال الوطنـي فـي عـام 1919. وعندمـا وصـل إلـى القاهـرة فـي عـام 1922 للدراسـة فـي دار العلـوم، وجـد عالمًـا غريبًـا. فلـم تهيئـه البيئـة الورعـة في مسـقط رأسـه الريفـي لشـوارع المدن المليئـة بالأوروبييـن والنخـب المحليـة الذيـن

[39] Itzchak Weismann, "The Invention of a Populist Islamic Leader: Badr al-Din al-Hasani, the Religious Educational Movement and the Great Syrian Revolt," Arabica 52, no. 1 (2005): 109–39; Hasan al-Hakim, Abd al-Rahman al-Shahbandar: Hayatihu wa Jihaduh [Abd al-Rahman al-Shahbandar: His Life and Struggle] (Beirut: Dar al-Mutahida lil-Nashr, 1985), 231-32; Khoury, Syria and the French Mandate, 584–89; and Thompson, Colonial Citizens, 148–54, 205–10, 261–70.

[40] Umar F. Abd-Allah, The Islamic Struggle in Syria (Berkeley, CA: Mizan Press, 1983), 88–101.

يلبسون لباساً أوربياً. تعلم البنا على يد القادة الدينيين في بلدته؛ لكن التعليم في الجامعة الوطنية الجديدة كان علمانيًا بشدة. كتب البنا عن ذلك قائلاً أن النخب الليبرالية «ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية». وباسم الحرية الفردية, روجوا ل «موجة من الإلحاد والإباحية». وانقسم الطلاب إلى معسكرين متعاديين, نخبويين احتضنوا الأفكار الحديثة, والآخرين الذين ظلوا جاهلين.

عندما تولى البنا أول وظيفة تدريس له في مدينة الإسماعيلية, الواقعة على قناة السويس, شعر بالصدمة عندما وجد أسماء الشوارع مكتوبة باللغة الفرنسية, وعندما وجد المصريين الناطقين بالعربية مكومين في المناطق العشوائية, معزولين عن الجانب الثري من المدينة حيث كان يعيش الموظفون الأوروبيون العاملين بشركة قناة السويس. وكتب في مذكراته «لقد كنت أشعر بألم شديد لرؤية هذا الوضع في البلاد, كنت متألمًا لهذا أشد الألم فها أنذا أرى أن الأمة المصرية العزيزة تتأرجح حياتها الاجتماعية بين إسلامها الغالي العزيز, الذي ورثته وحمته, وألفته وعاشت به واعتز بها أربعة عشر قرنا كاملة, وبين هذا الغزو الغربي العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة.»[41]

أسس البنا جماعة الإخوان المسلمين في عام 1928 في الإسماعيلية لاستعادة الحياة الإسلامية, في مواجهة صريحة للنفوذ الليبرالي الأوروبي. وجاء أتباعه من الطبقات الاجتماعية المتوسطة التي كانت مستبعدة من المناصب العليا ومن مجتمع النخبة على وجه التحديد بسبب عدم كفاية إتقانها لقواعد السلوك الاجتماعي الأوروبية. كما أن رسالته وجدت صدى عند المسلمين المصريين الذين شعروا أن روحانياتهم الجماعية تتعرض للهجوم. وهزت البلاد في هذه الفترة سلسلة من الجدالات بسبب سعى المبشرين البروتستانت من أوروبا والولايات المتحدة لتنصير السكان المحليين. إذ كان يُنظر إليهم على أنهم جنود لعالم مسيحي معادٍ, وتم التعامل مع منشوراتهم في البرلمان والصحافة على أنها إهانة للإسلام وليس باعتبارها حرية شخصية. وعززت مطالبات المبشرين بحكومة علمانية فكرة أن الليبرالية كانت معادية للإسلام ولسيادة الدول الإسلامية.[42] لقد ظهر الإخوان المسلمون إلى الوجود من نفس الممارسات الاستبعادية والمحتقرة للآخر, التي قوضت العالمية الليبرالية واعتبرت العرب والمسلمين غير مستحقين للاستقلال الوطني في مؤتمر في عام 1919.

كان الإخوان في البداية أقل رفضًا لليبرالية وكانوا يسعون لتحقيق حداثة أصيلة للمتدنيين

[41] مذكرات الدعوة والداعية: الإمام الشهيد حسن البنا: متاحة على الإنترنت
https://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=مذكرات_الدعوة_والداعية.pdf ص 63-65

[42] Jeffrey Culang, "'The Sharia Must Go': Seduction, Moral Injury, and Religious Freedom in Egypt's Liberal Age," Comparative Studies in Society and History 60, no. 2 (2018): 446–75; and Beth Baron, The Orphan Scandal: Christian Missionaries and the Rise of the Muslim Brotherhood (Stanford, CA: Stanford University Press, 2014), 117–34.

العاديين. وروج البنا والإخوان لشكل حيوي وفعال من الإسلام في مواجهة للإسلام التجريدي والأكاديمي الخاص بنخب ملاك الأراضي الذين احتضنوا (واستفادوا) من الاحتلال البريطاني. لم تتجاهل دعاية الإخوان جميع عناصر الحياة الحديثة، لكنها قامت بشيطنة الغرب باعتباره تهديداً للإسلام الإنساني. لم يستهدف النشطاء المسلمون الإمبريالية البريطانية فحسب، بل استهدفوا أيضًا حملات التبشير المسيحية التي غمرت البلاد بعد عام 1918. وركزت البروباجندا الخاصة بهم (كما كان الحال في مرثيات رضا في مجلته) على إذلال العالم الإسلامي على أيدي المستعمرين الأوروبيين. ووفقاً لهم لم تكن العدالة الاجتماعية ممكنة إلا من خلال احتضان قيم الإخاء والمساواة بين الإسلام. كتب البنا أن النخب التي أسرتها السيارات السريعة والبدلات المستوردة كانوا «الأعداء الرئيسيين لهذه الدعوة الإسلامية».[43]

وجاء المثال الأوضح على انصراف الإخوان عن النداءات العالمية لليبرالية الأوروبية في رسالة مفتوحة وجهها البنا إلى ملك مصر فاروق في عام 1936. فعلى عكس رضا في 1920-1921، لم يشر البنا إلى الوضعية الأفضل لليبراليين الأوروبيين. وحث الملك بدلاً من ذلك على تبني نموذج الشرق للعدالة قائلاً «وإنما أهلك الأمم الترف، وإنما زلزلت أوربا المتع والمطامع" ونصحه "فكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله بقارورة الدواء من طب القرآن لاستنقاذ العالم المعذب المريض".[44] بالنسبة للبنا، مثله في ذلك مثل المفكرين اللاحقين المناهضين للاستعمار، الادعاء أن القيم الأوروبية قيم عالمية ساعد في خداع الأفراد المستعمَرين لقبول الوصاية الإمبريالية. وتمثل بعض العناصر الواردة في نص البنا إشارات مبدئية للحجج المناهضة للاستعمار التي قدمها فرانس فانون في الجزائر بعد عقد من الزمن.

كانت عواقب ذلك على السياسة المصرية عميقة. لم يرفض البنا على الفور النظام العلماني الذي أنشأه دستور 1923؛ بدلاً من ذلك، دعا فقط إلى مراجعة التشريعات لضمان توافقها مع الشريعة الإسلامية. حتى أنه حاول الترشح للبرلمان، لكن الحكومة أعاقت ذلك عن طريق تهديده وتزوير الانتخابات. عزز البنا انتقاده لسياسات الأحزاب كما عزز ترويجه للإسلام بوصفه الأيديولوجية الشرعية الوحيدة.[45]

لكن وهج الوحدة الوطنية لثورة 1919 كان قد خبا. وكما كان يخشى الأقباط، فقد دفع

[43] Brynjar Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt (Reading, UK: Ithaca Press, 1998), 72–86; and Baron, The Orphan Scandal .

[44] حسن البنا، رسالة نحو النور، 1936

Hassan al-Banna, "Nahwa al-Nur," in his Majmuat Risail al-Imam al-Shahid Hasan al-Banna ["Toward the Light" in his Collection of Letters by the Martyred Imam, Hasan al-Banna] (Beirut: Dar al-Nahhar, 1965), 190–91. Translated with an incorrect original date (1947 instead of 1936) " in Five Tracts of Hasan al-Banna (1906– 1949), trans. Charles Wendell (Berkeley, CA: University of California Press, 1978), 124–25.

[45] Elizabeth F. Thompson, Justice Interrupted: The Struggle for Constitutional Government in the Middle East (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013), 150–76.

ارتباط المسيحيين بالمحتل الأوروبي بعض الأحزاب السياسية إلى تبني أجندات طائفية تقوض اللغة العالمية للحقوق الليبرالية. وفي الوقت نفسه, سعت الملكية في مصر أيضًا لتعزيز نفوذها من خلال تبنيها لرجال الدين الإسلامي. في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين, حصل البنا على دعم برلماني لزيادة التعليم الديني (الإسلامي) في المدارس الحكومية, التي كفت بالتالي عن توظيف الأقباط. مع توسع نظام المدارس الحكومية, تخرج عدد متزايد من المسلمين ليجدوا أن الأقباط, الذين خصهم البريطانيون بالامتيازات, يسيطرون على قطاع الخدمة المدنية. وارتكب جناح عنيف من جماعة الإخوان المسلمين, خلال وقت لاحق من نفس العقد الزمني, هجمات عنيفة على غير المسلمين. وتحول الخطاب العام من الليبرالية إلى الإسلام.[46]

ميراث رشيد رضا الملتبس

كان رشيد رضا شخصية محورية في ربط تحولات السياسة الإسلامية في كل من سوريا ومصر. فكان البنا منتظماً في حضور محاضرته في القاهرة في منتصف العشرينات. وأشار البنا أن رضا كان مصدر إلهام له لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين كمنظمة فاعلة, خلافاً للجماعات الأكاديمية والخيرية الخاملة.

ولقد كان البنا مخلصاً بشدة لمجلة رضا, المنار, حتى أنه أخذ على عاتقه نشرها بعد وفاة رضا في عام 1935.[47]

كان التزام رضا بالليبرالية الإسلامية قد بدأ يضعف في الوقت الذي قابله فيه البنا. لم يكن الأمر قطيعة مفاجئة أو كاملة. فبعد نشر انتقاداته لليبراليين الأوروبيين في عام 1922, كتب رضا كتابًا عن إعادة تأسيس الخلافة الإسلامية. وقال إن الخلافة يجب أن تكون موجودة في دولة ذات سيادة وأن تتواجد جنباً إلى جنب مع الديمقراطية التمثيلية. وأهدى الكتاب إلى «الشعب التركي الشجاع» وإلى الخلافة العثمانية, باعتبارها حصنًا ضد استعباد المسلمين من قبل الصليبيين وباعتبارها مدافعاً عن العدالة ضد الاستبداد.[48] إلا أن الجمهورية التركية قامت بإلغاء الخلافة بعد عام واحد من ذلك التاريخ. وقام الرئيس مصطفى كمال أتاتورك بتنفيذ إصلاحات لإلغاء الشريعة الإسلامية وتفكيك الإسلام كدين للدولة.

شعر رضا بالغدر. وتجدد أمله, لفترة وجيزة, في أن يحقق المسلمون سيادة جديدة عندما اندلعت الثورة في سوريا عام 1925. وقد قدم رضا والمؤتمر السوري الفلسطيني الدعم للثورة في سوريا, بما في ذلك تمويلات نقدية

[46] Whidden, "Generation of 1919," 35–41; Ibrahim, Copts of Egypt, 75–98; and Smith, Islam and Search for Social Order, 89–108.
[47] Lia, Society of Muslim Brothers, 56– 57, 97.
[48] Mahmoud Haddad, "Arab Religious Nationalism in the Colonial Era: Rereading Rashid Rida's Ideas on the Caliphate," Journal of the American Oriental Society 117, no. 2 (1997): 270–76; and Al-Shaykh Muhammad Rashid Rida, al-Khalifa (Cairo: al-Zahra al-A'lam al-'Arabi, 1988). Originally published in 1922.

من ملك الجزيرة العربية الجديد، ابن سعود. بعد فشل الثورة السورية عام 1925-1927، دعم رضا بشكل أكبر ابن سعود، والذي كان الحاكم المسلم الوحيد لدولة ذات سيادة في العالم وهو أيضاً خادم الحرمين الشريفين، أقدس المواقع في الإسلام. لم يتبن رضا بشكل كامل التزمت الوهابي لحكومة ابن سعود، لكنه كان مدركاً لقدرتها على توحيد المسلمين ضد هيمنة الأوروبيين الساحقة. كانت العدالة، بالنسبة لرضا، ممكنة فقط بشرط وجود السيادة الكاملة.[49] انفصل رضا، بحلول عام 1927، عن شركائه العلمانيين القوميين والمسيحيين في المؤتمر السوري الفلسطيني الذين سعوا إلى الوصول لتسوية مع البريطانيين والفرنسيين. فيما عزز فصيله السياسي علاقاته بابن سعود.[50]

في الوقت نفسه، تخلى رضا تدريجيًا عن إيمانه بتوافق القيم بين الشرق والغرب. ونظراً لتأثير رضا الواسع في العالم الإسلامي من خلال مجلته، فقد تابعت الاستخبارات البريطانية أنشطته السياسية في القاهرة عن كثب. وأفادوا في عام 1926، على سبيل المثال، أن رضا استخدم مجلته كوسيلة لتسهيل التواصل بين ابن سعود والتونسيين. كما أسس جمعية الرابطة الشرقية كمنظمة إسلامية «لتوحيد الشعوب المسلمة ضد هيمنة القوى الغربية». خشي البريطانيون من أن تثير الجمعية قوى المعارضة في بلاد فارس وأفغانستان؛ وكما فعل الفرنسيين في سوريا، نظر البريطانيون إلى المسلمين الذين أصروا على حقوقهم في العالم الجديد بوصفهم متعصبين وإرهابيين. لقد شجعت الجمعية، في الواقع، على الاتصال السياسي والتبادل الثقافي، وتثمين الشرق كحضارة لها وضعها الخاصة. لكن بعد بضع سنوات، استقال رضا عندما سيطر الليبراليون العلمانيون على مجلة الجمعية.[51]

كان رضا أيضًا مشاركًا بارزًا في مؤتمر القدس الإسلامي عام 1931، والذي كان أكبر تجمع إسلامي منذ المناقشات التي تلت سقوط الخلافة في عام 1924. وتوافد المشاركون في المؤتمر من جميع أنحاء العالم الإسلامي، بما في ذلك روسيا والهند والبوسنة وشمال أفريقيا. وشاركوا فيما بينهم قلقاً إسلامياً مشتركاً بخصوص الأثار الدينية في القدس، التي تعتبر ثالث مدينة مقدسة في الإسلام. وترأس رضا جلسة حول الإصلاح الإسلامي والتعليم، حيث اقترح منهجًا مبسطًا وموحدًا للطلاب المسلمين في جميع أنحاء العالم بغض النظر عن المنطقة أو الطائفة. واعتبر رضا

[49] من رضا إلى أرسلان، أكتوبر/ تشرين أل 29، 1925، في أمير شكيب أرسلان، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة (القاهرة: دار الفضيلة، 2006) 324-30

[50] "Neville Henderson to Austen Chamberlain," November 7, 1927, in British National Archives, Kew, FO 141/810/6.

[51] "Report from the French Ambassador," December 30, 1925, transmitted January 11, 1926, and "Founding of Rabita Sharqiya in Cairo 1926–28," in British National Archives, Kew, FO 141/671/4 and FO 141/795/6; Israel Gershoni and James P. Jankowski, Egypt, Islam, and the Arabs: The Search for Egyptian Nationhood, 1900–1930 (New York: Oxford University Press, 1986), 60–63, 264–67; and Reinhard Schulze, A Modern History of the Islamic World, trans. Azizah Azodi (New York: I. B. Tauris, 2000), 65–74.

أن التعليم الموحد, واستمرار وجود المؤتمر الإسلامي, سيكونان مهمين في بناء الأخوية العالمية للمسلمين التي دعا إليها لمدة خمسة وثلاثين عامًا.[52]

العودة إلى المبادئ الدينية

كان التحول في توجهات رضا أوضح ما يكون في كتابه الرئيسي الأخير, الوحي المحمدي, الذي نشر في عام 1934. لقد كان دفاعًا صادقاً عن رسالة النبي محمد ضد انتقادات الأكاديميين المستشرقين الأوروبيين والمبشرين المسيحيين. وطرح رضا بأن تنزلات الوحي على النبي في القرن السابع كانت معجزة إلهية وليست تهديدًا. ولم تعارض هذه التنزلات أو تتناقض مع معتقدات اليهود أو المسيحيين. بدلاً من ذلك, فقد جسد الوحي الإسلامي رسائل أنبياء المسيحية واليهودية في أنقى صورها. وأدان رضا المتعصبين الذين افترضوا أن من حقهم إجبار الآخرين على اعتناق الإسلام. واستشهد بالقرآن «لا إكراه في الدين».[53]

وظل رضا مؤمناً, على عكس المخاوف البريطانية والفرنسية, أن الإسلام كان دين تصالح وتسامح. في الواقع, اقترح كتابه الإسلام كبديل عن الويلسونية, كطريق إلى السلام العالمي. «وهكذا , فإن حل مشاكل العالم هو الإيمان بالكتاب الذي يحظر الطغيان وجميع أشكال الفساد الأخرى» , كما كتب أن الإسلام يحظر العدوان والحرب من أجل تحقيق مكاسب مادية , كما يرتكبها الأوروبيون: «وإن من المعلوم اليقيني أيضًا أن الدول الكبرى لشعوب هذه الحضارة أشد جناية عليهم وعلى الإنسانية - من جنايتهم على أنفسهم - بإغرائها أضغان التنافس بينهم, وباستعمالها جميع ثمرات العلوم ومنافع الفنون في الاستعداد للحرب العامة التي تدمر صروح العمران التي شيدتها العصور الكثيرة, في أَشْهُرٍ أو أيام معدودة, وتفني الملايين فيها من غير المحاربين كالنساء والأطفال".[54]

يوضح نص رضا انفصاله عن النماذج الأوروبية ولكن ليس انفصاله التام عن المبادئ الليبرالية. لقد قدم رضا الإسلام كبديل لهندسة ويلسون للسلام, التي انهارت أولاً في الشرق الأوسط ولاحقاً, في عام 1934, في العالم بأسره. وأصر على أن الإسلام دعا إلى الإنسانية المشتركة والمساواة لجميع الشعوب, ونبذ التسلسل الهرمي العنصري الذي تسبب في الحرب في أوروبا والتي أفسدت عصبة الأمم. وكتب في كتابه «فإنّ إصرار الإفرنج على الكبرياء بجلدتهم البيضاء واحتقارهم للسود والحمر والسمر والصفر

[52] رشيد رضا, «المؤتمر الإسلامي العام في القدس» الجزئين 2 و3, المنار 32 (مارس/ أذار 1932) و (أبريل/ نيسان 1932) http://shamela.ws/browse.php/book-6947/page-4172 and http://shamela.ws/browse.php/book-6947/page-4182; and Basheer M. Nafi, "The General Islamic Congress of Jerusalem Reconsidered," The Muslim World 86, no. 3–4 (1996): 243–72.

[53] محمد رشيد رضا, الوحي المحمدي (1934)

[54] المصدر السابق.

وهضمهم لحقوقهم، واستباحتهم لظلمهم، لمن أكبر العار على حضارتهم «.[55]

توفي رضا في أغسطس 1935 عن عمر يناهز السبعين. أظهر تأبينه التحول الصعب، لكن الحتمي، الذي حدث في السياسة منذ عام 1920. فلقد ألقى المناضل القومي السوري في المنفى والذي كان جزءاً من حكومة فيصل، عبد الرحمن شهبندر، كلمة أثناء التأبين. كان شاهبندر قد درس العلوم الدينية وكان يستخدم العبارات الإسلامية في خطبه. لكنه كان مؤمناً إيمانا راسخا بفصل الدين عن الدولة، وكان يؤمن أن رضا كان قد فعل ذلك أثناء وجوده في المؤتمر السوري. وفي كلمته، أثنى على تفاني رضا في النهضة الدينية والوطنية، على الرغم من «تآمر الحاقدين على التجديد الديني والحرية والدستور عليه». وقال الشهبندر في كلمته أن رضا أظهر أنه لا يوجد أي تناقض بين العلم والدين، أو بين الدين والديمقراطية، لكن جمهور رجال الدين من المستمعين كانوا قد انصرفوا بالفعل بعيدا عن هذا الرأي.[56]

وتحدث بعد ذلك حبيب جاماتي، صحفي مسيحي من لبنان، ووجه كلمته إلى عميد الأزهر (المعروف أيضًا باسم شيخ الأزهر)، والذي قال أن رضا واجه ثلاثة خصوم رئيسيين: العلمانيين وغير المسلمين والمسلمين التقليديين. بدأ جاماتي كلمته قائلاً «ويشرفني أن يكون صوتي قد ارتفع في هذا المجمع الإسلامي الحافل، كما ترتفع الآن رنات الأجراس والنواقيس الشرقية العربية في الأقطار الشرقية العربية، فتمتزج بأصوات المؤذنين، داعية إلى التآخي، إلى التضامن، إلى التكاتف، إلى التعاون في سبيل القومية العربية، في سبيل الأوطان الذبيحة!! وأضاف الجاماتي أنه ربما اعتبر المصريون رضا كزعيم إسلامي عظيم، لكنه كان أيضًا صديقًا للمسيحيين وكافح معهم من أجل أمتهم المشتركة، « فقد عاد إلى سورية بعد الحرب العظمى مباشرة، ونظرًا إلى مكانته السامية في النفوس، انتخبه السوريون رئيسًا لمؤتمرهم الوطني، الذي اجتمع في دمشق سنة 1919، وقرروا إعلان استقلال سوريا كدولة عربية.». يتذكر جاماتي أنه «كان لآراء السيد محمد رشيد رضا ونصائحه وإرشاداته، فضل كبير في نجاح تلك الحركة المباركة.. ولكن الأقدار لم تلبث أن قلبت لسورية المجاهدة الناهضة ظهر المجن».[57]

الدساتير اللاحقة

كما تشير مذكرات رضا والبنا، فإن إقصاء وإخضاع المسلمين في مؤتمر باريس للسلام وبعد ذلك في عصبة الأمم، ظل ذكرى أليمة بين أولئك الذين شهدوا صعود السياسة

[55] المصدر السابق.

[56] «خطاب الدكتور عبد الرحمن شهبندر في التأبين»، المنار 35 (أبريل/ نيسان 1936): 234-36 http://shamela.ws/browse.php/book-6947/page-4459#page-4474.

[57] "خطاب السيد حبيب جاماتي»، المنار 35 (أبريل/ نيسان 1936): 208- 10

الطائفية في مصر وسوريا. استمر الشقاق الليبرالي الإسلامي الذي ظهر وقت وفاة رضا عام 1935 في تحديد السياسة السورية والمصرية حتى بعد حصولهما على الاستقلال في أعقاب الحرب العالمية الثانية. عندما غادرت القوات الفرنسية سوريا في عام 1946، اتحد الإسلاميون السوريون في جماعة الإخوان المسلمين السورية الوطنية بقيادة مصطفى السباعي. وكان السباعي قد درس في القاهرة في ثلاثينيات القرن الماضي وحافظ على روابط وثيقة مع البنا. فاز هو واثنين من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بمقاعد في البرلمان في عام 1947. وبعد ثلاث سنوات، في عام 1950، تمكن السباعي من الحصول على مقعد في الجمعية التأسيسية لكتابة الدستور. وكان يهدف إلى الانتقام من الهجوم على جماعة الإخوان المسلمين في العام السابق، عندما قام عقيد علماني بانقلاب عسكري وحظر التنظيم. بناءً على طلب العقيد، بدأت النساء المسلمات في خلع الحجاب في الشوارع.

اقترح السباعي، في سنة 1950، أن يتضمن الدستور أن الإسلام دين الدولة. وبرر ذلك كوسيلة لحشد دعم المواطنين بعد الهزيمة في حرب 1948 ضد إسرائيل. في مواجهة ذلك، نظم القوميون العلمانيون والمسيحيون حملات معارضة. وكانت المظاهرات قوية إلى درجة أن الحكومة حظرت النقاش العام حول هذه القضية. وبعد جدل محتدم، رفضت الجمعية التأسيسية وضع الإسلام كدين للدولة. لكن في الساعة الحادية عشرة، تمكن السباعي من إدراج فقرتين دينيتين في الدستور: أكدت المقدمة «استمساك» الدولة بالإسلام باعتباره دين الأغلبية، وذكرت المادة 3 أن «الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع».[58]

كانت المادة الخاصة بالشريعة الإسلامية هي الأولى من نوعها في أي دستور عربي، إلا أنه ومنذ تلك اللحظة، تبنت جميع الدول العربية تقريبًا نسخة ما من هذه المادة. واعتبر الإخوان المسلمون بسوريا سنة 1950 نصراً عظيماً، حتى في الوقت الذي استمروا فيه بالمطالبة بالديمقراطية ضد الديكتاتورية البعثية. إلا أن المعارضون قد رأوا تناقضاً بين إعطاء الأولوية للشريعة الإسلامية وبين ضمان المساواة لجميع المواطنين، وبين السيادة الشعبية وإصرار الإخوان على القرآن كمصدر للقانون.[59] أنهت المادة 3 بشكل فعلي التسوية التي توصل إليها رضا في عام 1920، عندما اعترف بأن هذا الشرط سيجعل المواطنين غير المسلمين في منزلة

[58] The Constitution of Syria, September 5, 1950," trans. George J. Tomeh, in Constitutions of Nations, vol. 3, Nicaragua to Yugoslavia, ed. Amos J. Peaslee (The Hague: Martinus Nijhoff, 1956), 360–82; Joshua Teitelbaum, "The Muslim Brotherhood and the 'Struggle for Syria,' 1947–1958: Between Accommodation and Ideology," Middle Eastern Studies 40, no. 3 (May 2004): 134–58; and Majid Khadduri, "Constitutional Development in Syria: With Emphasis on the Constitution of 1950," Middle East Journal 5, no. 2 (Spring 1951): 137–60. Khadduri misstated that the 1920 constitution made Islam the religion of the state. He apparently relied upon an incorrect French translation of the Arabic text.

[59] Itzchak Weismann, "Democratic Fundamentalism? The Practice and Discourse of the Muslim Brothers Movement in Syria," Muslim World 100, no. 1 (Jan uary 2010): 1–16.

غير متساوية. وقد فرق رضا بوضوح وقتها بين الشؤون الدينية التي يحكمها الفقه الإسلامي، والشؤون العامة التي يجب أن تحكمها قوانين صادرة عن مجلس منتخب.

حافظ النظام البعثي الذي حكم سوريا منذ عام 1963 على مادة الشريعة الإسلامية، لأن التخلص منها، في الغالب، سيهدد شرعيته.[60] لكن، في أعقاب الحرب الأهلية السورية، التي مزقت الأمة على أسس طائفية دامية، دعا فقهاء دستوريون سوريون إلى إزالة المادة من الدستور.[61]

كما احتفظ النظامان السياسيان اللذان تأسسا في مصر بعد 2011 في الدساتير الخاصة بهما بمواد مماثلة لتلك المادة التي قُدِّمت سنة 1971 في ظل ظروف شديدة التسييس. سعى أنور السادات، من خلال المادة الثانية إلى تأليب الإسلاميين والمحافظين ضد خصومه العلمانيين والاشتراكيين، وتنص المادة على أن المصدر الرئيسي للتشريع هو الشريعة الإسلامية. بقيت المادة الثانية تقريباً كما هي في ستوري 2012 و2014، لكنها تتيح مجالًا للتأويل من خلال الإشارة إلى مبادئ الشريعة الإسلامية وليس الشريعة الإسلامية ذاتها:

وتنص المادة على أن "الإسلام دين الدولة واللغة العربية هي لغتها الرسمية. مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع".[62] في كلا الدستورين، تنص المادة 3 على ما يلي:» مبادئ شرائع المصريين من المسيحيين واليهود المصدر الرئيسي للتشريعات المنظِّمة لأحوالهم الشخصية، وشئونهم الدينية، واختيار قياداتهم الروحية.«

لقد فعلت هذه المواد ما كان يخشاه الأقباط الوفديون: فجعلت المسلمين هم المصريون الحقيقيون واعتبرت غير المسلمين أناساً مختلفين وتابعين. تضع المادتان 2 و3 غير المسلمين في موقف العيش تحت حكم إسلامي في المسائل المتعلقة بالسياسة العامة. وكما هو الحال في سوريا، يتعارض مصدر التشريع السماوي مع الالتزام الدستوري بالديمقراطية.

غير أن حكومة عبد الفتاح السيسي التي أعقبت الانقلاب، تراجعت عن سلطة رجال الدين المسلمين على القانون العام. فقام دستور 2014 بمراجعة وإزالة المادة 4 من نسخة دستور مرسي لعام 2012، والتي فرضت أخذ رأي هيئة

[60] دستور الجمهورية العربية السورية الصادر عام 2012: https://www.constituteproject.org/constitution/Syria_2012.pdf?lang=ar

[61] Nael Georges, "Constitutional Reform: The Case of Syria," in Vasconcelos and Stang, Constitutional Reform in Times of Transition, 117–24; and "The Constitution of Syria, September 5, 1950," Constitutions of Nations, 360–82.

[62] Rainer Grote, "Constitutional Developments in Egypt: The New 2014 Egyptian Constitution," Oxford Constitutional Law, accessed February 12, 2019, http://oxcon.ouplaw.com/page/egyptian-constitution/constitutional-developments-in-egypt-the-new-2014-egyptian-constitution; and Carrie Rosefsky Wickham, The Muslim Brotherhood: Evolution of an Islamist Movement (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2013), 29– 33.

كبار العلماء بالأزهر في الشئون التي تتعلق بالشريعة الإسلامية.[63]

انقسامات راسخة

فشلت الانتفاضات العربية في إسقاط الدكتاتورية لأسباب كثيرة لم نناقشها هنا. كما فشلت الانتفاضات، بالقدر ذاته، في رأب الصدع الليبرالي الإسلامي الذي أضعف الحركة الثورية وأنتج دساتير تضع ضمادة على هذا الانقسام من خلال لغة متناقضة تقوض الإدماج والتعددية.

يحدد الفقهاء الدستوريون المشكلة من خلال مصطلحات إجرائية. فكما لاحظت ياسمين فاروق، وهي خبيرة دستورية أنه تمت صياغة الدساتير المصرية لما بعد عام 2011 بروح السياسي المنتصر على خصومه المدحورين، أولاً من قبل جماعة الإخوان المسلمين ثم من قبل المؤسسة العسكرية المتحالفة مع النخبة الليبرالية والمجموعات المسيحية. وكتبت ياسمين فاروق «تؤكد التجارب الدستورية لعامي 2012 و2013 أن المخرج الآمن الوحيد للعملية الدستورية المحكوم بمنطق توازن القوى قصير المدى هو المشاركة والتمثيل المتساوي لجميع القوى السياسية والاجتماعية».[64] يؤكد فشل الإصلاح الدستوري في مصر وسوريا على السواء، في نظر الصحفيين وصانعي السياسات، صحة الادعاء القديم للديكتاتوريين العرب، الذين يزعمون أن الديمقراطية ستطلق العنان للإسلاميين المتطرفين وأن هؤلاء الديكتاتوريين هم وحدهم من يستطيعون حماية الأقليات. يعزز كل من السيسي في مصر والأسد في سوريا الاعتقاد السائد بأنه يمكن تهدئة الانقسام السياسي من خلال تدخل قانوني وقضائي فوقي (من أعلى إلى أسفل).

يقدم المنظور التاريخي حقيقة مختلفة عن ذلك. فالاستقطاب بين النخبة الليبرالية والديمقراطيين الإسلاميين ليس استقطاباً مبدئياً بقدر ما هو معتمد على مخزون أدوار من التنافس السياسي المتجذر في ممارساتهم السياسية منذ عقود. وكما تظهر التسويات التي توصل إليها المؤتمر السوري وحزب الوفد خلال سنتي 1919-1920، فإن الانقسام الليبرالي- الإسلامي ليس أمراً عتيقاً. ومن المهم لنا أن نتفهم ذلك خاصة فيما يتعلق بشواغلنا بشأن السياسة المعاصرة، فهذا الانقسام هو من صنيعة الإنسان، وبالتالي يمكن إزالته. إن فهم جذور هذا الانقسام يمثل البداية. فإذا تأتى لجانبي الانقسام فهم الدور الحاسم الذي لعبته القوى الخارجية في صناعة هذا الشقاق، يمكن لهما البدء في التركيز على إصلاح الأضرار الداخلية.

لا يمكن بالطبع إعادة عقارب الساعة إلى عام 1919. فلقد بنى الليبراليون والإسلاميون

[63] دستور مصر الصادر عام 2012 https://www.constituteproject.org/constitution/Egypt_2012.pdf?lang=ar
دستور مصر الصادر عام 2014 http://www.sis.gov.eg/Newvr/consttt%202014.pdf

[64] Yasmine Farouk, "Writing the Constitution of the Egyptian Revolution: Between Social Contract and Political Contracting," in Vasconcelos and Stang, Constitutional Reform in Times of Transition, 116.

منظمات عديدة على مدى العقود الماضية بناءً على رموز وسرديات تحجب هذا التاريخ. وألهم كلا الجانبين أتباعهم من خلال خطاب استقطابي أصولي يجد برهاناً له في كل دورة عنف جديدة. المعرفة التاريخية ليست سوى نقطة انطلاق للجيل القادم من الناشطين الذين قد يحاولون إعادة بناء تحالف ضد الديكتاتورية. لكنها نقطة انطلاق ضرورية. إذ لا يمكنهم أن يأملوا في الوقوف بقوة ضد الأنظمة القمعية طالما ظل هذا الانقسام قائماً. فالأمل في تجاوز الانقسام يكمن في العودة إلى المبادئ الأولى والاعتراف بأصول ذلك الشقاق.

أظهرت هذا الاستعراض الموجز للتاريخ أن إصرار الأوروبيين على احتلال سوريا ومصر والأراضي العربية الأخرى بعد الحرب العالمية الأولى أضعف الأسس الذي سعى الليبراليون العرب لإنشاء دول قومية جديدة عليها. وكانت أشد الأضرار هي خيانة الدول الأوروبية لليبراليين العرب: فقد وعد الحلفاء المنتصرون الذين تجمعوا في باريس بنظام عالمي جديد لا يستند إلى القوة الإمبريالية بل إلى حقوق الشعوب. لقد قدموا وعوداً إضافية صريحة لشعبي سوريا الكبرى ومصر في مقابل دعمهم في المجهود الحربي. لم يكن الأمر ببساطة هو حرمان العرب من حقوقهم في عامي 1919 و1920. لكن الأمر أن العرب قد تمت دعوتهم للانضمام إلى أسرة الأمم ذات السيادة، وما إن حاولوا الانضمام حتى تم طردهم بعنف. لقد ذاق السوريون ذل تحولهم من مواطنين يتمتعون بالحكم الذاتي ويصوتون ويترشحون في البرلمان العثماني إلى قوم مستعمَرين يراقبهم جنود الاحتلال. إن الإقرار بالضرر الذي حدث وتسكين الإذلال هو خطوة أساسية نحو تهدئة المواقف المتشددة.

يكمن سبب آخر للغضب في وصم العرب بسمعة العنف الطائفي المتعصب، لأنهم يدينون بنفس ديانة الأتراك العثمانيين الذين ارتكبوا عمليات إبادة جماعية ضد الأرمن وفظائع ضد المسيحيين خلال الحرب. لقد أوحت فرنسا وبريطانيا بشكل روتيني بإمكانية أن تجدد الدول العربية التي يهيمن عليها المسلمون مذابح المسيحيين. في المقابل، أدى التمييز الديني لهذه القوى الأوروبية إلى تغذية وإذكاء شعلة الدفاع ورد الفعل من جانب الزعماء المسلمين، كما حدث مع عالم مخضرم مثل رضا أو العلماء الأصغر سنا مثل البنا. كانت الضربة الثالثة المريرة هي رؤية النخب من ملاك الأراضي تستفيد من الاحتلال الأجنبي وتبرر امتيازاتها من خلال الادعاء بأن الليبرالية ثقافة أوروبية يجب تعلمها. نجد هنا أساس الثورة الشعبية ضد الليبرالية النخبوية ورهائنها من غير المسلمين. يجب على صانعي السياسة الحاليين أن يدركوا أن خطاب «الحرب على الإرهاب» قد أثار مشاعر مريرة متجذرة في التاريخ. فمثل هذا الخطاب يثير مبررات الجماعات الإسلامية المتشددة ويمحو ذاكرة وبالتالي إمكانات السياسة الإسلامية الحديثة.

تساعد معرفة أصول الانقسام السياسي على التئامه، أو على الأقل تخفيفه، من خلال تشجيع

المؤرخين وأساتذة القانون وعلماء السياسة المعاصرة على طرح أسئلة جديدة حول أسباب الاحتكاك وانعدام الثقة بين الفصيلين السياسيين. يكمن جوهر المسألة في أن يفهم الليبراليون والإسلاميون أين تكمن خلافاتهم: ليس في الإيديولوجيا الدوجمائية غير القابلة للتغيير، بل في أحداث سياسية وقعت قبل قرن من الزمان. يعلم كل سياسي أن سرد القصص هو أفضل وسيلة للإقناع. ويمكن تحقيق ذلك من خلال المحادثات الجديدة التي تتناول بطريقة مثمرة الأمر شديد الوضوح الذي يتجاهله الجميع إلى الآن. إذ يمكن للأكاديميين والناشطين وصانعي السياسات على حد سواء، من خلال العمل من منظور تاريخي، وضع الجمود الحالي في السياسة العربية في سياق عالمي مقارن، وبالتالي إيقاف الاستنساخ المجنون للأطروحات غير الصحيحة حول ما يسمى بعدم توافق الإسلام والديمقراطية.

التعددية المفقودة في الانتفاضة السورية:
كيف انحرفت المعارضة عن جذورها الجامعة؟

د. جوزيف ضاهر - ناشط سياسي، وأكاديمي، وصاحب مدونة SyriaFreedomForever (سوريا حرية للأبد)

ملخص

على الرغم من أن إخفاقات الانتفاضة السورية يمكن عزوها إلى حد كبير إلى عنف وقمع النظام والتدخل الأجنبي، إلا أن المعارضة تتحمل أيضًا مسؤولية العديد من الأخطاء الطوعية. فعلى الرغم من خطابها الذي يؤكد على الوحدة والإدماج، لم تتمكن المعارضة السائدة في سوريا أبداً من تقديم تعريف مقنع للمواطنة السورية يمكن له أن يهدئ من مخاوف الأقليات والعلمانيين وقطاعات أخرى من المجتمع. كما أنها لم تتمكن من صياغة رؤية اقتصادية مقنعة. يستكشف هذا الفصل تاريخ وممارسات كيانات المعارضة السورية الرئيسية التي يدعمها الغرب والدول الإقليمية في محاولاتها لصياغة ماهية للمواطنة. والأهم من ذلك , يسعى الفصل إلى تجاوز تفسيرات فشل المعارضة التي لا تمنحها أي أهلية- فقد كانت المعارضة ضحية لقوى أكثر نفوذاً- لكنها في الوقت نفسه أسست للعديد من إخفاقاتها. يوضح هذا الفصل أهمية وجود مفهوم دقيق وشامل يخص المواطنة - والمجتمع بشكل أوسع - لنجاح أي حركات مستقبلية سواء في سوريا أو في أي مكان آخر.

واحد من أكثر الأسئلة إيلاماً غير المجاب عنها في الحرب الأهلية السورية هي كيف تحولت انتفاضة تروج لقيم الديمقراطية والحقوق العالمية والإدماج إلى صراع دولي، تعبث به تدخلات أجنبية متعددة، وتثار فيه التوترات الطائفية والإثنية إلى حد كبير؟ تحجج نظام بشار الأسد بأنه كان يحارب قوى التطرف منذ البداية. بينما تقول سردية المعارضة العلمانية أن نظام الأسد سمح عن عمد للخصوم المتطرفين بالازدهار بينما سحق الناشطين الآخرين، من أجل نزع أي مصداقية للانتفاضة, ثم جاء الفشل الحتمي للمعارضة بعد ذلك بسبب تدخلات القوى الأجنبية, الإقليمية والعالمية.

يعتبر موقف الناشطين العلمانيين هو الأقرب إلى الحقيقة, لكنه لا يزال يغفل جزءًا مهمًا من أسباب فشل الثورة. فلقد فشلت المعارضة السائدة في سوريا في صياغة تعريف شامل للمواطنة وبديل قائم على الإدماج يمكن له أن يهدئ من مخاوف الأقليات والعلمانيين وقطاعات أخرى في المجتمع - بما في ذلك السنة الذين عارضوا نظام الأسد ولكنهم لم يتمكنوا من رؤية مكان لأنفسهم في المستقبل الذي تصورته المعارضة المسلحة. يفسر عنف وقمع النظام والدعم الدولي له على أفضل وجه قدرة نظام الأسد على الاستمرار, لكن برامج المعارضة نفسها لا تزال تستحق التدقيق. إن فشل المعارضة المسلحة في خلق رؤية قوية للمواطنة السورية وبديل قائم على الإدماج يفسر درجة كبيرة محدودية قبولها الشعبي. إذ لم يكن بمقدورها أبداً أن تعكس القبول الجامع لموجة الحراك الأولى التي جمعت قطاعات كبيرة من السكان السوريين من خلفيات متنوعة.

يستكشف هذا الفصل تاريخ وممارسات صياغات المواطنة بين كيانات المعارضة الرئيسية المدعومة من الغرب والدول الإقليمية: المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية (المعروف باسم الائتلاف). يبحث هذا الفصل أيضًا في الكيفية التي تعاملت بها هذه الفصائل مع الإدماج والمواطنة، ما الذي قالوه وفعلوه، وكيف قاموا باستقطاب أو فشلوا في استقطاب أعضاء من مجموعات هوياتية مختلفة، وما الذي صاغوه أو لم يصيغوه حول الإدماج من خلال ممارساتهم، وكيف أثرت هذه الممارسات على التأييد والتعاطف الشعبي تجاههم. يسعى الفصل إلى تعميق فهم فشل المعارضة السورية من خلال وصف تفسخها عما كان ما يبدو ظاهرياً أنه حركة جامعة وسلمية إلى حد كبير. والأهم من ذلك، يحاول هذا الفصل تجاوز تفسيرات فشل المعارضة الذي لا تمنح المعارضة أي أهلية - فلقد كانت ضحية لقوى أكثر نفوذاً- لكنها في الوقت نفسه أسست للعديد من إخفاقاتها. تقدم الاستنتاجات الخاصة بهذا التحليل دليلًا على أهمية وجود رؤية دقيقة وشاملة تخص المواطنة - والمجتمع بشكل أوسع - من أجل نجاح أي حركات إصلاح مستقبلية في سوريا أو في أي مكان آخر.

سياق الانتفاضات: المواطنة والإدماج والحقوق

كانت سوريا (ما قبل الانتفاضة) مكانًا للقمع السياسي القاتم، ولكنها كانت أيضًا مكاناً للتعددية الدينية والإثنية. شكل المسلمون العرب السنة حوالي 65 إلى 70% من مجموع السكان. وتوزع الباقون بين مجموعات مختلفة. كانت هناك أقليات مسلمة، شملت العلويين (10-12%) والدروز (1-3 في %) والشيعة (0.5 %) والإسماعيليين (1-2 %). كان هناك أيضا مجموعات مسيحية مختلفة (5-10 %). علاوة على ذلك، كانت هناك أقليات إثنية من مختلف الانتماءات الدينية: الأكراد (8-15%) والأرمن (0.5%) والآشوريين (1-3 %) والتركمان (1-4%) وآخرين.[1] كما كان هناك تواجد لمجموعات مهمة من الأجانب، وخاصة العراقيين والفلسطينيين، قبل الانتفاضة. فبحلول عام 2011، كان هناك حوالي 500,000 لاجئ فلسطيني مسجلين في سوريا ، وما بين 1.2 إلى 1.5 مليون لاجئ عراقي مقيمين في البلاد، وهو تدفق للاجئين بدأ مع الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003.[2]

[1] M. Izady, “Syria Ethnic Composition 2010,” 2010, accessed February 10, 2019, http://gulf2000.columbia.edu/images/maps/Syria_Ethnic_Detailed_lg.png; Friederike Stolleis, “Discourses on Sectarianism and ‘Minorities’ in Syria,” in Playing the Sectarian Card Identities and Affiliations of Local Communities in Syria, ed. Friederike Stolleis (Beirut: Frederich Ebert Stiftung, 2013), 7–10, https://library.fes.de/pdf-files/bueros/beirut/12320.pdf; and Jordi Tejel, Syria’s Kurds: History, Politics and Society (New York: Routledge, 2009).

[2] أين نعمل»، وكالة الأمم المتحدة للإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدني (الأونروا)، 2011، https://www.unrwa.org/ar/where-we-work/ «خسائر الحرب: التبعات الاقتصادية والاجتماعية للصراع في سوريا»، البنك الدولي. 10 يوليو/ تموز 2017 , https://www.albankaldawli.org/ar/country/syria/publication/the-toll-of-war-the-economic-and-social-consequences-of-the-conflict-in-syria2017. بالطبع , من المحتمل أن تكون نسب جميع هذه المجموعات قد تغيرت في سوريا بشكل كبير خلال سنوات الحرب , لأن نسبة كبيرة من إجمالي سكان البلاد قد تركوا منازلهم كلاجئين أو نازحين داخلياً.

لا يعني هذا التنوع أن النظام كان علمانياً أو أنه كانت هناك مساواة بين الطوائف والجماعات الإثنية المختلفة. إذ اختلفت الحقوق والواجبات في البلاد تبعاً للهوية الدينية والإثنية للشخص؛ ويبقى هذا الأمر واقعاً بعد سنوات من الحرب. إذ ينص دستور عام 2012, على سبيل المثال, على أن الرئيس يجب أن يكون رجلًا مسلمًا وأن «الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع «, وهي مادة تمييزية ضد الطوائف الدينية الأخرى وضد النساء. لدى سوريا أيضًا ثمانية قوانين أحوال شخصية مختلفة , يتم تطبيق كل منها وفقًا للطائفة الدينية للفرد. وتتبع المجتمعات المسيحية والدروز قوانينهم الخاصة, في حين أن قوانين الأحوال الشخصية لبقية السكان المسلمين في سوريا تستند إلى تفسير سني معين للشريعة الإسلامية, وهو الفقه الحنفي، وغيره من المصادر الإسلامية. تتضمن هذه القوانين أيضًا أشكال تمييز صارخة ضد النساء, ويكرس بعضها لممارسات مقيتة.[3] على سبيل المثال , تقدم المادة 548 من قانون العقوبات عفواً كاملاً من العقوبة لما يسمى بجرائم الشرف.[4] مثال آخر هو «الاغتصاب الزوجي المقنن» المنصوص عليه في المادة 489 والتي تسمح للزوج بفرض نفسه على زوجته بالقوة ذلك رغم أنها تجرم أنواع أخرى من الاعتداء الجنسي.[5] وفي سياق مشابه , تعد الهوية الإثنية العربية, وفقًا للدستور, هي الهوية العليا في سوريا, في حين يتم احتمال الهويات الأخرى باعتبارها هويات تابعة أو شبه محظورة, مثل الهوية الكردية. فلقد عانى السكان الأكراد في سوريا من سياسات تمييزية وقمعية على الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية منذ استقلال سوريا عام 1946.

تعد هذه المنظومة القانونية وهذا الإطار السياسي, واللذان يتم تنظيمهما وفقًا للانتماءات الدينية والإثنية والأبوية, ضروريان للحفاظ على الانقسامات داخل المجتمع. وبالتالي, على الرغم من المظهر «الحداثي» المفترض للنظام, فإن له مصلحة حقيقية في الإبقاء على مثل هذه القوانين كأداة للتقسيم والهيمنة.

بالإضافة إلى الوضع القانوني, لم تكن المعارضة الصريحة بالطبع ممكنة في سوريا قبل الانتفاضة. فقد كان وصول حافظ الأسد

[3] بشكل عام, تقول المحامية السورية دعد موسى أن قوانين الأحوال الشخصية في سوريا «مبنية على مبدأ أن الرجل هو رب الأسرة, مما يقوض حقوق الإنسان الخاصة بالنساء.» انظر (Mousa, Syrian Personal Status Laws (Beirut: Friedrich Ebert Stiftung, 2018, http://library.fes.de/pdf-files/bueros/beirut/14969.pdf.

[4] للمناقشة, انظر "Syria: Situation Report on Violence against Women," EuroMedRights, November 2017, https://euromedrights.org/wp-content/uploads/2017/11/Factsheet_VAW_Syria_EN_Nov2017.pdf

في معظم الحالات لا يتم عقاب جرائم الشرف, أو تتراوح العقوبة بين خمس وسبع سنوات.

[5] تنص المادة 489 من قانون العقوبات السوري على: "من أكره غير زوجه بالعنف أو التهديد على الجماع عوقب بالأشغال الشاقة خمس عشرة سنة على الأقل". انظر "Initial Report of States Parties: Syria," United Nations Committee on the Elimination of Discrimination against Women, August 29, 2005, https://www.refworld.org/country,,,STATEPARTIESREP,SYR,,4537782e0,0.html.

إلى السلطة في عام 1970 بمثابة بداية لبناء دولة توريثية «جمهورية وراثية» وموجات قمع عنيفة ضد جميع أشكال المعارضة داخل المشهد السياسي السوري. عندما توفي حافظ الأسد في يونيو/ حزيران 2000, خلفه نجله بشار. وخلال العقد الزمني الذي سبق انتفاضة 2011, تعززت سيطرة عائلة الأسد المباشرة وكذلك أقاربهم على الدولة بشكل كبير من خلال عملية تنفيذ متسارعة لسياسات نيوليبرالية واستبدال أجزاء من الحرس القديم بأقارب أو أفراد مقربين من بشار الأسد.[6]

على الرغم من ذلك, تصاعدت نفحة خافتة من الأمل في التغيير في بعض أجزاء البلاد في الوقت الذي صعد فيه بشار الأسد إلى السلطة, فتزايدت - بسرعة كبيرة- ظاهرة منتديات النقاش, التي اعتاد النشطاء وأعضاء المعارضة التعبير عن أنفسهم من خلالها. وبحلول عام 2001, زاد عدد هذه المنتديات عن 170 منتدى بطول البلاد ضمت أعداداً كبيرة من المشاركين.[7] لكن, سرعان ما أخمد النظام هذه المعارضة وبحلول نهاية عام 2001 , شن النظام حملة قمع وحشية قادت إلى اعتقال والاعتداء على أعضاء ونشطاء المعارضة, وتم إسكات منتديات المناقشة.[8]

ورغم ذلك, واصل المجتمع المدني والمنظمات السياسية السورية التعبئة, داعين إلى إصلاحات وإلى مقرطة الدولة. وتميزت هذه المرحلة بسياق سياسي إقليمي غير مستقر مما هدد النظام السوري. وشمل ذلك في المقام الأول الحرب على العراق واحتلالها بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا عام 2003, والانسحاب العسكري السوري من لبنان في عام 2005. وفي ظل هذا المناخ السياسي المتزعزع, أرادت المعارضة داخل البلاد الدفع باتجاه المزيد من الإصلاحات.

في أكتوبر/ تشرين أول 2005, وقّع أكثر من 250 شخصية معارضة رئيسية من مختلف الخلفيات الدينية والعرقية والأحزاب السياسية على إعلان دمشق, وهو بيان يدعو إلى «تغيير ديمقراطي وجذري» في سوريا على أساس الحوار, وإلى إنهاء حالة الطوارئ (المفروضة منذ عام 1963), وإطلاق سراح السجناء السياسيين. كان هدف الائتلاف الرئيسي هو

[6] يستخدم لفظ النيوليبرالية هنا للإشارة إلى شكل تنظيمي معين للرأسمالية يضمن استمرار الأوضاع اللازمة لإعادة الإنتاج الرأسمالي على مستوى عالمي كجزء من مساعي الطبقة الحاكمة, وظهرت النيوليبرالية خلال فترات الركود في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وأدت إلى إعادة هيكلة وإنتاج أشكال جديدة وواسعة من التراكم الرأسمالي. انظر Eddie Cimorelli, "Take Neoliberalism Seriously," International Socialism, March 31, 2009, http://isj.org.uk/take-neoliberalism-seriously/. يؤكد ديفيد هارفي أن الهدف من وراء النيوليبرالية , هو تطوير «نظام جديد لتراكم رأس المال يتميز بالحد الأدنى من تدخل الدولة في الاقتصاد , بحيث يقتصر على إنشاء الوظائف/ الأطر القانونية والسياسية والعسكرية اللازمة لضمان التشغيل الملائم للأسواق وخلقها في تلك القطاعات التي لا تتواجد فيها » Cited in Roberto Roccu, "Gramsci in Cairo: Neoliberal Authoritarianism, Passive Revolution and Failed Hegemony in Egypt under Mubarak, 1991–2010" (PhD diss., University of London, London School of Economics, 2012), 72.

[7] Hassan Abbas, "Reinforcing Values of Citizenship" in Syrian Voices from Pre-Revolution Syria: Civil Society against All Odds, ed. Salam Kawakibi, Special Bulletin No. 2, Hivos and Knowledge Programme Civil Society in West Asia, April 2013, https://hivos.org/sites/default/files/publications/special20bulletin202-salam20kawakibi20_6-5-13_1.pdf.

[8] Alan George, Syria: Neither Bread nor Freedom (London: Zed Books, 2003).

الانتقال التدريجي والسلمي إلى الديمقراطية من خلال إصلاح النظام، لكنه كان أيضًا محاولة لتوحيد المعارضة السورية المتصدعة. فمن بين الموقعين على الإعلان التجمع الوطني الديمقراطي (وهو تحالف وطني ليبرالي-يساري من خمسة أحزاب)، ولجان إحياء المجتمع المدني، والتحالف الديمقراطي الكردي في سوريا، والجبهة الديمقراطية الكردية في سوريا، وعدد من الشخصيات المستقلة، ضمت عضو البرلمان السابق رياض سيف. دعمت جماعة الإخوان المسلمين , المحظورة في سوريا، إعلان دمشق، لكنها في عام 2006 وحدت قواها مع 15 جماعة معارضة أخرى، إلى جانب نائب الرئيس السوري السابق عبد الحليم خدام، الذي كان قد انشق للتو عن النظام، في إنشاء جبهة الخلاص الوطني.[9] انتقد العديد من الموقعين البارزين لإعلان دمشق هذا التحالف الجديد، وكمجموعة رفضوا الانضمام إليه.[10]

في عام 2007، تم تأسيس المجلس الوطني لإعلان دمشق في سوريا، لكن انتخابات رئاسته في ديسمبر/ كانون أول من ذلك العام أدت إلى صراعات عميقة بين الفصائل اليسارية والقومية تحت قيادة حسن عبد العظيم وهيثم مناع من جانب، والتيارات الإسلامية والفصائل الليبرالية بقيادة رياض الترك ورياض سيف من جانب آخر. وفي الوقت نفسه، شرع النظام في اعتقال أعضاء الإعلان، فاعتقل ولاحق قانونياً اثني عشر من قادة الإعلان في عام 2008 وحكم عليهم بالسجن لمدد تتراوح بين ثلاث وست سنوات. استمرت اعتقالات النشطاء السياسيين حتى نهاية العقد. في الوقت نفسه، كان التحالف منقسماً على نفسه من الداخل، إذ أدت معارك القيادة إلى شل حركة الائتلاف، حيث انجرفت بعض الفصائل إلى تحالفات جديدة بينما دفعت فصائل أخرى إلى المنفى. كما تم تهميش الأحزاب الكردية والآشورية خلال معارك القيادة في 2007-2009. بعد عامين منذ لك الوقت، في بداية الانتفاضة، أصبحت تلك الأحزاب تطرح نفسها بشكل أكثر استقلالية. في عام 2009، أعلن إعلان دمشق عن وجود قيادة جديدة له من المنفى. لكنها كانت ضعيفة بشكل فادح، خاصة في ظل وجود عدد قليل فقط من الأعضاء في سوريا، وعدم قدرة القيادة على توحيد قطاعات أخرى من المعارضة.[11]

في عام 2009، أعلن المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا، علي صدر الدين

[9] ضمت الجبهة نائب الرئيس السابق عبد الحليم خدام.

[10] Liad Porat, "The Syrian Muslim Brotherhood and the Asad Regime," Crown Center for Middle East Studies, Brandeis University, December 2010, http://www.brandeis.edu/crown/publications/meb/MEB47.pdf.

[11] Jean Pierre Perrin, "Damascus Puts the Opposition in the Shade" [in French], Libération, October 30, 2008 http://www.liberation.fr/monde/0101165847-damas-remet-l-opposition-a-l-ombre; Wael Sawah, "Syrian Civil Society Scene Prior to Syrian Revolution," Working Paper No. 21, Knowledge Programme Civil Society in West Asia, 2012, https://hivos.org/sites/default/files/publications/wp_21_wael_sawah_final.pdf;

"إعلان دمشق»، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، 1 مارس 2012، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48515

البيانوني، انتهاء مشاركة الإخوان المسلمين في جبهة الخلاص الوطني. خلال هذه الفترة، كانت سوريا في مرحلة تقارب مع الدول الغربية بعد فترة من العزلة على الساحة السياسية الدولية. في هذه الأثناء، كانت المعارضة منقسمة بشدة وضعيفة. وفي هذا السياق، سعى الإخوان المسلمون بسوريا إلى الوصول إلى توافق مع النظام، حيث بدا أن النظام يكتسب مزيداً الاستقرار.[12] عندما بدأت الانتفاضة في عام 2011، قامت جماعة الإخوان المسلمين مرة أخرى بتبديل ولاءاتها وإنهاء تقاربها مع الحكومة؛ يمكننا النظر إلى أحداث 2009 باعتبارها نذيراً بالانشقاقات اللاحقة في صفوف المعارضة.

كانت المشكلة الرئيسية للمعارضة السياسية في السنوات التي سبقت الانتفاضة هي ضعف إمكاناتها وقدراتها على الوصول إلى قطاعات واسعة من السكان، وخاصة الطبقات الشعبية والأجيال الشابة. ويمكن عزو فشلها في تحقيق هذه الجماهيرية الأوسع لعدة أسباب؛ فمن ناحية، حصرت المعارضة مطالبها في مقرطة الحكومة من خلال الإصلاحات. في الوقت نفسه، أهملت معالجة القضايا الاقتصادية الاجتماعية التي مثلت أولوية بالنسبة للكثيرين في البلاد، وخاصة في وقت تصاعدت فيه اللامساواة الاجتماعية والبطالة الإفقار العام. ثم، تجاهلت المعارضة القضايا الرئيسية الأخرى، مثل توفير حل شامل للقضية الكردية.

بالتوازي مع هذه المشكلات، كان هناك جيل جديد من النشطاء الشباب يبرز في سماء سوريا ممن كانوا - بشكل شبه كامل- غير منخرطين في الأحزاب السياسية التقليدية المذكورة أعلاه. قام هؤلاء النشطاء بسلسلة من الأنشطة في المجتمعات والجامعات، حول قضايا الديمقراطية والقضايا الاجتماعية والاقتصادية. سيلعب هذا الجيل الجديد من النشطاء دورًا مهمًا في بداية الانتفاضة في عام 2011. وطوال فترة تجمع المعارضة في العقد الأول من القرن الجديد، كانت سوريا تمر أيضًا بتغيرات اقتصادية من شأنها أن يكون لها تأثير مزلزل هائل في نهاية المطاف على المجتمع، وهو التأثير الذي تبلور في أحداث 2011.

أيام الانتفاضة الأولى

عندما بدأت الانتفاضات السورية في عام 2011، تميزت الحركة الشعبية بتعدديتها وتنوعها من حيث الأعراق والطوائف، رغم أن المكون الأكبر كان، بطبيعة الحال، من الأغلبية العربية السنية. في الواقع، كان هناك قدر كبير من التوحد حول هدف واحد في الأيام الأولى من الانتفاضة، الأمر الذي طغت عليه لاحقاً سنوات المذابح التي تلت ذلك.

[12] Porat, "The Syrian Muslim Brotherhood," 1–4.

جاء الأفراد المشاركون في هذا الحراك من مختلف مناحي الحياة. في المقام الأول، كان هناك النشطاء الذين شاركوا في نضالات عديدة ضد النظام قبل انتفاضة 2011. كانت الغالبية العظمى من العلمانيين الديمقراطيين الذين ينتمون إلى جميع المجتمعات، بما في ذلك الأقليات الإثنية والدينية. لعب بعض هؤلاء النشطاء أدوارًا مهمة في اللجان الشعبية التي ظهرت، وفي تطوير ممارسات سلمية ضد النظام. كان هؤلاء شباب من الطبقات العاملة والمتوسطة، وغالبا ما كانوا خريجين جامعيين ومن مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي. هذه المعارضة المدنية السورية القاعدية كانت هي المحرك الأساسي للانتفاضة الشعبية ضد نظام الأسد.[13] كان أعضاء لجان التنسيق المحلية، والتي لعبت دورًا مهمًا على المستوى الوطني، بشكل عام شباباً معولمين وذوي تعليم عالٍ ، وضموا بينهم بعض نشطاء حقوق الإنسان والمحامين.[14] وكان عدد كبير منهم من النساء.

ومع ذلك، فإن أعضاء الانتفاضة السورية الأكثر عدداً والأهم، من البداية، كانوا العمال العرب السنة الريفيين المهمشين اقتصادياً، والموظفين الحضريين، والعمال الأجراء، والذين تحملوا وطأة تنفيذ سياسات الليبرالية الجديدة، خاصة منذ صعود بشار الأسد إلى السلطة. ومن المثير للاهتمام، أن هذه هي نفس المجموعات التي استفادت ذات يوم من سياسات حزب البعث الاجتماعية والاقتصادية. أظهرت جغرافيا الثورات في إدلب ودرعا وغيرها من البلدات متوسطة الحجم، وكذلك في المناطق الريفية الأخرى، نمطًا معيناً: فجميعها كانت معاقل تاريخية لحزب البعث، واستفادت من سياسات الإصلاح الزراعي في الستينيات.[15] وكان ريف دمشق والبلدات المحيطة بالعاصمة، وهي مراكز الاحتجاج الحيوية منذ بداية الانتفاضة , تسمى بحزام الفقر، في حين أن خريطة الأحياء التي تسيطر عليها المعارضة في حلب منذ صيف عام 2012 هي تقريبًا نفس أحياء الطبقة العاملة من العرب السنة المعدمين: وهي أحياء ذات كثافة سكانية عالية، وتخطيط رديء ونمو حضري حديث نسبيا.[16]

باستثناء المناطق الكردية والآشورية، لم تشهد البلدات متوسطة الحجم والمناطق الريفية المأهولة بالسكان حراكاً جماهيرياً

[13] Doreen Khoury, "Losing the Syrian Grassroots," SWP Comments 9 (February 2013): 3, http://www.swp-berlin.org/fileadmin/contents/products/comments/2013C09_kou.pdf

عاصي أبو نجم، «التنسيقيات: مولود من تحت الأرض»، الأخبار، 2011، https://www.al-akhbar.com/Arab/95305

[14] خاصة اتحاد تنسيقيات الثورة السورية، ولجان التنسيق المحلية، واتحاد طلبة سوريا الأحرار.

[15] سمير سعيفان، السياسات توزيع الدخل ودورها في الانفجار الاجتماعي في سورية، خلفيات الثورة، دراسات سورية، مجموعة مؤلفين، تحرير عزمي بشارة، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

[16] Liam Stack and Katherine Zoepf, "Protesters in Syria Plan Large March Near Capital," New York Times, April 7, 2011, http://www.nytimes.com/2011/04/08/world/middleeast/08syria.html; David Kilcullen and Natt Rosenblatt, "The Rise of Syria's Urban Poor: Why the War for Syria's Future Will Be Fought Over the Country's New Urban Villages," PRISM, 2012, http://cco.ndu.edu/Portals/96/Documents/prism/prism_4-syria/The_Rise_Of_Syrias_Urban_Poor.pdf.

مماثلاً. ومع ذلك كانت شواهد المعارضة واضحة - في بعض الحالات، في شكل مظاهرات ضخمة في الشوارع - في أماكن مثل السلمية، وهي مدينة ذات أغلبية إسماعيلية، والسويداء، وهي مدينة ذات أغلبية درزية. وشارك العديد من النشطاء المنتمين لأقليات مختلفة في أنشطة مضادة للنظام في جميع أنحاء البلاد في مدن مختلفة. ففي دمشق على سبيل المثال، تعاون نشطاء من خلفيات مسيحية بشكل عام في مع نشطاء آخرين من خلفيات عرقية وطائفية مختلفة. ولم يكن نشاطهم مقصوراً على مناطق بعينها.[17] علاوة على ذلك، كان النشطاء من مناطق الأقليات وغيرها من الأماكن يقومون بزيارة مناطق أخرى في بداية الانتفاضة والتظاهر مع أهلها لإظهار وحدة الشعب السوري والتضامن مع هذه المناطق التي ترزح تحت القمع الشديد لقوات الأمن التابعة للنظام. وكان الهدف أيضًا هو تكذيب برواجندا النظام، التي كانت تتهم المنظمات السلفية و«الإرهابية» بإثارة الاضطرابات في البلاد.

مثل طلبة الجامعات وحديثو التخرج والشباب من الطبقتين الدنيا والوسطى قطاعاً رئيسياً وكوزموبوليتانياً من الانتفاضة. فلقد كانوا، على نحو خاص، جزءًا مهمًا من الحراك في بداية الانتفاضة. حيث تأسس اتحاد طلبة سوريا الأحرار في سبتمبر/ أيلول 2011، للنضال ضد النظام والعمل من أجل ديمقراطية مدنية وتعددية يعامل فيها جميع المواطنين على قدم المساواة. وأسست معظم الجامعات السورية التي ضمت نشطاء فروعاً للاتحاد.[18] وواجه الاتحاد قمع أعضاء اتحاد الطلبة الرسمي التابع للنظام وكذلك قمع الأجهزة الأمنية. وبحلول يوليو/ تموز 2012، وفقًا لإحصائيات الاتحاد، مثل طلبة الجامعات ربع عدد القتلى في الحراك منذ اندلاعه في منتصف مارس/ آذار 2011.[19]

تبنت قطاعات كبيرة من البرجوازيين خاصة في دمشق وحلب، والذين لا تربطهم صلات قوية بالنظام، في البدء موقفاً سلبياً، مفاده «لننتظر ونرى». وبشكل عام ، كانوا مترددين بشأن المشاركة أو الانخراط في الحراك ، إلا من خلال الوسائل التي قد تبقيهم خارج دائرة الضوء، لكن على الرغم من ذلك، فقد شارك

[17] Rand Sabbagh, "Attitudes of Christians in the Syrian Capital," in Stolleis, Playing the Sectarian Card, 71–89.
[18] "Founding Statement for the Union of Free Syrian Students," LCC Facebook page, September 29, 2011, https://www.facebook.com/notes/لجان-التنسيق-المحلية-في-سوريا/founding-statement-for-the-union-of-free-syrian-students/291890390838104/; "Union of Free Syrian Students," Syria Untold, May 6, 2013, http://www.syriauntold.com/en/work_group/union-of-free-syrian-students/;
ومقابلة عن طريق سكايب مع آلان حصاف، العضو السابق باتحاد طلبة سوريا الأحرار بتاريخ 9 يوليو/ تموز 2018.
[19] في 2011، كان في سوريا خمس جامعات حكومية: دمشق وحلب وحمص واللاذقية ودير الزور، وفروع إقليمية لهذه الجامعات في درعا والسويداء وإدلب وطرطوس والحسكة والرقة.

بعضهم في الاحتجاجات بشكل مباشر.[20] ومع استعار الحرب، قررت نخب عديدة من رجال الأعمال أيضًا مغادرة سوريا ونقل أجزاء كبيرة من رؤوس أموالهم خارج البلاد.

حددت لجان التنسيق المختلفة ديناميكية الانتفاضة من خلال تنظيمها للمقاومة الشعبية ضد نظام الأسد، اتخذت هذه المقاومة أشكال عدة، مثل تنظيم المظاهرات وحملات العصيان المدني والإضرابات. ولم تكن بعض لجان التنسيق المحلية مرتبطة بأي تحالف أكبر، لكن ذلك لم يمنعهم من تنسيق أنشطة احتجاجية مع لجان التنسيق الأخرى في المناطق المجاورة. ومع تحول الانتفاضات إلى العنف، كان على هذه اللجان أن تلعب، وبشكل متزايد، أدوار إغاثة. وفي النهاية دعمت هذه اللجان عسكرة الثورة. بالمثل، كانت هناك مجموعات من المتظاهرين في أحياء ومناطق بعينها لعب رجال الدين فيها دورًا مهمًا. وتباينت القناعات السياسية بشكل كبير بين الزعماء الدينيين الذين انضموا إلى الانتفاضة، من السلفية إلى الاتجاهات الأكثر ليبرالية.[21]

أخيرًا، شاركت عناصر من المعارضة «التقليدية» أيضًا في الحركة الاحتجاجية، وكان من بينها بعض الأحزاب السياسية الكردية والمجموعات اليسارية وشبكات القوميين والليبراليين والإسلاميين. هذا وقد انضم العديد من النشطاء السابقين وأعضاء المعارضة السياسية، بشكل مستقل، إلى لجان التنسيق المحلية المختلفة، وإلى تنظيمات جديدة تشكلت خلال الانتفاضة، ولكن ليس من خلال منظماتهم السياسية.

الجذور الجامعة للحراك

أكدت الغالبية العظمى من مجموعات الحراك في السنوات الأولى للانتفاضة على مبدأ الإدماج وتحدت الطائفية، متغنين بشعارات مثل «واحد واحد واحد، الشعب السوري واحد» ومعلنين دعمهم للديمقراطية. في الوقت نفسه، كانت بعض المجموعات الطائفية الصغيرة حاضرة منذ بداية الانتفاضة، وتطورت هذه المجموعات اللاحقة مع ازدياد دموية قمع النظام. حاولت هذه المجموعات أن تروج لخطاب طائفي إقصائي. في بعض المظاهرات، على سبيل المثال، كانت مجموعات صغيرة من المتظاهرين تذكر اسم الزعيم السلفي عدنان العرعور، الذي فر من سوريا في أعقاب مذبحة حماة سنة 1982 وأقام في المملكة العربية السعودية. وكان العرعور يحظى بجمهور مهم نسبيا بين بعض قطاعات المعارضة في الأيام الأولى من

[20] Hassan Abbas, "The Dynamics of the Uprising in Syria," Jadaliyya, October 19, 2011, http://www.jadaliyya.com/pages/index/2906/the-dynamics-of-the-uprising-in-syria.
[21] Omar Hossino, "Syria's Secular Revolution Lives On," Foreign Policy, February 4, 2013, http://foreignpolicy.com/2013/02/04/syrias-secular-revolution-lives-on/.

الانتفاضة.[22] ونال العرعور شهرته في ذلك الوقت نتيجة لظهوره المتكرر على قناتين فضائتين سلفيتنين مملوكتين للسعودية وتحظيان بنسب مشاهدة عالية في سوريا. كرست هاتان القناتان معظم أوقات بثهما لمهاجمة الإسلام الشيعي. ورغم أن العرعور عارض النظام، إلا أنه فعل ذلك من خلال الترويج لخطاب طائفي ضد العلويين. ومع ذلك، فإن هؤلاء المؤدلجين كانوا هم الاستثناء في سوريا في بداية الحراك. إذ كان الخطاب السائد هو وحدة وحرية الشعب السوري وكان خطاباً ضد الطائفية.

وتكررت شعارات مثل «كلنا سوريون، نقف متحدين» في المظاهرات وعلى الشبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وخلافاً لاتهامات النظام المستمرة بأن المتظاهرين جميعاً سلفيين وسنة طائفيين، أكد المحتجون على انخراط ومشاركة الأقليات الدينية والإثنية. في الوقت نفسه، كان التضامن بين الطوائف الدينية والمدن المختلفة ظاهراً منذ البداية، وخاصة بين النشطاء ومنظمات الشباب. فخلال صيف عام 2011، استقبلت مدينة سلمية ذات الأغلبية الإسماعيلية حوالي 20.000 شخص تم تهجيرهم قسرياً من قبل قوات الأمن التابعة للنظام من حماة، معظمهم من السنة. مثل موقف النازحين الحمويين في سلمية في الواقع شكلاً من أشكال النضال السياسي: فحقيقة أن الأغلبية السنية الحموية وجدت ملاذاً لها في مدينة مثل سلمية وهي موطن للأقليات الدينية، وحقيقة أن نشطاء سلمية هم الذين كسروا حصار حماة أظهر التضامن الشعبي للحراك.[23]

أوضحت الناشطة النسوية رزان غزاوي أن مدينة دمشق وبلدياتها شهدت مشاركة متزايدة في عام 2012 من النساء المنتميات لأقليات دينية والنساء السنيات غير المحجبات. إذ اعتبرتهم سلطات النظام أقل إثارة للريبة من النساء السنيات المحافظات المحجبات، وبالتالي لم يكن يتم تفتيشهن في نقاط التفتيش العسكرية. انتهزت هؤلاء النساء هذه الفرصة لتهريب الأدوية والمواد الغذائية وغيرها من المواد الضرورية إلى مناطق مختلفة ترزح تحت حصار وقمع النظام، وكذلك لتهريب النشطاء خارج هذه المناطق. في نهاية عام 2012، بدأ النظام يلاحظ أن النساء المنتميات للأقليات والنساء السنيات غير المحجبات يلعبن دوراً هاماً في دعم الناشطين والمناطق التي تسيطر عليها المعارضة، وبدأوا يفرضون مزايداً من القيود الأمنية والسيطرة الأكثر منهجية على الجميع في نقاط التفتيش.[24] دعا قادة المعارضة، بعد بداية الانتفاضة، أحزابهم إلى الاتحاد رغم الخلافات السياسية

[22] «شام- حماه- حلفايا- مسائيات رفض المؤتمر 27-6 ج2، فيديو على يوتيوب. 0.15 دقيقة، «شبكة شام»، 27 يوليو/ تموز، 2011 https://www.youtube.com/watch?reload=9&feature=player_embedded&v=ari1HXh4PjU

[23] Sabr Darwish, "Cities in Revolution: Salamiyah," Syria Untold, August 9, 2016, http://cities.syriauntold.com/#_ftnref45.
وناشط مجْهل سابق من السلمية، مقابلة مع المؤلف، باريس. 9 يوليو/ تموز 2017.

[24] مقابلة مع المؤلف من خلال سكايب، 10 يوليو/ تموز 2018.

والشخصية, من أجل تطوير رؤية مشتركة.[25] تم إنشاء هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي في دمشق في يونيو/ حزيران 2011, وجمعت الهيئة خمسة عشر حزباً سياسياً وعدد من الشخصيات المستقلة.[26] والتزم أعضاء الهيئة بثلاثة مبادئ: «لا» للتدخل العسكري الأجنبي , «لا» للتحريض الديني والطائفي , و «لا» للعنف وعسكرة الثورة.[27] جميع هذه الخطوط تم تجاوزها في وقت لاحق , ولكن الإعلان عنهم كان تجسيداً لروح الانتفاضة في أيامها الأولى, ذلك رغم انفصال قيادة الهيئة الوطنية أغلب الوقت عن الحركة الشعبية في الشوارع.

العسكرة

تعامل النظام مع المظاهرات بعنف بالغ, منذ الأيام الأولى للثورة. وكان رد فعل النظام على المظاهرات الأولى قاسياً للغاية, حيث تم قتل حوالي مائة شخص في الأسبوع الذي تلا اندلاع المظاهرات في درعا.[28] واستمرت الأجهزة الأمنية على هذا المسار وصعدت تدريجياً القمع ضد المتظاهرين طوال الأشهر الأولى, بينما كانت تعتقل المعارضين السياسيين في نفس الوقت. استهدف النظام على وجه الخصوص شبكات النشطاء الديمقراطيين المنظمين ذوي التوجهات العلمانية, الذين بدأوا المظاهرات, وموجات العصيان المدني, والحملات الداعمة للإضرابات. لقد تمكن هؤلاء النشطاء, بسبب مهاراتهم التنظيمية وكذلك بسبب خطابهم ورسالتهم الديمقراطية والساعية للإدماج, من تقويض بروباجندا النظام التي تتهم مؤامرة من العناصر المسلحة المتطرفة والطائفية بأنها وراء البلبلة. تم سجن أعداد كبيرة منهم أو قتلهم أو ترحيلهم إلى النفي. ومع ذلك, بحلول أوائل عام 2012, كان هناك ما يقرب من 400 لجنة تنسيقية مختلفة في سوريا, على الرغم من حملات القمع المكثفة من قبل قوات الأمن التابعة للنظام.[29]

أدى هذا الوضع إلى ارتفاع عدد الانشقاقات بين الجنود الإلزاميين. حيث رفض الضباط إطلاق النار على المتظاهرين السلميين. في الوقت نفسه, بدأت المقاومة المسلحة غير المنظمة الأولية ضد الأجهزة الأمنية في الظهور في أوائل صيف 2011 في بعض المناطق. وفي الأشهر التالية, تم تأسيس الجيش السوري

[25] من بين هؤلاء القادة شخصيات مثل برهان غليون وميشيل كيلو وحسين العودات وعارف دليلة وحبيب عيسى وعبد العزيز الخير وحازم نهار.

[26] ضمت هيئة التنسيق عند تأسيسها شخصيات وأحزاب معارضة من خلفيات يسارية وقومية عربية , بالإضافة إلى حزب الاتحاد السرياني وحركتين يساريتين كرديتين , بما في ذلك حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي. «هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي»، مركز كارنيجي للشرق الأوسط, 15 يناير/ كانون ثاني 2012, https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48397.

[27] "National Coordination Body for Democratic Change"; and Narmin Amir and Yusuf Fakhr ed Din, "Interview with Abdalaziz al-Khair, Leading Figure of the National Coordination Body for Democratic Change, Syria," Anti-Imperialist Camp, May 16, 2012, http://www.antiimperialista.org/en/al_khair

[28] "La contestation s'étend dans le Sud syrien," [The dispute spreads in southern Syria], L'Orient le jour, March 22, 2011, http://www.lorientlejour.com/article/695752/La_contestation_s%27etend_dans_le_Sud_syrien_.html.

[29] Khoury, "Losing the Syrian Grassroots," 3.

الحـر، وكذلـك العديـد مـن الفـرق العسـكرية الأخـرى. (كان الجيـش السـوري الحـر فـي البدايـة أحـد أبـرز فصائـل المعارضـة المسـلحة) وسـادت المقاومـة المسـلحة ضـد النظـام تقريبًـا بحلـول نهايـة عـام 2011، خالقـة بذلـك ديناميـات جديـدة للانتفاضـة. جـاءت العسـكرة بشـكل أساسـي كنتيجـة للقمـع العنيـف للمدنييـن السـوريين الذيـن عارضـوا النظـام - سـعى الكثيرون ببسـاطة للدفـاع عن أنفسـهم. وكان لمجموعـات المعارضة المسـلحة الأولـى التـي بـدأت فـي الظهـور طابعاً محليـاً فـي أغلـب الأحيـان، وعملـوا علـى الدفـاع عـن بلداتهـم ومناطقهـم فـي وجـه أجهـزة الأمـن المسـلحة.

ينتمـي أعضـاء وحـدات الجيـش السـوري الحـر عمومًا إلـى نفـس أجـزاء المجتمع التـي قدمـت العـدد الأكبـر مـن المتظاهريـن فـي الانتفاضـة: العمـال المهمشـين فـي المـدن والريـف ، فـي القطاعيـن الرسـمي وغيـر الرسـمي للاقتصـاد.[30] وضمـت بعض المعارضـة المسـلحة جنوداً منشـقين مـن الجيـش السـوري النظامـي، إلا أن غالبيتهـم العظمـى كانـوا من المدنيين الذيـن قـرروا حمـل السـلاح.[31] ونظراً لافتقارهـم إلـى الوحـدة والمركزيـة ، نسـقت هـذه الجماعـات المقاتلـة فيمـا بينهـا بخصـوص معـارك محـددة ، لكـن نـادراً مـا تـم ذلـك فيمـا يخـص القـرارات السياسـية والاسـتراتيجية. اجتمعـت هـذه المجموعـات عمومًـا حـول روابـط قرويـة أو عائليـة، مـع القليـل مـن التماسـك الإيديولوجـي.

علـى الرغـم مـن أن المقاتليـن كانـوا فـي أغلـب الأحيـان مـن المسـلمين السـنة المحافظيـن المنتميـن إلـى أحيـاء الطبقـة العاملـة ، إلا أنهـم وخلافـاً لادعـاءات نظـام الأسـد ، لـم يكونـوا مدفوعين بأيديولوجيـة أصوليـة دينيـة بعينها.[32] فأظهـر مسـح للمعارضـة أجـراه المعهـد الجمهـوري الدولـي واسـتطلاعات بيتشـتر بجامعـة برينسـتون فـي يونيـو/ حزيـران 2012، أن معظـم مقاتلـي المعارضـة المسـلحة أيـدوا وجـود نظـام أو عمليـة ديمقراطيـة مـا. وأظهـر الاسـتطلاع أن 40 بالمائـة منهـم يفضلـون حكومـة انتقاليـة فـي دمشـق، تليهـا انتخابـات، فيمـا أعلـن 36 بالمائـة أنهـم يريـدون جمعيـة دسـتورية، ثـم انتخابـات، كمـا فعلـت تونـس بعـد ثورتهـا.[33]

[30] Darwish, “Cities in Revolution: Salamiyah”; and Sabr Darwish, “Cities in Revolution: Deir el-Zor,” Syria Untold, September 10, 2016, http://cities.syriauntold.com/#_edn10.

[31] Joseph Halliday, “Syria’s Armed Opposition,” Middle East Security Report No. 3, Institute for the Study of War, March 7, 2012, http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Syrias_Armed_Opposition.pdf; and Erika Solomon, “Rural Fighters Pour into Syria’s Aleppo for Battle,” Reuters, July 29, 2012, http://mobile.reuters.com/article/marketsNews/idUSL6E8IT0TY20120729.

[32] Adrien Jaulmes, “Une insurrection syrienne plus conservatrice qu’extrémiste,” [A Syrian insurgency more conservative than extremist], Le Figaro, July 30, 2012, http://www.lefigaro.fr/international/2012/07/30/01003-20120730ARTFIG00409-syrie-une-insurrection-musulmane-conservatrice.php; “Q&A: Nir Rosen on Syria’s Armed Opposition,” Al Jazeera English, February 20, 2012, http://www.aljazeera.com/indepth/features/2012/02/201221315020166516.html; and Felix Legrand, “The Strategy of Jabhat Al-Nusra / Jabhat Fath Al-Sham in Regarding the Truces in Syria,” Network of Research of International Affairs, October 2, 2016, http://www.noria-research.com/strategy-regarding-truces-in-syria/, 1

[33] Cited in Michael Weiss and Hassan Hassan, ISIS: Inside the Army of Terror (New York: Reagan Arts, 2015), 181.

ظهر الجيش السوري الحر إلى الوجود في منتصف عام 2011 كهيئة تنسيقية لمختلف فصائل المتمردين، واتسم في البداية بتنوع الآراء السياسية لأفراده، وإلى حد ما، بتنوع إثني وطائفي في تكوينه. دافع لواء (أحفاد) صلاح الدين الكردي في حلب وشمال سوريا عن برنامج ديمقراطي لجميع السوريين دون تمييز.[34] فيما أُنشئت كتائب الوحدة الوطنية في ريف دمشق في عام 2012 وكان لها تطلعات ديمقراطية وساعية للإدماج. أعلن المتحدث باسم هذه المجموعة أن «الدين لله، والوطن للجميع». وأضاف أن «كتائب الوحدة الوطنية تعمل من أجل دولة مدنية وديمقراطية لجميع الأعراق والهويات الاجتماعية».[35] وارتبط اللواءان العسكريان أسود الغوطة وأسود الله بالأحزاب السياسية الاشتراكية والقومية العربية في دوما، حيث كان لهذه الأحزاب وجود تاريخي في منافسة مع الحركات الأصولية الإسلامية هناك.[36] وشارك عدد أقل من الأقليات الدينية في المعارضة المسلحة كمقاتلين، لا سيما بالمقارنة مع مشاركتهم الأعلى في الحركة الشعبية المدنية. الأشخاص الذين انضموا إلى الجماعات المسلحة من هذه الأقليات كانوا يفعلون ذلك على أسس فردية.

على الرغم من ذلك، لم تكن وحدات الجيش السوري الحر المختلفة قادرة مطلقًا على التوحد رسميًا والعمل كمنظمة واحدة خلال الانتفاضة، رغم العديد من المحاولات من مبادرات محلية وأجنبية. علاوة على ذلك، لم تكن المعارضة السورية المسلحة جيدة التسليح ولا جيدة التمويل.[37] وبالمثل، فإن العديد ممن كانوا جزءاً من اللجان التنسيقية المختلفة، والتي كانت عاقدة العزم على مواصلة نضالها السلمي، غيروا مواقفهم مع تزايد عسكرة الانتفاضة وفي مواجهة قمع النظام العنيف. إلا أنه، وفقاً للعديد من النشطاء، فقد أضعفت العسكرة المتزايدة الحراك إلى حد كبير. إذ عانت المناطق الواقعة تحت سيطرة كتائب الجيش السوري الحر، لا سيما في بعض الحالات التي شهدت توسعاً في ديناميات العسكرة، من انعدام القانون وانخرطت بعض الجماعات في السلب والنهب. وبدأ النشطاء، في بعض المناطق، يشكون من التوجهات الطائفية لبعض الأفراد المقاتلين.[38]

[34] Hossino, “Syria’s Secular Revolution Lives On.”

[35] “Interview with Member of the ‘National Unity Brigades’ of the FSA,” Darth Nader, October 17, 2012, https://darthnader.net/2012/10/17/interview-with-member-of-the-national-unity-brigades-of-the-fsa/.
ترجمة عن الإنجليزية نظرا لتعذر الحصول على الاقتباس بالعربية

[36] Majd al-Dik, A l’est de Damas, au bout du monde, témoignage d’un révolutionnaire syrie [East of Damascus, at the end of the world: Testimony of a Syrian revolutionary] (Paris: Don Quichotte Editions, 2016), 190–91.

[37] “Q&A: Nir Rosen”.

[38] “Kurdish-Arab Fraternity Coordination Committee,” Syria Untold, February 21, 2014, http://www.syriauntold.com/en/work_group/kurdish-arab-fraternity-coordination-committee/.

المعارضة تحيد عن مبادئها

في الوقت الذي كان فيه قمع النظام السوري الوحشي للانتفاضة يدفع بالمعارضة نحو العسكرة السريعة، زاد التورط المباشر للقوى الإقليمية والعالمية مع الجماعات السورية المتمردة. وسيكون للمصالح الخاصة والأهداف المتعارضة لدول الخليج المختلفة وتركيا وروسيا والولايات المتحدة تأثير حاسم على تطور قوى المتمردين السوريين، والتي كانت تحاول بشكل محموم مواجهة رد فعل النظام المتصاعد. وكان للتدخل الأجنبي وانحراف المعارضة المسلحة نحو الطائفية تأثير تصعيدي متبادل.

سعت مجموعات الجيش السوري الحر على أرض الواقع للحصول، وبشكل متزايد، على الدعم والتمويل في مصادر أخرى، خاصة من ممالك الخليج، مما سيكون له عواقب وخيمة في تعزيز أسلمة الانتفاضة وجماعات المعارضة المسلحة. أما في حالة الولايات المتحدة وأوروبا، فهي كما وصفها عالم السياسة ستيفن هايدمان:

أدت المخاطر السياسية التي كان يُعتقد أنها ستكون مصاحبة لأي تعاون مباشر مع المعارضة المسلحة أو المشاركة في أي شكل من أشكال العمل العسكري ، بما في ذلك إنشاء مناطق آمنة، إلى دفع الحكومات الغربية إلى التنازل عن القيادة والتأثير إلى المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا فيما يخص توفير الدعم المادي والسياسي والعسكري للمعارضة - على الرغم من أنهم فعلوا ذلك بطرق تعاكس مباشرة المصالح الغربية في منع التطرف الطائفي والتفتت السياسي على الأرض.[39]

وبالتالي، تنافست وحدات الجيش السوري الحر مع بعضها البعض على الموارد التي كانوا جميعهم في حاجة ماسة إليها. وعانى التماسك التنظيمي بسبب هذه المنافسة وبسبب تنوع الممولين ذوي الأجندات مختلفة. ظهر الاقتتال بين جماعات المعارضة السورية المسلحة بشكل أكثر منهجية بحلول أبريل/ نيسان 2012.[40] ولقد ساهمت دول المنطقة (قطر والمملكة العربية السعودية وتركيا)، على الرغم من نواياها الداعمة، في تجريد الجيش السوري الحر من الكثير من إمكاناته الحقيقية، وفقًا للمحلل تشارلز ليستر. فقد عملت هذه الدول بشكل مستقل وفي أغلب الأحيان من خلال قنوات مستقلة متعددة، معتمدين على صلات شخصية. ولم ينسق رعاة التمرد الثلاثة هؤلاء

[39] Heydemann, "Syria and the Future of Authoritarianism," Journal of Democracy 24, no. 4 (2013): 5.
[40] Joseph Halliday, "Syria's Maturing Insurgency," Middle East Security Report No. 5, Institute for the Study of War, June 21, 2012, http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Syrias_MaturingInsurgency_21June2012.pdf.

أبدا دعمهم للتمرد.[41] واستمر تهميش وتفتيت شبكات الجيش السوري الحر طوال الحرب، حيث أصبحت هذه الشبكات جيوشاً بالإنابة لدول أجنبية وقعوا تحت سيطرة القوى الأصولية الإسلامية والجهادية.

بحلول منتصف عام 2015، كانت معظم مجموعات المعارضة المسلحة غير الجهادية وغير السلفية قد تم تهميشها في المعركة العسكرية ضد النظام، أولاً بسبب قمع قوات الأسد وحلفائه الأجانب، روسيا وإيران، لهم. وثانيًا نتيجة ضغوط من الداعمين الإقليميين لمجموعات المعارضة بتخفيض حدة حربهم ضد نظام الأسد والتركيز على أعداء آخرين. في نهاية المطاف، تم إضعاف قوات الجيش السوري الحر التي كانت تتمتع بالحكم الذاتي، فلقد سيطرت عليهم القوات السلفية والجهادية من خلال المعارك البرية والهجمات الجوية.

تقدم قصة المجلس الوطني السوري توضيحاً مفيدًا آخر لهذه التوجهات. فقد تأسس المجلس الوطني السوري في اسطنبول في أكتوبر/ تشرين أول 2011.[42] تم تشكيله من قبل تحالف من الجماعات والأفراد، بما في ذلك الموقعون على إعلان دمشق، والإخوان المسلمين، وفصائل كردية مختلفة، وممثلين عن لجان التنسيق المحلية في سوريا (وهي منظمة جامعة ممثلة للعديد من اللجان التي شكلت بالفعل في البلاد).[43] وخلال السنوات الأولى من تأسيسه , كان اعتماد المجلس المتزايد على الجهات الأجنبية سبباً في إدخاله في صعوبات كبرى، بسبب اختلاف مصالح الدول الراعية عن مصالح المجلس نفسه. نهاية هذه الانقسامات ستكون شقاقاً حول جدوى الاستمرار في محاولة الإطاحة بالأسد من عدمه. لكن الانقسامات داخل المجلس كانت موجودة بالفعل منذ وقت مبكر.[44]

تمتع المجلس الوطني السوري في البداية بدعم هائل من قطر وتركيا، اللتين قامتا بتمويله واستضافته على التوالي. كما رحبت القوى الغربية وغيرها من دول الخليج بالتحالف الجديد. وأصبح نقطة المرجعية

[41] Charlie Lister, "The Free Syrian Army: A Decentralized Insurgent Brand," Analysis Paper No. 26, Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, November 26, 2016, https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/11/iwr_20161123_free_syrian_army1.pdf; and Michael Young, "Syriana," Carnegie Middle East Center, April 7, 2017, http://carnegie-mec.org/diwan/68366?lang=en.

[42] كان اسمه في البداية «مؤتمر الإنقاذ الوطني السوري» خلال الاجتماع الأول في اسطنبول في يوليو/ تموز 2011.

[43] كان للجان التنسيق المحلية موقفا ملتبساً بالمجلس الوطني السوري بعد أن انضمت إلى هذا الكيان وفقاً لجوان يوسف، عوض مؤسس منسحب من لجان التنسيق، فقرار لجان التنسيق بالانضمام جاء بعد ضغوط من أول رئيس للمجلس الوطني السوري، برهان غليون، وبتأثير من حزب الشعب، أحد الأحزاب المؤسسة للمجلس. كانت قيادات لجان التنسيق المحلية تأمل في تعزيز شرعية المجلس الوطني السوري داخل البلاد دون التورط سياسياً في قرارته وسياساته (جوان يوسف، مقابلة مع المؤلف عبر سكايب، 28 يوليو 2018). إلا أن هذا الموقف لن يستمر.

[44] في نوفمبر 2017/ تشرين ثاني , أعلن رئيس لجنة المفاوضات العليا للمعارضة السورية , رياض فريد حجاب , إلى جانب كبير المفاوضين محمد صبرا وثمانية أعضاء آخرين , استقالتهم من اللجنة قبل مؤتمر الرياض. كان هدفهم هو توحيد المعارضة في مواجهة الضغوط الدولية التي كانت تحاول إجبار المعارضة على قبول بقاء بشار الأسد في السلطة , وفقًا لسهير الأتاسي , أحد الأعضاء الذين استقالوا. انظر "Resigned Syrian Opposition Figure: We Were Asked to Accept Assad or Leave," Middle East Monitor, November 22, 2017, https://www.middleeastmonitor.com/20171122-resigned-syrian-opposition-figure-we-were-asked-to-accept-assad-or-leave/.

الرئيسية للبلاد التي تدعم المعارضة. في أبريل/ نيسان 2012, اعترفت أكثر من 100 دولة في مجموعة «أصدقاء سوريا» بأن المجلس الوطني السوري هو «مظلة تنظيمية تنضوي تحتها أطياف المعارضة السورية».[45] هذا وقد تبنى المجلس الوطني. في البداية. موقفاً نقدياً تجاه بعض مجموعات المعارضة بالداخل السوري مثل هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي, لأن تلك المجموعات دعت إلى التفاوض والحوار مع النظام, ورفضت التدخلات الخارجية.

في نوفمبر/ تشرين ثاني 2012, تأسس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية في استجابة للضغوط المتزايدة من الولايات المتحدة ودول غربية أخرى لتشكيل تحالف معارض سوري أكثر تنوعًا وإدماجاً من المجلس الوطني السوري. وكان الهدف الرئيسي هو إنشاء ائتلاف قادر على اكتساب اعتراف دولي أوسع ودعم مالي ومادي أكبر. كان هناك أمل في البداية أن يحقق الائتلاف الغرض الذي كان مؤيدوه من الدول الغربية يأملون في أن يحققه. انضم المجلس الوطني السوري إلى الائتلاف, وحصل المجلس الوطني السوري على أكثر من ثلث مناصب الهيئة السياسية البالغ عددها 63 منصباً. كما حصل حوالي ستة من أعضائه على مقاعد «كشخصيات وطنية مستقلة» أو ممثلين عن الأقليات. ضم هذا التحالف الجديد ممثلين من لجان التنسيق المحلية, وكان في البداية يحظى بدعم أقسام كبيرة من الجيش السوري الحر.[46] ومع ذلك , فقد وسمت الانقسامات الداخلية, التي أججتها التدخلات والتأثيرات الأجنبية, مجموعتي المعارضة. كما اعترضت القطاعات الديمقراطية والتقدمية للمعارضة على هيمنة الإخوان المسلمين والجماعات والشخصيات الإسلامية المحافظة على كل من المجلس الوطني السوري والائتلاف. إلا أن هذه القطاعات الديمقراطية لم تتمكن من توفير بديل ديمقراطي شامل.[47]

هيمنت قطر وتركيا على المجلس الوطني السوري على مدار العامين الأولين من الانتفاضة. لكن بداية من مايو/ أيار 2013, تراجعت سيطرة قطر على الائتلاف الوطني لصالح المملكة العربية السعودية. وسيطر الإحباط على القوى الغربية نتيجة لشلل الائتلاف, بما في ذلك عجزه عن إنشاء روابط حقيقية مع مجموعات بالداخل السوري. في ذلك الشهر نفسه, وتحت ضغط من السعودية, وسع الائتلاف عضويته من 63 عضواً إلى 117, وكان الهدف المعلن هو ضم المزيد

[45] «ميثاق الجبهة الإسلامية السورية»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط, 4 فبراير شباط 2013/, https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=50832
[46] «المجلس الوطني السوري»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط, 25 سبتمبر/ أيلول 2013, https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48399
[47] في بدايات عام 2012 , حاولت 14 منظمة يسارية وديمقراطية تشكيل ائتلاف خاص بهم , لكن محاولتهم فشلت في مواجهة قمع النظام. تم إنشاء التحالف للمشاركة في الثورة وتعزيزها من أجل الإطاحة بالنظام وبناء دولة مدنية وديمقراطية (أبي نجم , «التنسيقات»). ولأن النظام قمع معظم أعضاء الائتلاف بشدة مما جعل التنظيم مستحيلاً , فقد اختفت المجموعة تدريجياً , رغم أن بعض المنظمات كانت لا تزال تعمل في بعض المناطق طوال الانتفاضة.

من الأقليات. حتى جماعة الإخوان المسلمين، المدعومة بالأساس من قطر، لم ترغب في الظهور بمظهر المعارض للمملكة العربية السعودية، وسعت وقتها إلى إقامة علاقات جيدة مع الرياض.[48]

كانت هذه التأثيرات المتغيرة على المعارضة السورية مرتبطة بدورها بالتحولات الإقليمية. ففي يونيو/حزيران 2012 تنازل الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني عن منصبه كأمير لدولة قطر لولي عهده. وبعد ذلك بأسبوع، قام عبد الفتاح السيسي - المدعوم من السعودية- بالإطاحة بمحمد مرسي، رئيس مصر وقتها والمنتمي لجماعة الإخوان المسلمين المدعومة من قطر. وفي الوقت الذي كان يتقلص فيه نفوذ قطر، سارعت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت لتهنئة الجيش المصري والتعهد بـ 12 مليار دولار لمصر.[49] خلال عام 2013، وتقارب الائتلاف الوطني من المملكة العربية السعودية، لكن ظلت قطر وتركيا عناصر مفتاحية مؤثرة داخل المعارضة.

خلال السنوات التالية، استمرت الانقسامات داخل المعارضة بل وتفاقمت بفعل تأثير القوى الأجنبية. وكان العداء بين المملكة العربية السعودية وقطر، المتحالفة مع تركيا. إشكالياً بشكل خاص. فقد منحت الجهات الإقليمية المؤثرة أولوية لمصالحها الخاصة على حساب تحسين تأثير المعارضة. فعلى سبيل المثال، وفي محاولة لتوحيد فصائل المعارضة المختلفة من أجل التفاوض مستقبلاً مع نظام الأسد، نظمت المملكة العربية السعودية مؤتمرا لتوحيد المعارضة في الرياض في ديسمبر/ كانون أول 2015، وجمع المؤتمر مجموعات معارضة مدنية ومسلحة وشخصيات عامة من أجل إصدار وثيقة مشتركة واختيار فريق للتفاوض حول الانتقال السياسي. وتمخض المؤتمر عن إنشاء الهيئة العليا للمفاوضات السورية المكونة من أربعة وثلاثين عضواً، والتي كان من المفترض بها أن تمثل المعارضة في المحادثات مع الحكومة. لكن الانفصال بين مطالب الهيئة العليا وقوة النظام على أرض الواقع جعلت من الهيئة كياناً غير ذي صفة على نحو متزايد. إذ لم يكن بإمكانها الادعاء بأنها تمثل أي أرقام حقيقية من المقاتلين في الحرب الفعلية - بدلاً من ذلك، أصبحت الهيئة تنظيماً أنشأته المملكة العربية السعودية بعناية. بحلول وقت محادثات السلام السورية لعام 2016 في الأستانة بكازاخستان، تحت رعاية إيران وروسيا وتركيا، لم تتم حتى دعوة الهيئة العليا للمفاوضات. ولم يكن هناك تمثيل سوى لبعض مجموعات المعارضة المسلحة فقط، بقيادة محمد علوش، قائد جيش الإسلام.

[48] Hassan Hassan, "Saudis Overtaking Qatar in Sponsoring Syrian Rebels," National, May 15, 2013, https://www.thenational.ae/saudis-overtaking-qatar-in-sponsoring-syrian-rebels-1.471446; and Christopher Phillips, The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East (New Haven, CT: Yale University Press, 2016), 122.

[49] Mohsin Khan and Richard Lebaron, "What Will the Gulf's $12 Billion Buy in Egypt?," MENASource blog, Atlantic Council, July 11, 2013, http://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/what-will-the-gulfs-12-billion-buy-in-egypt.

مع استمرار الحرب، قلت قدرة المملكة العربية السعودية وقطر (وإلى حد ما اهتمامهما) في السعي لرحيل الأسد. وحافظت الرياض على تركيزها الأساسي في مجابهة تأثير إيران داخل سوريا.[50] كانت السعودية والإمارات مهتمتان أيضًا، إلى حد أقل، بمواجهة نفوذ تركيا، التي تعتبر حليفة وثيقة لقطر. وبحلول أوائل عام 2019، قادت الإمارات العربية المتحدة ودمشق تقارباً ومصالحة سياسيين بين بعض الحكومات الخليجية.

كان لتنافس الرياض والدوحة وتناقص رغبتهما في رحيل الأسد عواقب واضحة على إستراتيجية المعارضة السورية. فلقد كانت الانقسامات الداخلية وتأثير الجهات الأجنبية أهم العقبات التي تحول دون توحيد وتعزيز معارضة متماسكة ذات شعبية، ومع ذلك فشل المجلس الوطني السوري والائتلاف في تقديم برنامج سياسي قائم على الإدماج وقادر على جذب قطاعات كبيرة من السكان السوريين. في الوقت نفسه، دفعت عدم رغبة القوى الأجنبية في التدخل المباشر في سوريا للإطاحة بنظام الأسد تدريجياً بالمجلس الوطني السوري ثم الائتلاف الوطني للتحول إلى أو على الأقل إضفاء الشرعية على مختلف القوى الأصولية الإسلامية والجماعات الجهادية، ذلك أن تأثير تلك الجماعات. كان ينمو داخل البلاد.[51]

الانقسامات الداخلية وهيمنة الفاعلين المسلمين المحافظين

كان المجلس الوطني السوري غارقاً - منذ تأسيسه- في الانقسامات الداخلية، كما تعرض للانتقاد بسبب سيطرة مكون إسلامي كبير عليه، بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين. وبالفعل كانت جماعة الإخوان، ومع سيطرتها على ما يقرب من ربع مقاعد المجلس البالغ عددها 310 مقعدًا، في الحقيقة هي الفصيل الأكبر والأكثر تماسكًا داخل المجلس الوطني السوري، كما حظت الجماعة بدعم قطر وتركيا؛ وقدمت قطر للإخوان أيضاً مدخلاً لقناة الجزيرة.[52] وسرعان ما تمكنت الحركة الأصولية الإسلامية، من خلال استغلالها لتنظيماتها في المنفى، من لعب دور رئيسي في

[50] تم تأكيد هذا الموقف من خلال تعليقات محمد بن سلمان في مارس/ آذار 2018 والتي قال فيها ولي العهد أنه يدرك أن الأسد باقٍ، لكنه يأمل ألا يصبح دمية في يد طهران. W. J. Hennigan, "Saudi Crown Prince Says U.S. Troops Should Stay in Syria," Time, March 30, 2018, http://time.com/5222746/saudi-crown-prince-donald-trump-syria/.

[51] شجع النظام في البداية صعود الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية ليضفي صبغة طائفية على الانتفاضة ويحول دعايته - التي تسم المتظاهرين بأنهم طائفيين ومتطرفين دينيين- إلى واقع. . في الوقت نفسه , ساعدت ممالك الخليج العربي وتركيا هذه المجموعات لأسباب سياسية خاصة بهم. وبشكل مساوٍ ساهمت انقسامات ومشكلات وضعف شبكات الجيش السوري الحر في توسع هذه المجموعات.

[52] «ميثاق الجبهة الإسلامية السورية»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط. لقد سهلت الدوحة في الواقع وصول أعضاء جماعة الإخوان إلى قناتها الجزيرة. وسيطرت جماعة الإخوان أيضًا على اثنين من المكاتب المركزية للمجلس الوطني السوري - المكتب المسئول عن الشؤون العسكرية وذلك المسئول عن المساعدات الإنسانية - مما أمدهم بملايين الدولارات في شكل تبرعات ساهمت في تشكيل أو تقوية شبكات الدعم الخاصة بهم في سوريا. Elizabeth O'Bagy, "Syria's Political Opposition," Middle East Report No. 4, Institute for the Study of War, 2012, http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Syrias_Political_Opposition.pdf; Phillips, The Battle for Syria, 110; and Youssef, interview with the author.

المجلس الوطني السوري.[53] في الوقت نفسه، اشتكى الأعضاء العلمانيون في المجلس من هيمنة الحركات الأصولية الإسلامية.[54] أصبحت هذه الانقسامات جلية بشكل أوضح في وقت مبكر، تقريباً بحلول 2012. وأصدرت لجان التنسيق المحلية، في مايو/ أيار من ذلك العام، بياناً تتهم فيه المجلس الوطني السوري بخيانة «روح ومطالب الثورة السورية» وتهميش ممثليها. أعلنت لجان التنسيق انسحابها الرسمي من المجلس في نوفمبر/ تشرين ثاني، متهمة المجموعة بأنها تحت سيطرة الإخوان وكذلك بالفشل في تضمين إصلاحات تحولها إلى هيكل تمثيلي حقيقي.[55]

وواجه الائتلاف انتقادات مماثلة من مجموعات الحراك بعد وقت قصير من تأسيسه، في ربيع وصيف عام 2013. وأصدرت الحركة الثورية في سوريا، وهي ائتلاف من مختلف اللجان المحلية داخل سوريا، بياناً حاسماً في مايو / أيار 2013، تقول فيه: «إن القوى الثورية التي وقعت على هذا البيان لم تمنح الشرعية لأي هيئة سياسية تخرب الثورة أو لا تأخذ بعين الاعتبار تضحيات الشعب السوري أو تمثيلها بشكل كاف. نعتبر هذا التصريح بمثابة تحذير أخير للائتلاف، فقد تحدث الشعب السوري».[56] وكرر الائتلاف نفس الأخطاء التي ارتكبها المجلس الوطني السوري في فشله في كسب الدعم بالداخل السوري، سواء من الناشطين المدنيين أو جماعات المعارضة المسلحة.

كما انتقد الفاعلون الديمقراطيون والتقدميون دخل الانتفاضة السورية الدور المهيمن للإخوان المسلمين والمجموعات المرتبطة بهم. في الوقت نفسه، وبعد وقت قصير من تأسيسه، أنشأ الائتلاف الوطني العديد من الكيانات في تركيا لمساعدة المجالس المحلية.[57] ومع ذلك، فقد تم تسييس جميع هذه الوحدات واستقطابها وفقًا للمصالح الشخصية والأجندات الحزبية، كما دعمهم رعاة إقليميين متنافسين، وخاصة قطر والمملكة

[53] Petra Becker, "Syrian Muslim Brotherhood Still a Crucial Actor," SWP Comments 34 (October 2013): 2, https://www.swp-berlin.org/fileadmin/contents/products/comments/2013C34_bkp.pdf.

[54] أعلن رياض الترك , وهو قيادي معارض شيوعي مخضرم، في سبتمبر/ أيلول 2018 أن إحدى المشكلات الأولية التي واجهها المجلس الوطني السوري عند تأسيسه كانت سيطرة جماعة الإخوان المسلمين والجماعات المرتبطة بهم على المجلس. انظر محمد علي الأتاسي، «في أول حديث له بعد خروجه متسللا من سوريا... رياض الترك: الخلل اليوم لم يعد بقاء «مجرم الحرب» بشار الأسد». القدس العربي، 2 سبتمبر/ أيلول 2018، https://www.alquds.co.uk/%ef%bb%bf%d9%81%d9%8a-%d8%a3%d9%88%d9%84-%d8%ad%d8%af%d9%8a%d8%ab-%d9%84%d9%87-%d8%a8%d8%b9%d8%af-%d8%ae%d8%b1%d9%88%d8%ac%d9%87-%d9%85%d8%-aa%d8%b3%d9%84%d9%84%d8%a7-%d9%85%d9%86-%d8%b3%d9%88%d8%b1/

[55] «لجان التنسيق المحلية في سورية»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 20 ديسمبر/ كانون أول 2012، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=50432

[56] ضمت هذه الحركة الثورية: الهيئة العامة للثورة السورية، ولجان التنسيق المحلية، واتحاد تنسيقيات الثورة السورية، والمجلس الأعلى لقيادة الثورة السورية. Ferdinand Dürr, "Critizism [sic]: Syrian Exile Opposition Is Failing," May 29, 2013, https://www.adoptrevolution.org/en/critizism-exile-opposition-is-failing/.
ترجمة عن الإنجليزية لتعذر الحصول على الاقتباس بالعربية.

[57] وتشمل هذه: وحدة تنسيق المساعدات , التي كان هدفها تقديم المساعدات الإنسانية داخل سوريا (ديسمبر/ كانون أول 2012) ؛ وحدة مجلس الإدارة المحلية , التي تهدف إلى المساعدة في توحيد المجالس المحلية في إطار موحد (مارس/ آذار 2013) ؛ ومع تشكيل الحكومة السورية المؤقتة (نوفمبر / تشرين ثاني2013) , أنشأت وزارة الإدارة المحلية واللاجئين والإغاثة الإنسانية إدارة عامة للمجالس المحلية (مارس/ آذار 2014).

العربية السعودية. وبناء على ذلك، وخلال ذروة التنافس الإقليمي في عامي 2013 و 2014، تنافست هذه الكيانات مع بعضها البعض في أغلب الأحيان لتأمين وجودها وفرض نفوذها على المجالس المحلية داخل سوريا من خلال الدعم المالي.[58]

وتسمم الائتلاف الوطني بسبب التنافسات والانشقاقات الداخلية المتزايدة على مر السنين. على سبيل المثال، استقالت نائبة رئيس الائتلاف سميرة المسالمة في عام 2017 بعد أن انتقدت في البداية التعتيم حول مصادر تمويل الائتلاف، وتبين بعد ذلك أن الائتلاف قام بتحويلها للتحقيق بسبب إدلائها بتصريحات ناقدة له على شاشة التلفزيون.[59] كما استقال الناشط المعارض المخضرم فايز سارة في عام 2017 , قائلاً إن الائتلاف لم يكن لديه القدرة على إصلاح نفسه، وانتقد إخفاقه في اتخاذ موقف من القوات «الإسلامية» - من الدولة الإسلامية إلى جند الأقصى وجبهة النصرة. - والتي حسب ما ذكر , لعبت «دور الشيطان» في تنفيذ سياسات نظام الأسد.[60]

نظرة أعمق على إخفاقات المعارضة

تحولت الانتفاضة السورية من حركة ديمقراطية قائمة على الإدماج، تضم تيارات علمانية ودينية إلى حرب أهلية تتصاعد فيها النعرات الطائفية والعرقية. جعلت الأحوال السائدة في سوريا قبل الانتفاضة هذا المصير احتمالاً قائماً، ولكن ليس حتمياً. وعنى استهداف نظام الأسد الدقيق لقادة المعارضة الأكثر ديمقراطية وادماجاً خلال المراحل المبكرة من الانتفاضة، أن الجماعات الأقل ميلاً إلى الديمقراطية هي التي تمكنت من البقاء. كما كان تزويد القوى الأجنبية لفصائل المعارضة المتبقية بالجنود والموارد بمثابة ضمانة أن هذه الفصائل ستتبنى في النهاية الخيارات الأكثر إثارة للانقسام في الانتفاضة. ومع ذلك، فإن التحليل سيكون غير مكتمل - كما هو الحال في دراسات الحرب حتى الآن- دون الاعتراف بأن إخفاقات المعارضة السورية نشأت أيضًا عن أوجه قصورها الذاتية وأخطائها الطوعية. إن تجاهل مشاكل المعارضة تلك من شأنه أن يخاطر بدفعنا نحو سرد تاريخ مجمل للحرب الأهلية السورية - وبالتالي، فمن المهم مناقشة العديد من الموضوعات الخاصة بأوجه قصور المعارضة.

[58] Agnès Favier, “Local Governance Dynamics in Opposition-Controlled Areas in Syria,” in Inside Wars: Local Dynamics of Conflicts in Syria and Libya, ed. Luigi Narbone, Agnès Favier, and Virginie Colombier (San Domenico di Fiesole, Italy: European University Institute, 2016), http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/41644/Inside%20wars_2016.pdf.
[59] Zaman al-Wasl, “Coalition Investigating Samira Masalmeh for Televised Comments,” Syrian Observer, January 5, 2017, http://syrianobserver.com/EN/News/32168/Coalition_Investigating_Samira_Masalmeh_Televised_Comments.
[60] Madar al-Youm, “Coalition Loses Fayez Sara for Being Stiff-Necked on Reform,” Syrian Observer, January 19, 2017, http://syrianobserver.com/EN/News/32227/Coalition_Loses_Fayez_Sara_For_Being_Stiff_Necked_Reform/.

أي نوع من الدولة والمجتمع؟

صرح كل من المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني عن رغبتهما في بناء سوريا للجميع من خلال إقامة دولة مدنية قائمة على المواطنة ودون تمييز على أساس الطائفة أو الجنس. إلا أن، خطاب وممارسات هيئات المعارضة هذه أتى متناقضاً مع تلك التصريحات. تجنبت المجموعتان طرح أفكارهم التفصيلية حول قضايا مختلفة، بما في ذلك مكان الشريعة أو قوانين الأحوال الشخصية في الدولة المستقبلية، وحقوق النساء، والقضية الكردية.

ولم تقدم هذه المجموعات أي أوصاف ملموسة لمواقفها بشأن ماهية الدولة المدنية والمواطنة. وساوى بعض الأفراد في المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني بين الدولة المدنية والعلمانية، لكن الحركات الأصولية الإسلامية رفضت العلمانية رفضاً باتاً.[61] فيما سعت جماعة الإخوان المسلمين على سبيل المثال، إلى «دولة مدنية» كخطوة أولى فقط نحو الدولة الإسلامية أو دولة قائمة على الشريعة. لقد تحدث الإخوان بشكل عام عن «دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية».[62] نصت وثيقة الإخوان لعام 2004 , «المشروع السياسي لمستقبل سوريا»، على أن تسعى المجموعة إلى «أسلمة القوانين تدريجيا، لاعتقادنا أنّ الشريعة المنزلة من عند الله رحمة للعالمين أرفق وأحكم وأرعى لمصلحة الناس أجمعين» تظل عواقب نص كهذا على الأقليات الدينية غامضة: فالنص يقول أن جماعة الإخوان المسلمين تعتبرهم مواطنين متساوين، لكنها تقول أيضًا أن الإسلام يجب أن يكون أساس الدولة والهوية السورية.[63] وظهرت هذه المواقف في مختلف هيئات المعارضة التي شاركت فيها جماعة الإخوان.[64]

[61] في عام 2011 , قال زهير سالم , وهو زعيم سابق لجماعة الإخوان المسلمين وما زال قريبًا من الحركة , إن فصل الدولة عن الدين يعني «حرمان الدولة من أخلاقها». Naomi Ramirez Diaz, "Unblurring Ambiguities," in The Syrian Uprising: Domestic Origins and Early Trajectory, ed. Raymond Hinnebusch and Omar Imady (London: Routledge, 2018), 210.

[62] على سبيل المثال , أعلن النائب السابق للمرشد الأعلى لجماعة الإخوان المسلمين المصرية , خيرت الشاطر , في مارس/ آذار 2011 عقب الإطاحة بالرئيس المصري حسني مبارك: «تعمل جماعة الإخوان المسلمين على استعادة الإسلام بمفهومه الشامل لحياة الناس , وهم يعتقدون أن هذا لن يتحقق إلا من خلال مجتمع قوي. وهكذا , فإن المهمة واضحة: استعادة الإسلام بمفهومه الشامل ؛ إخضاع الناس لله. وضع دين الله ؛ أسلمة الحياة , وتمكين دين الله ؛ تأسيس نهضة الأمة على أساس الإسلام. . . . وهكذا , تعلمنا أن نبدأ ببناء الفرد المسلم , والأسرة المسلمة , والمجتمع الإسلامي , والحكومة الإسلامية , والدولة الإسلامية العالمية «. انظر فيديو الخطاب على يوتيوب: « مشروع النهضة الإسلامي.....خيرت الشاطر»، فيديو يوتيوب: 1:32:03, «24 أبريل/ نيسان 2011 .amlalommahtv" https://www.youtube.com/watch?v=JnSshs2qzrM.

[63] «المشروع السياسي لسورية المستقبل»، إخوان ويكي، تم الولوج إلى الرابط في 2 فبراير/ شباط 2019 https://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=المشروع_السياسي_لسورية_المستقبل.

[64] كان عدم وجود إدماج حقيقي داخل الائتلاف الوطني ومعارضة المنفى ملحوظاً على سبيل المثال في المبادىء العامة الخاصة بالإطار التنفيذي للحل السياسي الذي قدمته اللجنة العليا للمفاوضات في أيلول / سبتمبر 2016 بجنيف , والتي أدرجت فيها الثقافة الإسلامية العربية حصراً كمصدر «للإنتاج الفكري و العلاقات الاجتماعية بين جميع السوريين.» انظر «الإطار التنفيذي للحل السياسي بسورية». الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وثائق-الائتلاف/الإطار-التنفيذي-للحل-السياسي-في-سورية/http://www.etilaf.org. وشجبت مجموعات عديدة داخل الهيئة العليا للمفاوضات، ولا سيما المجموعات الكردية والآشورية، هذه الوثيق لعدم إدماجها تنوع السكان في سوريا.

الطائفية

ادعى كل من المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني أنهما كانا يناضلان ضد الطائفية، إلا أن بعض الأعضاء داخل الهيئتين تصرفوا بطرق تناقض هذه الادعاءات. كما ساهم ضم بعض الأصوليين الإسلاميين والتطبيع مع أو الدفاع عن الحركات الجهادية في إيقاظ الديناميات الطائفية بعد الفصل الافتتاحي للانتفاضة. لا يمكننا النظر إلى التأثيرات الأجنبية وممارسات القمع الانتقائي للحكومة السورية باعتبارها التفسيرات الوحيدة لهذه المشكلة: على الرغم من وجود رسالة جامعة وقائمة على الإدماج خلال أيام الانتفاضة الأولى، فإن العديد من المشاركين في هذه الانتفاضة تبنوا وجهات نظر طائفية وإقصائية دينياً، وكانت هذه الآراء ظاهرة منذ البداية.

فعلى سبيل المثال، دعا عضو الائتلاف أنس عيروط وهو رجل دين سلفي كان أيضًا قياديًا في جبهة تحرير سورية الإسلامية، ، في يوليو / تموز 2013، مقاتلي المعارضة إلى استهداف القرى العلوية في المناطق الساحلية.[65] كما أيد صالح المبارك، عضو المجلس الوطني السوري، مهاجمة هذه المنطقة (ريف اللاذقية)، مؤكدًا أن «المعركة قد يتم نقلها إلى قلب أراضي العائلة الحاكمة، ويجب إشعار العلويين بأنهم لن يكونوا آمنين إذا كان باقي الناس غير آمنين».[66] وبالمثل، فقد أدلى أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بعدة تعليقات وتصريحات طائفية ضد الشيعة والعلويين، وفي الوقت الذي اعتبروا الجماعة الجهادية جبهة النصرة قوة ثورية و»أخوة في الإيمان/ السلاح».[67]

كما قدمت بعض وسائل الإعلام المؤيدة للانتفاضة سرديات طائفية. فمثلاً عرض تلفزيون أورينت، الذي يملكه رجل الأعمال السوري في المنفى غسان عبود (المعروف بمشاعره الطائفية)، صور عشرات الضحايا من مذبحة الدولة الإسلامية في مايو / أيار 2015 في بلدة المبعوجة ذات السكان المختلطين على أنهم أعضاء في قوات الأمن التابعة للنظام. كان معظم الضحايا، في الواقع، من المدنيين السنة والإسماعيليين والعلويين، بمن فيهم الأطفال.[68] أثار هذا العرض للأحداث جدلا هاما.[69]

[65] Khaled Yacoub Oweis, “Syrian Rebel Sheikh Calls for War on Assad’s Alawite Heartland,” Reuters, July 10, 2013, https://www.reuters.com/article/us-syria-crisis-coast/syrian-rebel-sheikh-calls-for-war-on-assads-alawite-heartland-idUSBRE9690PU20130710.

[66] Haythem Mouzahem, “Syrian Opposition Condemns Jihadists Targeting Alawites,” Al-Monitor, August 14, 2013, https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/08/syria-opposition-alawite-massacres-sectarianism.html.

[67] Diaz, “Unblurring Ambiguities,” 216.

[68] يهاجم العبود في أحد منشوراته على فيسبوك العلويين وغيرهم من الأقليات الدينية، انظر المنشور على صفحة غسان عبود، 27 إبريل2015، https://www.facebook.com/photo.php?fbid=10155442871320591&set=p.10155442871320591&type=1&theater

[69] «تنظيم داعش يعدم ثلاثين شخصاً حرقاً وذبحاً في هجوم على قرية بريف مدينة السلمية (أسماء الضحايا)»، عكس السير. 31 مارس/ آذار 2015 https://www.aksalser.com/news/2015/03/31/تنظيم-داعش-يعدم-ثلاثين-شخصاً-في-هجوم-ع/
“Isis Reportedly Massacres Dozens in Syrian Village,” CBS News, March 31, 2015, https://www.cbsnews.com/news/isis-kills-40-mabuja-village-central-syria-including-women-children/

بـرّر الرئيـس السـابق للائتـلاف الوطنـي معـاذ الخطيـب، فـي مـارس/ آذار 2013 ، تدفـق الجهاديين إلـى سـوريا علـى أنـه كفـة تـوازن لوجـود خبـراء عسـكريين روس وإيرانييـن ومقاتلـي حـزب اللّه، وأشـار إلـى الجهاديـن بوصفهـم إخـوة وضيـوف كـرام.[70] فيمـا وصف رئيـس المجلـس الوطنـي السـوري جـورج صبـرا جبهـة النصـرة، فـي وقـت لاحـق خـلال عـام 2015، بأنهـا «جـزء مـن الحركـة الثوريـة». وقـد أدلـى صبـرا، وهـو عضـو فـي حـزب الشـعب الليبرالـي (المكتـب السياسـي السـابق للحـزب الشـيوعي بقيـادة ريـاض التـرك) بهـذا التصريـح ردًا علـى إدراج الولايـات المتحـدة للجماعـة الجهاديـة كمنظمـة إرهابية.[71] وبالمثـل، دحـض ميشـيل كيلـو، الـذي انضـم إلـى الائتـلاف الوطنـي فـي عـام 2013، جميـع الاتهامـات الموجهـة ضـد جبهـة النصـرة والتـي وسـمتها بأنهـا تنظيمـاً أصوليـاً.[72] كمـا رفـض أي مقارنة بين الدولـة الإسـلامية وجبهـة النصـرة، بحجـة أن جبهة النصـرة كانت حركـة تؤيد «نظامًـا إسـلاميًا انتخابيًا» وتريـد الوصـول إلـى دولـة إسـلامية عـن طريـق توافـق وطنـي، بينمـا تسـعى الدولـة الإسـلامية لتنفيـذ ذلـك مـن خـلال الاسـتبداد.[73]

كمـا تـم دمـج جيـش الإسـلام، وهـو منظمـة سـلفية، فـي بعـض الهيئـات الرسـمية للمعارضـة فـي الخـارج، بينمـا شـاركت أحـرار الشـام فـي بعـض اللقـاءات والمناقشـات لكنهـا لـم تنضـم إليهـا. هاتـان المنظمتـان متورطتـان فـي انتهـاكات عديـدة لحقـوق الإنسـان. لكـن الائتـلاف لـم يقـم بإدانـة هـذه الممارسـات أو حتـى بالمطالبـة بالإفـراج عـن الناشـطين الذيـن اختطفتهـم الجماعـات المسـلحة.[74] بـل كانـت هـذه المجموعـات منخرطـة بشـكل مباشـر فـي أنشـطة الائتـلاف. فـكان محمـد علـوش، القائـد السياسـي لجيـش الإسـلام، هـو كبيـر مفاوضـي لجنـة المفاوضـات العليـا فـي محادثـات السـلام بيـن المعارضـة ونظـام الأسـد فـي جنيـف سـنة 2016. ومـن تـم كانـت الخطابـات والممارسـات الطائفيـة شـائعة بيـن هيئـات المعارضـة،

[70] «كلمة رئيس الائتلاف الشيخ معاذ في القمة العربية»، فيديو يوتيوب، 15:39، الائتلاف الوطني لقوى الثورة والعارضة السورية، 26 مارس / آذار 2013، https://www.youtube.com/watch?v=zN0t0RrG2CI

[71] Abdallah Suleiman Ali, "Noose Tightens around Jabhat al-Nusra," Al-Monitor, March 15, 2015, https://www.al-monitor.com/pulse/fr/security/2015/03/syria-clamp-down-jabhat-al-nusra.html#ixzz4Rg262100

[72] «ميشيل كيلو: قابلت جبهة النصرة واستقبلت كالأبطال»، فيديو يوتيوب، 1:44، "13 ، "syrian4all فبراير/ شباط 2013.

[73] «كيلو: لا تقارنوا جبهة النصرة بداعش»، النهار، 2، 9 يناير/ كانون ثاني 2014، https://www.annahar.com/article/97968-كيلو-لا-تقارنوا-جبهة-النصرة-.

[74] هناك العديد من الأمثلة على المواقف المتطرفة التي اتخذها جيش الإسلام وأحرار الشام. من بينها ما قاله زهران علوش ، في يوليو/ تموز 2013 ، القائد العسكري للجبهة الإسلامية وزعيم جيش الإسلام في ذلك الوقت: «سوف يغسل مجاهدو الشام قذارة الرافضة من الشام وسيغسلونها إلى الأبد» ويعني «مصطلح» الرافضة « الرافضين ، أو» أولئك الذين يرفضون «. وتستخدم هذه الكلمة بطريقة مهينة من قبل بعض المسلمين السنة ، الذين يشيرون إلى الشيعة على هذا النحو لأن الأخيرين لا يعترفون بأبي بكر وعمر وعثمان كخلفاء شرعيين لمحمد ، ويؤمنون أن علي أن يكون أول خليفة له. See Aaron Y. Zeilin, and Phillip Smyth, "The Vocabulary of Sectarianism," Syria Deeply, January 31, 2014, https://www.newsdeeply.com/syria/community/2014/01/31/the-vocabulary-of-sectarianism

عبرت أحرار الشام عن أفكار مماثلة. وقال حسان عبود ، زعيم أحرار الشام ، في مقابلة «ما يحدث في سوريا هو أن البلاد تحكمها فكرة نصيرية ، وهي جماعة شيعية وصلت إلى السلطة وبدأت التمييز ضد الشعب السني». لقد منعوهم من ممارسة دينهم ورسموا صورة عن الإسلام بعيدة عن الإسلام ، مع تقاليد وممارسات غير إسلامية على الإطلاق. لقد أرادوا محو الإسلام الحقيقي من البلاد «. انظر «لقاء مع قائد حركة أحرار الشام الإسلامية حسان عبود- على قناة الجزيرة 8-6-2013.» منشور على يوتيوب بتاريخ 8 يونيو/ حزيران 2013 https://www.youtube.com/watch?v=fL5dzLlmORI

وبعيدة كل البعد عن كونها حوادث منعزلة أو مسئولية أفراد.

ضعف إدماج النساء وحقوقهن

شهدت أول سنتين من الانتفاضة, كما أشرنا أعلاه, مشاركة هامة من النساء. اتسعت وتنوعت فيها الأنشطة النسائية. فكانت بعض المنظمات واللجان النسائية تنسق بشكل شبه يومي مظاهرات للنساء فقط, كما نظمت النساء أنفسهن في خلايا شعبية لتقديم المساعدة والإغاثة لأسر المعتقلين, الذين قتلوا في المنطقة, أو لجنود الجيش السوري الحر. لكن على الرغم من هذه الإسهامات المبكرة, لم تتقبل هيئات المعارضة أبداً أهمية مشاركة النساء في الحركة الشعبية. كانت أنشطة النساء أكثر صعوبة. في بعض المناطق. لأسباب أمنية. لكن هذه الأنشطة أعيقت أيضًا بفعل الأعراف الدينية المحافظة. على سبيل المثال, تم فرض حماية إلزامية من الذكور على النساء الثوريات, إلى جانب ذلك, كان يتم فصل النساء عن الرجال في بعض المظاهرات أو منعهن من المشاركة بشكل مباشر. وكانت الأنشطة داخل الحراك يتم تخصيصها -مرارا وتكرارا- وفقًا للنوع الاجتماعي, وغالباً ما افتقرت لجان التنسيق المحلية وعمليات صنع القرار داخلها إلى التمثيل النسائي[75]. وتضاءلت مشاركة النساء في النهاية تحت وطأة القمع العنيف للنظام, والعسكرة المتزايدة للانتفاضة, وصعود القوى الإسلامية الأصولية والجهادية.

وبرزت شكاوى, على نحو متزايد, بشأن ضعف أو غياب مشاركة النساء في هيئات المعارضة داخل سوريا.[76] وتم حصر النساء غالباً في إطار التمثيل الرمزي دون أي مسؤوليات حقيقية داخل المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني واللجنة العليا للمفاوضات. فمن بين 444 عضوًا في المجلس الوطني السوري, كان 24 منهم فقط نساء, وبعد ذلك, ضم الائتلاف الوطني ثلاث نساء فقط في عضويته.[77] بينما اقتصرت مشاركة الإناث في اللجنة العليا للمفاوضات وقت إنشائها على اثنين فقط من الأعضاء الثلاثة والثلاثين. وغالبًا ما وصفت الناشطات معظم مجموعات المعارضة بأنها غير جديرة بالثقة وتمييزية ونخبوية - مثلها مثل نظام الأسد. وأكدت الناشطات أنه تم منح «مناصب ديكورية» فقط للنساء بلا أي دور فعال في عمليات صنع القرار.[78]

[75] Lama Kannout, In the Core or on the Margin: Syrian Women's Political Participation (London and Stockholm: Syrian Feminist Lobby and Euromed Feminist Initiative EFI-IFE, 2016), 37.

[76] هذا لا يعني أن النساء في الانتفاضة لم يواجهن صعوبات في التمثيل في لجان التنسيق , وفي المجالس المحلية , وفي أماكن أخرى. فهناك أيضًا , واجهن أحيانًا ممارسات وخطابات تمييزية.

[77] Omar Hossino and Kinda Kanbar, "Syria's Women: Sidelined in Opposition Politics?," Syria Deeply, April 11, 2013, https://www.newsdeeply.com/syria/articles/2013/04/11/syrias-women-sidelined-in-opposition-politics.

[78] Razan Ghazzawi, Afra Mohammad, and Oula Ramadan, "Peacebuilding Defines Our Future Now: A Study of Women's Peace Activism in Syria," Badael, October 2015, http://badael.org/wp-content/uploads/2015/10/Syria_october22.pdf, 19.

وانعكست هيمنة الإخوان المسلمين وغيرها من القوى المحافظة على نهج المعارضة تجاه قضايا حقوق النساء. على سبيل المثال، نصت وثيقة العهد الوطني للمقاومة السورية، التي أقرت خلال مؤتمر المعارضة السورية الذي انعقد في القاهرة في يوليو/ تموز 2012 تحت رعاية جامعة الدول العربية على أن «يضمن الدستور إزالة كل أشكال التمييز ضد المرأة، ويسعى لخلق المناخ التشريعي والقانوني الذي يؤمن تمكينها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في ما يتفق مع كل المواثيق الدولية ذات الصلة بما يتناغم مع الثقافة المجتمعية».[79] أضيفت الجملة الأخيرة ,بما يتناغم مع الثقافة المجتمعية، في استجابة لمطلب الجماعات والأفراد الإسلاميين المحافظين. وشجبت النسويات هذه العبارة على نطاق واسع باعتبارها وسيلة لإعاقة حقوقهن. انتقدت العديد من الناشطات النسويات، بشكل أكثر عمومية، حقيقة أن الأفراد في المجلس الوطني السوري، والائتلاف الوطني، واللجنة العليا للمفاوضات استسلموا لضغوط الأصوليين الإسلاميين.[80] أوضحت الناشطة النسوية لمى قنوت أنه ومنذ بداية الانتفاضة، في مختلف التحالفات والمؤتمرات السياسية للمعارضة «سيستسلم العلمانيون حتماً للإسلاميين ، مضحين بحقوق النساء خلال هذه العملية».[81]

القضية الكردية

عاودت المشاكل التاريخية للأكراد السوريين الظهور مع الانتفاضة الشعبية.[82] إذ رفضت المعارضة العربية السورية مطالب المعارضة الكردية، سواء تلك الخاصة بالمجلس الوطني الكردي أو بحزب الوحدة الديمقراطي الكردي (المعروف اختصارا باسم يكيتي). وانسحب الممثلون الأكراد، في يوليو/ تموز 2011 , من اجتماع اسطنبول - الذي سيُنشئ بعد بضعة أشهر المجلس الوطني السوري - احتجاجًا على رفض الوفود الأخرى طلبهم بتغيير اسم الدولة من الجمهورية العربية السورية إلى «الجمهورية السورية».[83]

كانت العلاقات بين المجلس الوطني السوري والمجلس الوطني الكردي مضطربة منذ البداية. فقد رفض الرئيس السابق للمجلس الوطني السوري برهان غليون الطلب الرئيسي للمجلس الوطني الكردي باعتماد الفيدرالية

[79] «نص وثيقة العهد الوطني للمقاومة السورية»، الشرق الأوسط، 5 يوليو/ تموز، 2012، http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12273&article=684969#.W5KIfyOEjGJ

[80] ماريا العبدة (عضوة سابقة في الحركة الاحتجاجية السلمية ومديرة حاليًا منظمة النساء الآن للتنمية) , مقابلة مع المؤلف عبر سكايب , 29 يونيو/ حزيران , 2018. وأيضًا , صباح الحلاق (عضو مجلس إدارة رابطة النساء السوريات) , مقابلة مع المؤلف , بيروت , 15 حزيران (يونيو) 2018.

[81] Kannout, In the Core or on the Margin, 59.

[82] على الرغم من أن إعلان دمشق في عام 2005 أقر صراحة بالقضية الكردية , فإن ا الأحزاب الكردية الأربعة الموقعة عليه لم تكن راضية عن الطريقة التي حصرت بها الغالبية العظمى من الأحزاب السياسية السورية وجمعيات حقوق الإنسان المسألة الكردية في قضايا التعداد السكاني عام 1962 و وحرمان بعض الأكراد من المواطنة. فتلك الأحزاب الأخرى لم تكن مستعدة للاعتراف بالأكراد كأمة منفصلة أو على استعداد للاستماع إلى مطالب الفيدرالية واللامركزية.

[83] Sirwan Kajjo and Christian Sinclair, "The Evolution of Kurdish Politics in Syria," Middle East Research and Information Project, August 31, 2011, http://www.merip.org/mero/mero083111#_3_.

في سوريا ما بعد الأسد، معتبراً أنه «وهم» كما أثار غليون حنق الأكراد السوريين عندما قارنهم بـ «المهاجرين في فرنسا»، في إيعاز أنهم ليسوا من سكان سوريا الأصليين - وهي طريقة تقليدية للاستخفاف بمطالبات الأكراد بحقوقهم في البلاد.[84] حاول النشطاء الأكراد دون جدوى مقاومة التجاهل المستمر لحقوق الأكراد.[85] وزادت هذه التوترات إلى حد كبير بعد نشر المجلس الوطني السوري «الميثاق الوطني: المسألة الكردية في سورية» في أبريل/ نيسان 2012. ألغت الوثيقة لغة مسودة سابقة تعترف بأمة كردية داخل سوريا. رداً على ذلك، انسحب المجلس الوطني الكردي من محادثات الوحدة مع المجلس الوطني السوري. كما اتهم المجلس تركيا بالتأثير المفرط على سياسة المجلس الوطني السوري.[86] تظاهرت مجموعات وأحزاب الشباب الكردي داخل سوريا ضد المجلس الوطني السوري ولصالح الحقوق الكردية.[87]

انضم المجلس الوطني الكردي بعد ذلك إلى الائتلاف الوطني في عام 2013، على أمل تحسن الأوضاع. لكن كل من المجلس الوطني السوري الائتلاف الوطني واصلا العمل بشكل معارض للأحزاب والمصالح الكردية. وتم ضم المجلس الوطني الكردي لاحقاً إلى الهيئة العليا للمفاوضات، ولكن هذا لم يمنع استمرار الحرمان من الحقوق الكردية أو التعليقات الشوفينية المستمرة من أعضاء الائتلاف.[88] على سبيل المثال ، في مارس / آذار 2016 ، قال العميد السابق أسعد الزعبي، رئيس وفد المعارضة باللجنة العليا للمفاوضات في جنيف، في إذاعة تلفزيون أورينت إن «الأكراد يمثلون 1 في المائة من الشعب السوري، وأن الكردي كان يتمنى في عهد الرئيس حافظ الأسد الحصول على ورقة تثبت أنه بني آدم.»[89] ورداً على هذه التعليقات، التي اعتبرها الكثير من الأكراد عنصرية، نظمت مظاهرات في مختلف المدن ذات الأغلبية الكردية.[90] في الوقت نفسه واصل المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني تبني موقف حاد ضد حزب الوحدة الديمقراطي الكردي، الذي اعتبروه عدوًا للثورة.[91]

[84] Tamam Abdallah, Tarek Al-Abd Hayy, and Ernest Khoury, "Stuck in the Middle: The Struggle for Syria's Kurds," Al-Akhbar English, July 30, 2012, https://www.shiachat.com/forum/topic/235000214-kurds-and-the-syrian-revolution/.

[85] Harriet Allsopp, The Kurds of Syria (London: I. B. Tauris, 2015).

[86] المركز الوطني الكردي بسورية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 5 فبراير/ شباط 2012، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48504

[87] Allsopp, The Kurds of Syria.

[88] من هو المجلس الوطني الكردي،تم الولوج على الزابط في 2 فبراير/ شباط 2011 http://knc-geneva.org/?page_id=49&lang=ar

[89] «وقفة احتجاجية في عامودا بريف الحسكة للتنديد بتصريحات «الزعبي» و«الجعفري» وكالة سمارت للأنباء، 28 مارس آذار، 2016، https://smartnews-agency.com/ar/media/167515/وقفة-احتجاجية-في-عامودا-بريف-الحسكة-للتنديد-بتصريحات-الزعبي-و.

[90] وكالة أنباء سمارت، وقفة احتجاجية في عامودا.

[91] على سبيل المثال ، قال جورج صبرا ، رئيس المركز الوطني السوري ، في يناير/ كانون ثاني 2016 ، إن حزب الاتحاد الديمقراطي لم يكن جزءًا من المعارضة وكان قريبًا جدًا سياسياً من النظام. كما صرح بأن الحزب جزء من حزب العمال الكردستاني ، الذي تصنفته الولايات المتحدة وتركيا على أنه منظمة إرهابية ؛ وهو بالتالي يدعم موقف تركيا من الحزب"George Sabra: A Unity Government Is Unacceptable," Al Jazeera English, January 26, 2016, https://www.youtube.com/watch?v=h9fIH8Pq-Q4&feature=youtu.be (the linked video is not available in all regions).

في خريف عام 2016، تسبب مشروع المرحلة الانتقالية في سورية والذي نشرته الهيئة العليا للمفاوضات في استفزاز الغالبية العظمى من الحركات السياسية الكردية السورية، وصرح المجلس الوطني الكردي

«أن هذه الوثيقة لا يمكن أن تكون جزءاً من الحل وإنما تُشكل خطراً على الديمقراطية والتعددية ووحدة سوريا والتي يجب أن تضمن الحقوق الثقافية والمجتمعية والسياسية لجميع المكونات الإثنية والدينية واللغوية. من يقرأ الوثيقة سيُلاحظ فوراً أن النقطة رقم (1) من «المبادئ العامة» تجعل فقط من الثقافة العربية والإسلام معيناً خصباً «للإنتاج الفكري والعلاقات الاجتماعية». هذا التعريف يُغلق الباب بشكل واضح أمام بقية الثقافات سواء كانت عرقية، لغوية أو دينية ويُثبت ثقافة الأكثرية كمقياس للجميع. نحن ككُرد سوريين نشعر أننا مرفوضون عبر هذا الفهم الضيق لمصطلح "الشعب السوري". التشابه بين هذا التعريف وبين المبادئ الأساسية الشوفينية تحت حكم الأسد واضحة ولا يمكن نكرانه.»[92]

ودارت حلقة جديدة من المواجهة في مارس/ آذار 2017 خلال جولة أخرى من مفاوضات السلام في جنيف، عندما رفض ممثلو هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي وعدد قليل من الأعضاء الآخرين في الهيئة العليا للمفاوضات نقل وثيقة كتبها المجلس الوطني الكردي لمبعوث للأمم المتحدة الخاص بالأزمة السورية، ستافان دي ميستورا. أكدت الوثيقة تمثيل الأكراد في عملية المفاوضات وطالبت بإدراج المسألة الكردية والمسائل المتعلقة بقطاعات أخرى من سكان سوريا في جدول أعمال المفاوضات. وكرد فعل على هذا الرفض، علق المجلس الوطني الكردي مشاركته في المفاوضات وفي اجتماعات الهيئة العليا.[93]

كان لهيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي والتي كانت تمنح أولوية للعمل السلمي وإصلاح النظام من خلال المفاوضات، موقفاً أفضل قليلاً فيما يتعلق بالقضية الكردية. يتصور موقفها الأصلي «حلاً ديمقراطياً للقضية الكردية في إطار وحدة الأراضي السورية لا يتعارض مع كون سورية جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي». وفي فبراير/ شباط 2012، انسحبت الأحزاب الكردية التي كانت منضوية تحت راية هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي، (باستثناء حزب الوحدة الديمقراطي الكردي)، وانضمّت إلى المجلس الوطني الكردي. وفي أبريل/ نيسان ليّنت هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي موقفها، وأيّدت تطبيق «مبادئ

[92] بيان «وثيقة الإطار التنفيذي لن تجلب لا السلام ولا المساواة»، المركز الوطني الكردي، 20 سبتمبر/ أيلول، 2016 http://knc-geneva.org/?p=710&lang=ar المجموعات المعارضة للهيئة العليا للمفاوضات ضمت كل من حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي والمجلس الوطني الكردي وبعض المجموعات الآشورية.

[93] «تصريح صحفي: المجلس الوطني الكردي في سوريا يعلق مشاركته في جولة المفاوضات في جنيف»، المركز الوطني الكردي، 31 مارس/ آذار 2017 http://knc-geneva.org/?p=1310&lang=ar

اللامركزية» في سورية المستقبل.. لكن ذلك لم يغر الأحزاب الكردية المنسحبة بالعودة.[94] ولم يكن لدى الجيش السوري الحر أي موقف رسمي من المسألة الكردية , لكن معظم قيادته كانت معادية لحقوق ومطالب الأكراد الوطنية.[95]

دخلت القوات العسكرية التركية شمال سوريا في يناير/ كانون ثاني 2018, بعد هجوم عسكري تركي، بمساعدة من قوات المعارضة السورية المسلحة. وبعد هزيمة مدينة عفرين واحتلالها, وقام مقاتلون معارضون سوريون على صلة بأنقرة بسلب ونهب مساكن المدنيين ومتاجرهم وأسقطوا تمثال كاواه, وهو شخصية مركزية ورمزية في أسطورة كردية حول الاحتفال بالعام الجديد النوروز. وفر أكثر من 130,000 شخص، معظمهم من الأكراد , من ديارهم بعد احتلال منطقة عفرين.[96] اتسم احتلال عفرين، ولا زال، بالعديد من انتهاكات حقوق الإنسان. وفي الأشهر التي تلت الغزو, زادت التوترات بين العرب والأكراد بشكل أكثر إلحاحاً.

تفاقم الوضع في ديسمبر/ كانون أول 2018, عندما أعلنت جماعات المعارضة المسلحة السورية استعدادها للمشاركة في عملية عسكرية بقيادة تركية ضد المناطق التي يسيطر عليها حزب الوحدة الديمقراطي الكردي شرق الفرات, بعد أن ضاعفت أنقرة من تهديداتها الموجهة للقوات الكردية.[97] كما دعم الائتلاف هذا الهجوم, على الرغم من معارضة الأعضاء والمجموعات الكردية بداخله.

عدم وجود بدائل اقتصادية اجتماعية

لقد بات من الواضح الآن أن الوضع الاقتصادي المتدهور, خاصة من عام 2008 إلى عام 2011, كان محفزًا رئيسيًا للانتفاضات السورية, إن لم يكن السبب الأساسي، فقد مرت سوريا بتطبيق متسارع لسياسات الليبرالية الجديدة خلال العقد الذي تلا تولي بشار الأسد السلطة في عام 2000. فكان هناك خصخصة واسعة النطاق وتحرير للاقتصاد ترافق مع تخفيضات في الدعم, وتجميد التوظيف في القطاع العام, وتقليص لدور الدولة في الاستثمار المحلي. وفي عام 2005, تم اعتماد «اقتصاد السوق

[94] كارنيغي، المركز الوطني الكردي.
[95] أعلن رياض الأسعد , قائد الجيش السوري الحر «لن نغادر القامشلي أبداً». وأضاف أن الجيش السوري الحر لن يسمح لأي منطقة بالانفصال عن سوريا: «لن نقبل بانشقاق متر واحد من التربة السورية وسنخوض الحرب من أجله». See "FSA Leader Asaad: We Will Not Allow Kurdish-Separatism," Dunya Times, July 27, 2012, http://en.dunyatimes.com/article/FSA-leader-Asaad-We-will-not-allow-Kurdish-separatism.html.

[96] "Syria: Flash Update on Recent Events," UNHCR via ReliefWeb, March 28, 2018, https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/syria-flash-update-recent-events-28-march-2018.
[97] Sara Dadouch, "Up to 15,000 Syrian Rebels Ready to Back Turkish Operation in Northeast," Reuters, December 13, 2018, https://uk.reuters.com/article/uk-mideast-crisis-syria/up-to-15000-syrian-rebels-ready-to-back-turkish-operation-in-northeast-idUKKBN1OC1IR.

الاجتماعي» كاستراتيجية اقتصادية جديدة في المؤتمر القطري العاشر لحزب البعث السوري. حاولت الحكومة أن تضع القطاع الخاص بدلاً من الدولة موضع القيادة في عملية التنمية الاقتصادية وتوفير فرص العمل.[98] وانسحبت الدولة من المجالات الرئيسية لتوفير الرعاية الاجتماعية. وتم تنفيذ أكثر من ألف قانون وسياسة جديدة في عملية تحرير الاقتصاد تلك في الفترة بين عامي 2000 و 2010.[99]

فاقمت هذه التدابير ببساطة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي كانت القائمة بالفعل. فقد أدى حكم بشار الأسد السياسي وسياساته الاقتصادية إلى إفقار غير مسبوق في البلاد بينما استمرت اللامساواة في الثروة في الازدياد. على الرغم من نمو إجمالي الناتج المحلي للبلاد بمعدل 4.3 في المائة سنويًا من عام 2000 إلى عام 2010 بالقيمة الحقيقية، فلم يستفد من هذا النمو سوى طبقة صغيرة من النخبة الاقتصادية. تضاعف الناتج المحلي الإجمالي السوري بأكثر من الضعف بين عامي 2005 و 2010 , من 28.8 مليار دولار إلى حوالي 60 مليار دولار.[100] لكن عدم المساواة ارتفعت.[101] وبحلول عام 2007, بلغت نسبة السوريين الذين يعيشون تحت خط الفقر 33 في المائة من السكان، أي ما يقارب سبعة ملايين شخص، في حين كان 30 في المائة من السوريين فوق خط الفقر بمقدار ضئيل.[102] يمثل ذلك تحولا كبيرا عن أواخر التسعينيات، حين كان 14.3 في المائة فقط يعيشون تحت خط الفقر.[103] تركز الفقر بشكل خاص في الريف. ففي عام 2004, كان 62 في المائة من فقراء سوريا يعيشون في المناطق الريفية، مقارنة بـ 38 في المائة في المناطق الحضرية.[104] وبحلول عام 2010, كان للسياسات النيوليبرالية المستمرة وتأثير أربع مواسم متتالية من الجفاف منذ عام 2006 آثاراً مأساوية على صغار المزارعين رعاة الأغنام والمواشي. وانخفض دخل هذه المجموعات، في المناطق المتضررة الواقعة

[98] Samer Abboud, "Locating the 'Social' in the Social Market Economy," in Syria: From Authoritarian Upgrading to Revolution?, ed. Raymond Hinnebusch (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2015), 55.

[99] Rune Friberg Lyme, "Sanctioning Assad's Syria: Mapping the Economic, Socioeconomic and Political Repercussions of the International Sanctions Imposed on Syria since March 2011," Report No. 13, Danish Institute for International Studies, 2012, https://www.diis.dk/files/media/publications/import/extra/rp2012-13_sanctioning_assads_syria_web_1.pdf.

[100] البنك الدولي، خسائر الحرب

[101] The Gini coefficient, a standard measure of inequality, increased from .30 in 1997 to almost .35 in 2009. "Socioeconomic Roots and Impact of the Syrian Crisis," Syrian Center for Policy Research, July 2013, http://www.fao.org/docs/eims/upload/310686/SyrianCentrePolicyResearch%20SocioEconomicRootsAndImpactOfSyrianCrisisJan2013.pdf.

[102] Ali Abdel-Gadir, Khalid Abu-Ismail, and Heba El-Laithy, "Poverty and Inequality in Syria (1997–2007)," Arab Development Challenges Report Background Paper 2011/15, UNDP, 2011, http://www.undp.org/content/dam/rbas/doc/poverty/BG_15_Poverty%20and%20Inequality%20in%20Syria_FeB.pdf.

[103] Linda Matar, The Political Economy of Investment in Syria (London: Palgrave Macmillan, 2015), 109.

[104] Abdel-Gadir, Abu-Ismail, and El-Laithy, "Poverty and Inequality in Syria," 3.

بين نهري دجلة والفرات شمال شرقي البلاد، بنسبة تصل إلى 90 في المئة.[105]

لن يكون من المبالغة القول إن الإصلاحات الاقتصادية في العقد الأول من رئاسة بشار الأسد حفزت الانتفاضات السورية. إلا أن المجلس الوطني السوري الائتلاف الوطني لم يقوما كذلك بتقديم بديل اقتصادي اجتماعي فعال يصب في مصالح الطبقات الشعبية، وبدلاً من ذلك، قاموا بالترويج لسياسات نيوليبرالية لا تختلف كثيرًا عن سياسات النظام. نشرت مجموعة من كبار الخبراء السوريين المرتبطين بالمعارضة، في عام 2013، وثيقة سياسة بعنوان «خطة التحول الديمقراطي في سوريا» ، والتي خططت لسوريا ما بعد الأسد. دعت الخطة إلى خصخصة الشركات السورية المملوكة للقطاع العام السوري وتحرير سعر الصرف ورفع الدعم وتقليص حجم القطاع العام من أجل تطوير القطاع الخاص وعودة جميع الأصول المؤممة من قبل حزب البعث (الأراضي، سواء كانت زراعية أم لا، الشركات والمصانع والمنازل والمباني) إلى «أصحابها الأصليين»، ودعم انضمام سوريا إلى مؤسسات متعددة الأطراف مثل منظمة التجارة العالمية.[106] وخلصت إلى أنه «قد يكون أفضل لسوريا أن تترك على نحو تدريجي نموذجها الاقتصادي القائم على قيادة الدولة للاقتصاد لتتحول إلى نموذج اقتصادي يحكمه السوق». «وأيضاً تحتاج سوريا إلى إطلاق العنان لروح المبادرة العظيمة التي تمتع بها صناع وتجار سوريا عبر التاريخ. . . . يبقى الهدف الرئيسي هنا هو تقوية الإنتاجية والتنافسية في الاقتصاد السوري، ووضعه على المسار الصحيح الذي يقود فيه القطاع الخاص حركة نمو وخلق فرص العمل الحقيقية ورفع الإنتاجية».[107] لم يكن لهذا النوع من التوصيات تقريبا أي صلة بالسوريين الذين تضرروا من إصلاحات مماثلة في السنوات التي سبقت الانتفاضة مباشرة. في الواقع، كانت هذه التوصيات بمثابة المزيد من الشيء نفسه.

أشاحت هذه الرؤية الاقتصادية ببصرها عن هواجس السوريين العاديين، لكنها لم تحظ بقبول كذلك بين قطاعات كبيرة من موظفي القطاع العام.[108] ما كشفته هذه التوصيات الصماء هو وزن وتأثير البرجوازية السابقة وملاك الأراضي السابقين بين قادة المعارضة السياسية. كان ذلك مثالاً آخر

[105] "Report of the Special Rapporteur on the Right to Food, Olivier De Schutter," United Nations, January 27, 2011, http://www.srfood.org/images/stories/pdf/officialreports/20110121_a-hrc-16-49-add2_country_mission_syria_en.pdf.

[106] «خطة التحول الديمقراطي في سوريا». المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية، وبيت الخبرة السوري، 2013، http://scpss.org/wp-content/uploads/2013/09/خطة-التحول-الديمقراطي-في-سوريا-التقرير-كاملا.pdf

[107] خطة التحول الديمقراطي في سوريا.

[108] ظلت الدولة المسئول الأكبر عن التوظيف في سوريا في عام 2008 , حيث شكلت حوالي 28.5 في المائة من القوى العاملة "Economic Challenges and Reform Options for Syria: A Growth Diagnostics Report (CEM, First Phase)," World Bank, February 11, 2011, http://siteresources.worldbank.org/INTDEBTDEPT/Resources/468980-1218567884549/5289593-1224797529767/5506237-1270144995464/DFSG03SyriaFR.pdf.

على الهوة بين هيئات المعارضة السورية الرسمية والأشخاص الذين يرزحون تحت نير الحرب، وهي هوة لا تملك المعارضة من تلومه عليها سوى نفسها.

الوسائل تحدد الغايات

كانت الرسالة السائدة للحراك خلال مظاهراته وبياناته الأولى رسالة جامعة وديمقراطية وغير مهددة لأغلبية السوريين، بما في ذلك الأقليات. تحدت هذه الرسالة ادعاء النظام بأنه كان الحاجز الوحيد إمام التطرف. إلا أن، هيئات المعارضة في المنفى - المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني - لم يتمكنوا من صياغة بديل موثوق به ولا من العمل كممثلين للأهداف الأولى للحراك ولا تنوعه. كما فشلوا في تقديم إستراتيجية وقيادة سياسية، فيما يخص المكونين المدني والمسلح، لتوحيد وقيادة الجهود للإطاحة بالنظام.

لم تكن المعارضة السياسية التي تشكلت في المنفى قادرة على لعب هذا الدور لأسباب مختلفة تتراوح بين الانقسام الداخلي والفساد المتزايد إلى تدخلات الدول الأجنبية (المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا). إن الإخفاقات المتتالية لهيئات المعارضة هذه سمحت للجماعات الجهادية والأصولية الإسلامية بالسيطرة على المشهد العسكري في سوريا، في الوقت الذي قامت فيه بعض قطاعات من هيئات المعارضة بدمج هذه الجماعات والتطبيع معها. دافعت مختلف الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية عن رؤية إقصائية للمجتمع لم تكن جاذبة للأقليات الدينية، أو النساء، أو أولئك الذين لديهم فهم مختلف للإسلام.

اعتقدت الشخصيات والمجموعات داخل المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني أن التعاون مع مختلف الجماعات الأصولية الإسلامية كان سيؤتي بثماره - وأن الغايات تبرر الوسائل. على العكس من ذلك، وكما تظهر النتائج الفاشلة لجهود المعارضة السورية، فإن الغايات تحددها الوسائل. فقد أدت استراتيجيات قادة المعارضة إلى عدم وجود كتلة معارضة ديمقراطية منظمة على المستوى الوطني سواء داخل أو خارج البلاد. وبالمثل، لم تكن المعارضة قادرة على تطوير مؤسسات قوية وقائمة على الإدماج كبدائل للنظام.

التنبؤ بمستقبل سوريا هو أمر يقع خارج نطاق هذا الفصل، ولكن عدم اكتمال الانتفاضة يدل على أن النظام سيظل يواجه تحديات على الرغم من قمع المعارضة داخل البلاد. فلقد جاءت عودة النظام بتكلفة عالية، كما أنه لا يزال يواجه العديد من التناقضات الداخلية، بالإضافة إلى اعتماده المتزايد على الدول والجهات الفاعلة الأجنبية. العمليات الثورية هي أحداث طويلة الأجل، تتميز بموجات حراك عالية أو منخفضة المستوى، وفقًا للسياق. بل ويمكن أن تمر بفترات من الهزيمة، كمثل

التي تمر بها الانتفاضة السورية الآن. من المرجح أن يكون لآثار الحرب وتدميرها تداعيات لسنوات قادمة. لم تقدم أي مجموعة معارضة منظمة ذات حجم وشعبية كبيرين مشروعًا ديمقراطيًا جامعاً يمكن أن يستقطب قطاعات كبيرة من المجتمع. كما خلفت إخفاقات هيئات المعارضة في المنفى وجماعات المعارضة المسلحة إرثاً من الإحباط والمرارة لدى الأشخاص الذين شاركوا في الانتفاضة أو تعاطفوا معها.

ومع ذلك، هناك تطور مهم في خضم هذا الوضع المزري والقاتم، تطور من شأنه أن يلعب دوراً في تشكيل الأحداث المستقبلية. وهو توثيق الانتفاضة، والذي كان ربما أكثر دقة وتفصيلاً من أي توثيق غيره في التاريخ. فهناك تسجيلات وشهادات وتوثيقات هامة للحراك، والفاعلين المشاركين، وأساليب العمل. شهدت سوريا، في سبعينيات القرن الماضي، مقاومة شعبية وديمقراطية قوية، شملت إضرابات ومظاهرات مهمة في جميع أنحاء البلاد وحظت بشعبية هائلة. لكن هذه الذاكرة ضُيّعت تمامًا، بل إن قليلين من الجيل الجديد من المتظاهرين في عام 2011 كانوا يعلمون عن هذه الحركة. إلا أن نفس الشيء لن يقال عن عام 2011 في المرة القادمة. سوف تبقى الذاكرة، ولن تكون دروس الانتفاضة موجودة فقط للمراقبة، بل ستظل أفكارًا حية يمكن الاستفادة منها لبناء المقاومة المستقبلية. التجارب السياسية التي تراكمت منذ بداية الانتفاضة لن تمحى.

THE CENTURY FOUNDATION

تمت طباعة هذا التقرير بالتعاون مع مؤسسة القرن